القيثارة

إلياس أبو شبكة

القيثارة

تأليف
إلياس أبو شبكة

هنـــداوي

القيثارة

إلياس أبو شبكة

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ٨ ٢٢٨٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

أرفع قيثارتي هذه إلى روح والدي	٩
ما نُجِيبُ الأَبناءَ إِنْ سَأَلونا	١١
ليس عن ضعفٍ قعودي	١٥
العامل الثائر	١٧
القلب لا يُشرى	٢١
أغنية المجد	٢٣
ولِمَا تَقيسُون الصلاة؟	٢٥
ما بعد منتصف الليل	٢٩
تَذْكاراتٌ وآلام	٣١
يا بلادي!	٣٣
العَرَّافة	٣٥
يا بنت لبنان	٣٩
القضاء المفتون	٤١
الحزن والجمال	٤٣
دائمًا مرغريت	٤٥
وطَوَى الزمانُ كِتابَه	٤٧
الحرية	٤٩
ابنة الأجيال	٥١

الفتاة الغادرة	٥٣
في صائدة سَمكٍ حسناء	٥٧
أودُّكِ مَيتةً	٥٩
آلو آلو	٦١
بين الماسونية والإكليريكية	٦٥
ورُبَّ كبيرٍ بلبنانه	٦٧
يا سمير الأبراج	٦٩
المصدورة	٧٣
ولَمَّا كَبِرتُ	٨١
الشبل الرابض	٨٥
أمام مهد سعاد	٨٧
قبل الرحيل	٨٩
بعيدًا عن هذا العالَم	٩٣
الفضيلة	٩٥
إلى شاعر القُطرَيْن	٩٧
لي عاشق	٩٩
ضَيَّع القالب	١٠١
دعيني أموت	١٠٣
ذكرى الآلام	١٠٥
أجد الشباب يلوح منتعشًا	١٠٧
رثاء سليمان البستاني	١٠٩
دمعة على عذراء	١١١
ليس في كِسرَوانَ سلاح	١١٣
مات حسُّونها	١١٥
نرجيلتي	١١٧
انْزِعُوا قلبي فأستريح	١١٩

ما أنتِ من تراب	١٢١
وإني فتًى حُر	١٢٣
فوق المقبرة	١٢٥
إلى لورانس	١٢٧
إلى الشبَح الباكي	١٢٩
إلى مصر	١٣١
الفقير	١٣٣
المَجْدِلِيَّة والمسيح	١٣٥
إلى فيلكس فارس	١٣٩
إلى بدوية جميلة	١٤١
الحَسُّون السجين	١٤٣
جَرَس الحُزن	١٤٧
حديث الزهرة الذابلة	١٤٩
إلى شاعر حزين	١٥١
لا تعطِ الحب	١٥٣
يا أرغن الوادي	١٥٥
أنشودة العمال	١٥٧
ماذا أوَدُّ لك؟	١٥٩
لا ترحم	١٦١
مناجاة بلبل	١٦٣
ما لي جَلَد	١٦٥
انتسيه فهو مذنب	١٦٧
ابنِ لنفسك مقرًّا شريفًا	١٦٩
الدمعات الثلاث	١٧١
أيها القلب	١٧٥
قلبُ المَلَاك حَجَر	١٧٧

أغنية الموت ١٧٩
يا ليل العمر متى غده؟ ١٨١
ميروبا في الصيف ١٨٣
تذكَّري ١٨٥
والعين بحيرة أحلام ١٨٧
رسالة ١٨٩
أمام جثة البستاني ١٩١
رُقاد القلم ١٩٣
معارضة قصيدة شوقي ١٩٥

أرفع قيثارتي هذه إلى روح والدي

يا أبي

لقد فتكَت بك يدٌ أثيمة في بلاد الغربة بعيدًا عن زوجك وصغارك، فخلَّفتَ اليأس في صدر أمي والألمَ في قلبي!

كنتُ في العاشرة من عمري يومَ توارى وجهك اللطيف إلى الأبد، وكنتُ لا أزال أدفأ بين جناحَيْك، وها أنا اليوم في الثانية والعشرين، في عهد الشباب، في عهد الجهاد والألم!

أُفتِّش في بلادي فلا أجدُ لي نصيرًا، ولا أجد من يُدركُ مبادئ نفسي وما طُبعَت عليه، إلَّا فئة قليلة هي مثلي في آلامها وبلاياها!

يا أبي، لقد توالت الأيامُ العديدة وهي أشدُّ سوادًا من ظلمة قبرك، وأنا ثابتٌ في مبادئي كالأَرْزة في وجه العاصفة، أَودُّ شكاةً فلا أجدُ من يُصغي إليَّ غير روحك المرفرفة فوق رأسي!

ما هذه الجراحاتُ التي أرفعُهَا إليك الآن، سوى أفواه الألم صارخةً من عمق أعماق نفسي!

هذه هي «القِيثارَة» التي وقَّعتُ عليها — في طريقي الوعرة — أناشيدَ قلبي! فعلى كلِّ وترٍ من أوتارها آثارُ دماء، وعلى كلِّ قطعةٍ من أخشابها جفاف دموع!

فإذا رأيتَ دمائي زكيَّةً ودموعي طاهرةً، فأبقِ قيثارتي في عالم الخلود، وإلَّا فحطِّمْهَا على رأسي وغلِّل بأوتارها نفسي!

إلياس

ما نُجِيبُ الأَبناءَ إِنْ سَأَلونا

أَيُّهَا الظُّلْمُ وَالْخَنَا وَالْغُرُورُ ... يَا خِدَاعًا تَعِفُّ عَنْهُ الشُّرُورُ
يَا كُنُودًا وَيَا مُحَابَاةَ قَوْمِي ... يَا صُدُورًا يَدُبُّ فِيهَا النُّفُورُ
يَا خِصَامًا يَا مُنْكَرَاتِ بِلَادِي ... يَا رِيَاءً يَا حِطَّةً يَا فُجُورُ
اقْرُبِي مَا اسْتَطَعْتِ مِنْ كُبْرِ نَفْسِي ... أَنَا صَدْرِي رَحْبٌ وَقَلْبِي كَبِيرُ
لِيَ نَفْسٌ كَالْبَحْرِ ذَاتُ اتِّسَاعٍ ... فَلُبَابٌ يُلْقَى بِهَا وَقُشُورُ
تَبْصُقُ الرِّجْسَ عَنْ عَفَافٍ وَطُهْرٍ ... وَاللَّآلِي تَبْقَى بِهَا فَتَغُورُ
لَا يَغُرَّنْكَ أَنَّنِي مُسْتَكِنٌّ ... فَإِلَى ثَوْرَةٍ سُكُوتِي يُشِيرُ
وَاسْتَرِيبِي إِذَا سَمِعْتِ زَفِيرِي ... إِنَّ فِي صَدْرِيَ الزَّفِيرَ زَئِيرُ
اقْرُبِي اقْرُبِي فَآلَامُ نَفْسِي ... جَمْرَةٌ يَسْتَطِيرُ مِنْهَا السَّعِيرُ
جَمْرَةٌ فِي بُرْكَانِهَا تَتَلَظَّى ... شَاخِصَاتٌ إِلَى لَظَاهَا الدُّهُورُ
يَا بِلَادِي كَفَاكِ هُزْءًا بِنَفْسِي ... إِنَّ نَفْسِي حُسَامُكِ الْمَطْرُورُ
لَا تَقُولِي قَدْ أَحْرَقَتْهَا الْبَلَايَا ... كُلُّ نَفْسٍ لَمْ تَحْتَرِقْ لَا تُنِيرُ
اتْرُكِينِي أُنْشِدْ أَغَانِيَ حُبِّي ... أَنَا بِالْحُبِّ وَالْأَغَانِي فَخُورُ
إِنَّ شِعْرِي أَبْقَى مِنَ التَّاجِ عُمْرًا ... ذَلِكَ التَّاجُ لِلزَّوَالِ يَصِيرُ
كَمْ أَمِيرٍ وَكَمْ مَلِيكٍ تَوَارَى ... وَطَوَتْهُ دُجُنَّةٌ وَقُبُورُ
وَالْمَعَرِّي الضَّرِيرُ مَا زَالَ حَيًّا ... وَفَقِيرًا كَانَ الْمَعَرِّي الضَّرِيرُ

* * *

يَا نُفُوسًا تَطَوَّرَ الْبَأْسُ فِيهَا ... أَيْنَ يَأْوِي حُسَامُكِ الْمَشْهُورُ؟

لَيْسَ يُجْدِي حِلْمٌ وَلَا اللِّينُ يُجْدِي ... لِنُفُوسٍ شِعَارُهَا التَّدْمِيرُ
خُلِقَ الْمَجْدُ لِلْقَدِيرِ فَجِدُّوا ... لَا يَنَالُ الرُّقِيَّ إِلَّا الْقَدِيرُ
وَرِدُوا الْعِلْمَ إِنَّ فِي الْعِلْمِ نُورًا ... وَانْفُضُوا الْجَهْلَ لَيْسَ فِي الْجَهْلِ نُورُ
هَذِهِ التُّرْبَةُ الَّتِي أَنْشَأَتْكُمْ ... عَاثَ فِيهَا مُسَوَّدٌ مَأْجُورُ
فَانْفُضُوهَا فَفِي ثَرَاهَا نُضَارٌ ... وَغِنَاكُمْ نُضَارُهَا الْمَذْخُورُ
مَا نُجِيبُ الْأَبْنَاءَ إِنْ سَأَلُونَا ... أَيَّ أَرْضٍ أَنَرْتُمُ يَا بُدُورُ؟
أَيَّ عَارٍ خَلَّفْتُمُ لِفِرَاخٍ ... رَغِبَ الذُّلُّ فِيهِمُ يَا نُسُورُ؟
أَنُطِيقُ الْحَيَا وَنَحْنُ شُيُوخٌ ... شَرَفٌ فِي صُدُورِنَا وَشُعُورُ
عُجَّزٌ لَا نَصِيرَ يَدْفَعُ عَنَّا ... مَا نُقَاسِي، مَا لِلذُّنُوبِ نَصِيرُ

* * *

أَيُّهَا الْفَجْرُ يَا سِرَاجَ الْبَرَايَا ... عَجَبًا مِنْكَ كُلَّ يَوْمٍ تَزُورُ!
كَيْفَ لَمْ تَسْأَمِ الْوُجُودَ الْمُحَابِي ... أَتُرَى أَنْتَ مِثْلَهُ شِرِّيرُ؟!
أَيَّ يَوْمٍ زُيُوتُ نُورِكَ تَخْبُو ... وَعَلَى سُنَّةِ الضِّيَاءِ تَثُورُ؟
وَتَزُجُّ الْوُجُودَ فِي ظُلُمَاتٍ ... مُسْتَبِدٌّ فِي بُرْدِهَا الدَّيْجُورُ؟
إِنَّ هَذَا الْوُجُودَ أَمْسَى مُسِنًّا ... وَشَقِيًّا أَمْسَى الْوُجُودُ الْخَطِيرُ
رَثَّ فِيهِ خُلُقُ الرِّجَالِ وَرَثَّتْ ... نَزَوَاتُ الْعُلَى وَرَثَّ الضَّمِيرُ
لَيْسَ فِيهِ إِلَّا خِدَاعٌ وَزُورٌ ... وَبَلِيَّاتُهُ خِدَاعٌ وَزُورُ
خَلَفَ التَّيْسُ فِيهِ لَيْثًا هَصُورًا ... وَيْحَ تَيْسٍ يَنَامُ عَنْهُ الْهَصُورُ
عَبَثًا نَرْتَجِي الصِّيَانَةَ مَا لَمْ ... تَتَمَزَّقْ عَنِ الرِّيَاءِ السُّتُورُ
قَدْ أَقَمْنَا عَلَى الْجَهَالَةِ عَهْدًا ... وَعَلَى الْجَهْلِ لَا يُقِيمُ الْبَصِيرُ
أَوَلَسْنَا وُرَّاثَ أَقْدَمِ مَجْدٍ ... فِي يَدَيْنَا صَلِيلُهُ وَالصَّرِيرُ؟
أَوَلَسْنَا وُرَّاثَ شَعْبٍ أُنِيرَتْ ... بِتَعَالِيمِهِ الْهُدَاةِ الْعُصُورُ؟!
عَبَدُوا الْفَنَّ نَيِّرًا وَعَبَدْنَا ... تُرَّهَاتٍ شِعَارُهَا التَّبْذِيرُ
مَا تَبَقَّى لَنَا مِنَ الْفَنِّ إِلَّا ... ذِكْرَيَاتٌ هِيَ النِّزَاعُ الْأَخِيرُ
أُمَّةً كَانَتِ الْبِلَادُ فَأَمْسَتْ ... أُمَّةً مَا دَرَتْ بِمَنْ تَسْتَجِيرُ
يَسْتَبِدُّ الْغَنِيُّ فِيهَا وَيَعْمَى ... عَنْهُ كُلُّ الْوَرَى وَيَشْقَى الْفَقِيرُ
فِي ذُرَاهَا وَفِي السَّوَاحِلِ يَجْرِي ... مِنْ عُرُوقِ الْجُدُودِ مَاءٌ نَمِيرُ
فَاسْجُدُوا لِلْأَثِيرِ فِيهَا وَصَلُّوا ... فَلُهَاثُ الْأَجْدَادِ هَذَا الْأَثِيرُ

خاطرة

نَظَرَتْ إِلَى الْمِرْآةِ فَاتِنَتِي بِتَدَلُّلٍ يَسْتَعْبِدُ النَّظَرَا
فَهَبَبْتُ أَلْثُمُهَا لِأَنَّ بِهَا لِخَيَالِ حُمْرِ خُدُودِهَا أَثَرَا

ليس عن ضعفٍ قعودي

هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا سَـآمَـةْ تَـعَـبٌ فِـيـهَـا الْإِقَـامَـةْ
جَـحَـدَ الْـعَـاتِـي فَـلَـمَّـا يُـبْـقِ لِـي فِـيـهَـا كَـرَامَـةْ
لَيْسَ عَنْ ضَعْفٍ قُعُودِي عَنْهُ لَـكِـنْ عَـنْ شَـهَـامَـةْ
لِـيَ نَـفْـسٌ عَـلَّـمَـتْـنِـي كَـيْـفَ أَسْـتَـزْرِي لِـئَـامَـهْ
لِـــيَ آدَابٌ أَرَاهَـــا فَـوْقَ خَـدِّ الْـعِـلْـمِ شَـامَـةْ
وَيَـرَاعٌ يَـتَـمَـنَّـى الْـــ ـفَـجْـرَ لَـوْ كَـانَ ابْـتِـسَـامَـةْ
يُـعْـرَفُ الـنَّـذْلُ وَلَـوْ حَـطَّ عَـلَـى الـرَّأْسِ عَـمَـامَـةْ
كُـلُّ نَـذْلٍ مُـسْـتَـبِـدٍّ فِـي مُـحَـيَّـاهُ عَـلَامَـةْ
لَـمْ أُحَـارِبْـهُ بِـسَـيْـفٍ بَـلْ بِـصِـدْقٍ وَاسْـتِـقَـامَـةْ
إِنْ أُفَـضِّـلْ صَـفْـعَـهُ بِـالـ ـنَّـعْـلِ أُنْـصِـفْـهُ مُـقَـامَـهْ

العامل الثائر[1]

مَا حِيلَةُ الْمَفْئُودِ فِي حُسَّادِهِ ... إِمَّا اسْتَبَدَّ بِهِ طَغَامُ بِلَادِهِ
صَدَمَتْهُ عَاصِفَةُ الزَّمَانِ فَقَوَّضَتْ ... بَيْتًا بَنَاهُ عَلَى رَجَاءِ فُؤَادِهِ
بَيْتًا أَوَتْ فِيهِ مَوَاكِبُ وَحْيِهِ ... وَتَمَشَّتِ الْأَحْلَامُ بَيْنَ عِمَادِهِ
قَصَدَتْهُ آمَالُ الشَّبَابِ وَطَالَمَا ... كَانَتْ عَذَارَى الْحُبِّ مِنْ قُصَّادِهِ
حَوِّلْ عُيُونَكَ عَنْ مَشَاهِدِهِ فَلَمْ ... تُبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْهُ غَيْرَ رَمَادِهِ
مَا شَادَهُ رَبُّ التَّسَاهُلِ وَالْوَفَا ... إِلَّا لِيَهْدِمَهُ عَلَى عُبَّادِهِ
أَوَلَسْتَ تَسْمَعُ كَيْفَ يُنْشِدُ مُثْخَنٌ ... تَتَصَاعَدُ الزَّفَرَاتُ مِنْ إِنْشَادِهِ
هَذَا فُؤَادِي تُسْتَبَاحُ دِمَاؤُهُ ... مُسْتَقْطَرَاتٍ مِنْ جِرَاحِ وِدَادِهِ

* * *

قَالَ الْحَسُودُ غَدَاةَ أَبْصَرَ مَدْمَعِي ... يَجْرِي بِهِ بَصَرِي بِمِلْءِ سَوَادِهِ
هَذَا ضَعِيفٌ لَا يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى ... إِلَّا وَيَعْزِفُهُ عَلَى أَعْوَادِهِ
يَا عَاذِلِي لَيْسَ اعْتِقَادُكَ مُحْكَمًا ... بِالشَّاعِرِ الْبَاكِي عَلَى أَمْجَادِهِ
فَالشِّعْرُ لَوْ أَدْرَكْتَ وَحْيُ حَقِيقَةٍ ... وَالشَّاعِرُ الرَّسَّامُ طَوْعُ قِيَادِهِ
لِي مَوْطِنٌ عَاثَتْ بِهِ أَوْلَادُهُ ... فَبَكَتْ حُشَاشَتُهُ عَلَى أَوْلَادِهِ
يَحْيَا أَمَامَ عُيُونِهِ جَلَّادُهُ ... وَيَمُوتُ لَاثِمَ قَبْضَتَيْ جَلَّادِهِ

---

[1] أُلقِيَت في حفلة العمَّال في بيروت.

نُـظَّـارُهُ وَهُـمُ شُـعَـاعُ عُـيُـونِـهِ يَـتَـطَـوَّعُـونَ الْـيَـوْمَ لِاسْـتِـعْـبَـادِهِ
جُبَنَاءُ لَا يَتَقَيَّئُونَ بِحُكْمِهِمْ إِلَّا مُـرَاعَـاةً لَـدَى أَسْـيَـادِهِ
لَا بَـأْسَ عِـنْـدَهُـمُ إِذَا لَـعِـبَـتْ بِـهِ أَفْـرَادُهُ وَأَذَاهُ مِـنْ أَفْـرَادِهِ
فَهُمُ الذِّئَابُ وَفِي سَبِيلِ وَظِيفَةٍ تَمْشِي أَظَافِرُهُمْ عَلَى أَكْبَادِهِ
لَـهَـفِـي عَـلَـى وَطَـنٍ تُـضَـامُ أُبَـاتُـهُ وَيَسُودُ فِيهِ النَّذْلُ بِاسْتِبْدَادِهِ
لَبِسَتْ غَرَابِيبُ الْغِنَى أَبْرَادَهُ وَتَـجَـنَّـدَ الْـمُـثْـرِيُّ لِاسْـتِـشْـهَـادِهِ
فِي مَوْطِنِي شَعْبٌ يَبِيعُ بِفِضَّةٍ شَـعْـبًـا يُـقِـيمُ عَـلـى رُبَـى أَجْـدَادِهِ
يَجْتَرُّ عَنْ ظَمَأٍ نِطَافَ دِمَائِهِ وَيَـرِيـشُ نَـبْـلَـتَـهُ عَـلَـى أَجْـسَـادِهِ
مَنْ يَسْتَرِقْ قَوْمًا يَعِيشُ بِمَالِهِمْ فَـلْـتَـبْـصُـقِ الـدُّنْـيَـا عَـلَـى أَلْـحَـادِهِ

* * *

أَعَرُوسَ شِعْرِي يَا صَدَى قَلْبِي الَّذِي حَـالَـتْ عَـبِـيدُ الظُّلْمِ دُونَ جِـهَـادِهِ
كُونِي شُعَاعًا فِي سِرَاجِ صَبَابَتِي فَـالـنَّـاسُ عَـامِـلَـةٌ عَـلَـى إِخْـمَـادِهِ
كُونِـي حُـسَـامًـا لَا يَـمَـلُّ غُـرَابُـهُ لِتُخَلِّصِي الْمَسْجُونَ مِنْ أَصْفَادِهِ
وَامْشِي بِأَعْصَابِ الْحَقُودِ وَأَضْرِمِي نَـارَ الـسَّـلَامِ تَـدُبُّ فِـي أَحْـقَـادِهِ
وَتَـبَـسَّـمِـي لِـدَمٍ أُذَوِّبُـهُ عَـلَـى قَـلَـمِـي الَّـذِي خَـلَّـدْتُـهُ بِـمِـدَادِهِ
وَكَمَا هَدَيْتِ «أَبَا نُوَاسَ» إِلَى الْعُلَى فَـاهْـدِي فُـؤَادِي فَـهْـوَ مِـنْ أَحْـفَـادِهِ
فِي صَوْتِكِ السَّاجِي لُبَانَةُ عَامِلٍ يَسْمُو بِهَا فِي الْحُزْنِ عَنْ أَضْدَادِهِ
مَـا لَامَسَتْ قَـلْـبِـي سَـحَـابَـةُ عِـلَّـةٍ إِلَّا وَكَـانَ غِـنَـاكِ مِـنْ عُـوَّادِهِ

* * *

أَعَرُوسَ شِعْرِي فِي بِلَادِي نَزْوَةٌ سَلَبَتْ مِنَ الْمَفْئُودِ عَذْبَ رُقَادِهِ
لُبْنَانُ يَرْضَى شَوْكَهُ تَاجًا لَهُ وَيُـذِيـبُ نِـقْـمَـتَـهُ عَـلَـى أَوْرَادِهِ
كَمْ فِي رُبَى لُبْنَانَ مِنْ مُتَشَاعِرٍ نَامِي الْفَسَادِ مُفَاخِرٍ بِفَسَادِهِ
يُمْلِي الَّذِي أَمْلَاهُ غَيْرُ يَرَاعِهِ وَيَقُولُ ذَا شِعْرِي وَوَحْيُ رَشَادِهِ
أَيَعِيشُ فِي الْمَاضِي وَيَتْرُكُ غَيْرَهُ يَبْنِي الْجَدِيدَ عَلَى رُسُومِ بِلَادِهِ؟
وَيُـفَـاخِـرُونَ بِـهِ لِأَنَّ نَـسِـيـجَـهُ كَـنَـسِـيـجِـهِـمْ وَمُـرَادَهُـمْ كَـمُـرَادِهِ
فَهُمُ الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ قَدِيمَهُمْ لَا يَـتْـرُكُـونَ الـرَّثَّ مِـنْ أَبْـرَادِهِ
لَا يَفْتَئُونَ يُرَدِّدُونَ بِجَهْلِهِمْ مَـا تَـنْـتِـنُ الْآذَانُ مِـنْ تَـرْدَادِهِ

أَيْـنَ الْأُلَـى رَفَـعُـوا أَرِيـكَـةَ عِـزِّهِ وَبَنَوا مَغَانِي الْمَجْدِ فَوْقَ نِجَادِهِ
الْـجَـالِسُـونَ عَلَـى عُرُوشِ جَـلَالِـهِ وَالْـمَـالِـكُـونَ عَـلَـى ذُرَى أَطْـوَادِهِ
الـلَّابِـسُـونَ بِـسَـطْـوَةٍ أَبْـرَادَهُ وَالْمُضْرِمُونَ الْبَأْسَ فِي أَجْنَادِهِ؟
ذَهَبُوا وَقَدْ بَذَرُوا سَنَابِلَ زَرْعِهِمْ فَـتَـسَـارَعَـتْ غِـرْبَـانُـنَـا لِـحَـصَـادِهِ

في ١ أيار سنة ١٩٢٥

القلب لا يُشرى

انْظُرُوهُ تَرَوْا خَيَالِيَ فِيهِ ... شَفَّهُ سُقْمُهُ فَصَارَ شَبِيهِي
رَشَأٌ حُسْنُهُ يُضَاعِفُ حُبِّي ... الْعَذَارَى فِي فَجْرِهَا تَرْوِيهِ
فَإِذَا مَا النُّجُومُ أَبْدَتْ شُعَاعًا ... فَشُعَاعٌ مِنْ حُسْنِهِ يُخْفِيهِ
وَإِذَا مَا الصَّبَا أَذَاعَتْ حَدِيثًا ... فَالصَّبَا فِي حَدِيثِهَا تَعْنِيهِ
كَمْ سَهِرْتُ الظَّلَامَ أَرْعَى هَوَاهُ ... وَأَنَا شَاخِصٌ بِمِرْشَفِ فِيهِ!
فَكَأَنِّي عَبْدٌ أَوَدُّ رِضَاهُ ... وَأَنَا فَاعِلٌ بِمَا يُرْضِيهِ
وَمِرَارًا لَزِمْتُ غُرْفَةَ يَأْسِي ... أَنْظِمُ الشِّعْرَ وَالْهَوَى يُمْلِيهِ
غُرْفَةَ الْحُزْنِ أَنْتِ تَحْوِينَ صَدْرًا ... كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ لَا يَحْوِيهِ
يَا غَزَالًا أَوَيْتَ قَلْبِيَ رِفْقًا ... صَارَ مَيْتًا ذَاكَ الَّذِي تَأْوِيهِ
إِنْ تَكُنْ تَسْتَحِلُّ قَتْلَ فُؤَادِي ... لَيْسَ فِي الْحُبِّ غَيْرُهُ تَشْتَرِيهِ

في ٧ تشرين[٢] سنة ١٩٢٢

أغنية المجد

سَجَدْتُ فِي هَيْكَلِ الْأَمَانِي مُضَعْضَعَ الْعَقْلِ وَالْجَنَانِ
فِي لَيْلَةٍ لَمْ تُبِنْ شِهَابًا إِلَّا أَرَاشَتْ سَهَمًا رَمَانِي
وَقُلْتُ لِلْمَجْدِ وَهْوَ طَيْفٌ لَمْ أَرَهُ بَعْدُ فِي مَكَانِ
إِنَّ أَمَامِي طَرِيقَ نَفْسِي وَلْيَهْدِنِي مِنْكَ نَيِّرَانِ
إِذَا بِصَوْتٍ كَالْهَمْسِ أَلْقَى فِي مَسْمَعِي هَذِهِ الْمَعَانِي
أَنَا خَفِيٌّ كَالسِّرِّ أَوْ كَالْـ ـهَلَاكِ أَنْقَضُّ فِي ثَوَانِ
أَظْهَرُ فِي سَاعَةِ الطِّعَانِ بَيْنَ ضَبَابٍ مِنَ الدُّخَانِ
وَلَا يَنَالُ الْخُلُودَ مِنِّي إِلَّا فُؤَادُ الَّذِي يَرَانِي
فَمَا لُهَاثِي إِلَّا ضِرَامٌ يَدُبُّ فِي عُنْصُرِ الزَّمَانِ
فَلَا يَغُرَّنَّكَ ابْتِسَامِي فَتَحْتَ جَفْنَيَّ هُوَّتَانِ

* * *

سَكَبْتُ فِي أَعْيُنِ الْمَعَرِّيِّ زَيْتَ النُّبُوَّاتِ مِنْ عُيُونِي
وَقُلْتُ لِلنَّاصِرِيِّ طَهِّرْ ذُنُوبَهُمْ بِالدَّمِ الثَّمِينِ
قَلْتُ لِقَيْسٍ عَشِيقِ لَيْلَى أَنْشِدْ وَمُتْ رَافِعَ الْجَبِينِ
قُلْتُ لِلِينِينَ نَمْ قَرِيرًا أَنْتَ نَبِيٌّ بَعْدَ قُرُونِ
الصَّمْتُ فِي قُدْسِهِ صَلَاتِي وَمُوحِيَاتُ الْآلَامِ دِينِي
لَا يَرْتَقِي سُلَّمِي ضَعِيفٌ أَنَا لِبَأْسٍ لَسْتُ لِلِّينِ
مَقَالِدِي الصَّبْرُ وَالتَّأَنِّي وَشِدَّةُ الْعَزْمِ فِي الشُّئُونِ

أَحْمِلُ فِي مُقْلَتِي عَذَابًا وَشُعْلَةَ النَّارِ فِي جَبِينِي
الشَّيْخُ مِثْلُ الْفَتِيِّ عِنْدِي مَنْ يَسْعَ تُفْتَحْ لَهُ يَمِينِي
لَمَّا أُعَيِّنْ وَقْتَ حُضُورِي فَبَعْدَ حِينٍ أَوْ قَبْلَ حِينِ

* * *

الْبَعْضُ مَاتُوا تَحْتَ ذِرَاعِي أَمَامَ مِصْبَاحِي الْمُنِيرِ
وَالْبَعْضُ مَاتُوا مُذْ جِئْتُ حَتَّى أُلْقِي عَلَى رَأْسِهِمْ زُهُورِي
الْمَوْتُ فِي مَجْدِهِ شِعَارِي وَنَافِخٌ فِي الدُّجَى نَفِيرِي
فَقِبْلَةُ الْخُلْدِ لَمْ أَضَعْهَا إِلَّا عَلَى حَافَّةِ الْقُبُورِ
مَنْ يَطْلُبِ الْمَجْدَ فِي حَيَاةٍ فَلْيَشْتَرِ الْمَجْدَ بِالزَّفِيرِ
أَنَا هَزَارٌ فِي اللَّيْلِ أَشْدُو لَحْنِي عَلَى مَسْمَعِ الدُّهُورِ
يَسْمَعُنِي الْمَوْتُ فِي دُجَاهُ وَهْوَ يُمَاشِي خُطَى الْعُصُورِ
أَشْرَبُ مِنْ أَدْمُعِ عَذَارَى وَمِنْ دِمَاءِ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ
وَلَسْتُ أُحْيِي ذِكْرًا مَجِيدًا لِذِي نُبُوغٍ وَذِي ضَمِيرِ
إِلَّا إِذَا مَا افْتَرَسْتُ قَلْبًا يَكُونُ أَقْوَى مِنَ النُّسُورِ

ولِمَا تَقيسُون الصلاة؟

وَيْلُ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَدِيرْ وَيْلُ الْأَثِيمِ مِنَ الْمَصِيرْ
هَذَا يُمَاشِيهِ النَّصِيـ ـرُ وَذَا يُقِيمُ بِلَا نَصِيرْ
هَذَا يُمَجَّدُ بِالشُّرُو رِ وَذَا يُهَانُ بِلَا شُرُورْ
هَذَا يُظَنُّ مِنَ اللُّبَا بِ وَذَا يُخَالُ مِنَ الْقُشُورْ
وَيْحُ الصَّغِيرِ فَإِنَّهُ شِلْوٌ بِأَنْيَابِ الْكَبِيرْ
شَرَفُ الضَّمِيرِ لَدَى الْمُسَوَّ دِ أَنْ يَكُونَ بِلَا ضَمِيرْ

* * *

وَصَبِيحَةٍ قَدْ جُزْتُهَا فِي مُنْحَنَى وَادٍ نَضِيرْ
تَرَكَتْ بِصَدْرِي عِلَّةً يَحْدُو بِهَا حَادِي السَّعِيرْ
شَاهَدْتُ ثَاكِلَةً تَنُو حُ وَرَاءَ تَابُوتٍ حَقِيرْ
تَرْثِي ابْنَهَا بِمَدَامِعٍ حَرَّى مِنَ الْقَلْبِ الْكَسِيرْ
نَظَرَتْ إِلَى التَّابُوتِ بَا كِيَةً عَلَى أَمَلٍ أَخِيرْ
وَكَأَنَّ مُقْلَتَهَا سِرَا جٌ كَادَ يُطْفِئُ بِالزَّفِيرْ
وَارَتْ يَدُ التُّرْبِ التُّرَا بَ وَعَادَ حَفَّارُ الْقُبُورْ
وَالْكَاهِنُ الْمَأْجُورُ تَمْـ ـتَمَ مُدَّةَ الْوَقْتِ الْقَصِيرْ
وَمَضَى وَخَلَّى الْمَيْتَ تُؤْ نِسُهُ الْجَدَاوِلُ بِالْخَرِيرْ
وَتَزُورُهُ عِنْدَ الْمَسَا وَالْفَجْرِ أَسْرَابُ الطُّيُورْ

بَكَتِ السَّمَاءُ ابْنَ الشَّقَا ءِ بِمَدْمَعِ الزَّهْرِ الْغَزِيرْ
وَاللَّيْلُ ذَوَّبَ فِي الضَّرِيـ ـحِ عَوَاطِفَ الْبَدْرِ الْمُنِيرْ

* * *

إِي مَعْشَرَ الْقَوْمِ الْأُلَى سَنُّوا الشَّرَائِعَ لِلْعُصُورْ
أَتَفَاوُتٌ بَيْنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ حَتَّى فِي الْقُبُورْ
حَقُّ التَّحَبُّرِ لِلْغَنِيِّ وَلَا حُقُوقٌ لِلْفَقِيرْ
هَذَا إِلَى الْأَمْوَاتِ يَسْـ ـقُطُ، ذَاكَ يَنْزِلُ بِالْحَرِيرْ
مَاذَا! أَلَيْسَ اللهُ مَجَّا نًا لِخَلْقٍ مُسْتَجِيرْ
أَتَفَاوُتٌ بَيْنَ الْفَقِيـ ـرِ لَدَى الْمُهَيْمِنِ وَالْأَمِيرْ
مَاذَا؟ أَلَا تَرْضَى الْمَلَا ئِكُ أَنْ تَنَازَلَ بِالظُّهُورْ
إِلَّا مَتَى تَرْشُونَهَا بِالْمَالِ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرْ
لِمْ يَا تُرَى حَدَّدْتُمُ ثَمَنًا لِرَبِّكُمُ الْقَدِيرْ؟
حَتَّى يُطَافَ بِهِ وَرَا ءَ النَّعْشِ بِالْعَدَدِ الْغَفِيرْ
وَلِمَا تَقِيسونُ الصَّلَا ةَ إِذَا عَدَلْتُمْ فِي الْأُمُورْ؟
لِأُولِي الشَّقَاءِ قَصِيرَةً وَطَوِيلَةً لِأُولِي الْقُصُورْ
الْحَوْرُ يَرْمِي ظِلَّهُ فِي الْقَفْرِ وَالْحَقْلِ النَّضِيرْ
لَا فَرْقَ عِنْدَ ظِلَالِهِ بَيْنَ الْعَشَابَةِ وَالزُّهُورْ

* * *

رُومَا! يَوَدُّ اللهُ أَنْ يَمْشِي التَّسَاوِي فِي الصُّدُورْ
وَيَوَدُّ أَنْ يُعْطَى وَلَيْـ ـسَ يُبَاعُ فِي يَوْمِ النُّشُورْ
أَوَلَمْ يَهَبْ دَمَهُ الطَّهُو رَ وَفَلْذَةَ الْكَبِدِ الطَّهُورْ
فَالنَّفْسُ تَطْلُبُ مُرْسَلًا لَا تَاجِرًا وَاهِي الضَّمِيرْ

في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٥

خاطرة

انْفِ عَنْكَ الْأَحْزَانَ وَالْحَسَرَاتِ مُعْرِضًا عَنْ وَجْهَيْهِمَا التَّوْءَمَيْنِ
وَتَنَعَّمْ مُجَاهِدًا فِي الْحَيَاةِ لَا يَمُرُّ الصِّبَا بِهَا مَرَّتَيْنِ

في ٣٠ آذار سنة ١٩٢٢

ما بعد منتصف الليل

مَرَّ جُنْحٌ مِنَ الظَّلَامِ وَقَلْبِي ... لَمْ يَزَلْ يَسْتَمِرُّ فِي خَفَقَانِهْ
وَهَفَا النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي فَرُوحِي ... فِي وُجُودٍ ضَلَّ الْهُدَى عَنْ مَكَانِهْ
أَنَا فِي مُخْدَعٍ تَكَادُ لِآهَا ... تِي تَسِيلُ الدُّمُوعُ مِنْ جُدْرَانِهْ
ضَيِّقٍ مُظْلِمٍ فَلَوْ أَقْبَلَ النُّو ... رُ إِلَيْهِ لَخَافَ لَوْنَ دَهَانِهْ
وَأَمَامِي الْقَنْدِيلُ يَلْمَعُ نُورًا ... فَإِخَالُ الْجَحِيمَ فِي لَمَعَانِهْ
وَأَرَاهُ يَسَالُنِي عَنْ شُجُونِي ... لَوْ حَبَاهُ الْإِلَهُ نُطْقَ لِسَانِهْ
يَشْعُرُ الْقَلْبُ مِنْ دَمِي بِدَبِيبٍ ... كَدَبِيبِ الْبُرْكَانِ فِي هَيَجَانِهْ
وَأَرَى بَيْنَ إِصْبَعَيَّ لُفَافًا ... تَتَلَاشَى أَعْمَارُنَا كَدُخَانِهْ
سَاهِرٌ فِي كَآبَتِي وَحَبِيبِي ... بِسَلَامٍ يَنَامُ عَنْ أَشْجَانِهْ
فَبَنَانُ الرُّقَادِ تَسْكُبُ سِحْرًا ... وَتُذِيبُ الْأَحْلَامَ فِي أَجْفَانِهْ
أَنْصَفَ اللَّيْلُ مَا لِقَلْبِي يُنَاجِي ... فِي سُكُونِ الدُّجَى هَوَى سُكَّانِهْ
مَسَّهُ عَارِضُ الْجُنُونِ فَلَوْلَا ... أَضْلُعِي لَاسْتَطَارَ عَنْ جُثْمَانِهْ
أَسْمَعُ اللَّيْلَ فِي الْفَضَاءِ يُغَنِّي ... وَحَفِيفُ الْأَوْرَاقِ مِنْ أَلْحَانِهْ
تِلْكَ أُنْشُودَةُ الْحَيَاةِ يُغَنِّيـ ... ـهَا لِسَانُ الدُّجَى عَلَى عِيدَانِه
وَأَرَى ظُلْمَةَ الدُّجُنَّةِ إِبْلِيـ ... ـسًا نُجُومُ الْفَضَاءِ مِنْ أَعْوَانِهْ
مَوْكِبٌ مِنْ عَرَائِسِ الْجِنِّ يَمْشِي ... لِلِقَاءِ الشَّيْطَانِ فِي إِيوَانِهْ
هُمْ يَقُولُونَ مَا بِهِ وَهَوَاهُ ... حَسْبَمَا يَبْتَغِي وَطَوْعَ بَنَانِهْ
حِينَ نَادَى جَنَانُهُ رَحْمَةَ الْحُبِّ ... اسْتَجَابَ الْهَوَى نِدَاءَ جَنَانِهْ

* * *

إِي وَلَـكِـنْ! لَـوْ يُـدْرِكُـونَ أُمُـورًا قَـدْ رَمَـاهَـا الْـفُـؤَادُ فِـي كِتْـمَـانِـهْ
لَـوْ هُـمُ يَـعْـلَـمُـونَ مَـاذَا يُـقَـاسِـي عَـاشِـقٌ يَـسْـتَـجِـيرُ فِـي لُـبْـنَـانِـهْ
لَـوْ دَرَوْا أَنَّ فِـي الـطَّـبِـيـعَـةِ عَـدْلًا قَـطَـعَ الـظُّـلْـمُ كِـفَّـتَـيْ مِـيـزَانِـهْ
لَاسْـتَـبَـاحُـوا كُـفْـرَانَـهُ وَاسْـتَـحَـلُّـوا أَنْ يَـظَـلَّ الْـحَـزِيـنُ فِـي كُـفْـرَانِـهْ

* * *

رَبِّ! عَـفْـوًا لَـقَـدْ فَـقَـدْتُ شُـعُـورِي فَـشُـعُـورِي يَـهِـيـمُ فِـي تَـيَـهَـانِـهْ
كُـنْ شَـفِـيـقًـا عَـلَـيَّ وَارْحَـمْ فُـؤَادِي إِذْ تَـرَاهُ قَـدْ ضَـلَّ عَـنْ إِيـمَـانِـهْ
إِنَّ قَـلْـبِـي مَـأْوًى لِـكُـلِّ عَـذَابٍ قَـدْ أَوَاهُ الـضَّـنَـا بِـلَا اسْـتِـئْـذَانِـهْ
فَـكَـأَنِّـي وُجِـدْتُ فِـي الْـكَـوْنِ حَـتَّـى أَشْـرَبَ الْـكَـأْسَ مِـنْ يَـدَيْ شَـيْـطَـانِـهْ

* * *

يَا صَـدِيـقِـي إِنْ شِـئْـتَ تِـبْـيَـانَ قَـلْـبِـي فَـجَـبِـيـنِـي يُـنْـبِـيـكَ عَـنْ تِـبْـيَـانِـهْ
رَسَـمَ الْـقَـلْـبُ طَـيْـفَـهُ فِـيـهِ فَـانْـظُـرْ يَـعْـرِفُـونَ الْـكِـتَـابَ مِـنْ عُـنْـوَانِـهْ
يَا صَـدِيـقِـي انْـظُـرْ لِـبُـسْـتَـانِ عُـمْـرِي كَـيْـفَ دَبَّ الـذُّبُـولُ فِـي أُقْـحُـوَانِـهْ
فَـشَـبَـابِـي أَخْـنَـتْ عَـلَـيْـهِ صُـرُوفٌ أَفْـقَـدَتْـهُ الـنَّـضَـارَ مِـنْ رَيْـعَـانِـهْ
صِـرْتُ فِـي وَحْـدَتِـي أُخَـاطِـبُ «مُـوسَـهْ» رَاشِـفًـا فِـي الـظَّـلَـامِ سِـحْـرَ بَـيَـانِـهْ
كَـانَ مِـثْـلِـي فَـغَـيَّـبَ الْـقَـبْـرُ مِـنْـهُ جَـسَـدًا بَـالِـيًـا قُـبَـيْـلَ أَوَانِـهْ
شَـاعِـرَ الـدَّمْـعِ هَـلْ مِـنَ الـدَّمْـعِ بُـدٌّ فِـي وُجُـودٍ أَلْـعَـيْـنُ مَـنْ غُـدْرَانِـهْ؟
أَفْـعَـمَ الْـكَـوْنُ بِـالْـعَـذَابِ حَـيَـاتِـي فَـلِـهَـذَا تَـاقَـتْ إِلَـى أَكْـفَـانِـهِ

في ٢٧ ك٢ سنة ١٩٢٢

تَذْكاراتٌ وآلام

فِي ذِمَّةِ الْمَاضِي انْطَوَتْ سَاعَاتُ أَحْلَامِي الْعِذَابْ
أَيَّامَ لَا هَمٌّ سِوَى هَمِّ الْمُعَلِّمِ وَالْكِتَابْ
أَيَّامَ كَانَ أَبِي الشَّبَا بَ وَكُنْتُ نُورًا لِلشَّبَابْ
أَيَّامَ حُلْمِي لَمْ يَكُنْ إِلَّا شُعَاعًا مِنْ شِهَابْ
إِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ الْهِضَا بَ وَمَا عَلَى تِلْكَ الْهِضَابْ
وَالشَّمْسُ تُوشِكُ أَنْ تَغِيـ ـبَ وَيُعْلِنَ الْجَرَسُ الْغِيَابْ
وَأَبِي عَلَى صَخْرٍ يُحَدْ ـدِقُ فِي عَشِيَّةِ صَيْفِ آبْ
فِيمَا تَرَاهُ كَانَ يَفْـ ـكُرُ وَهْوَ يَنْظُرُ فِي الضَّبَابْ؟

* * *

لَمْ أَنْسَ أَتْرَابِي الْأُولَى كَانُوا وَكُنْتُ لَهُمْ مُدَامَا
إِنْ جِئْتُهُمْ مُتَبَسِّمًا أَلْقَ ارْتِيَاحًا وَابْتِسَامَا
وَإِذَا غَضِبْتُ تَشَاوَرُوا فِيمَا يُعِيدُ لِيَ السَّلَامَا
عَبَثَ الشَّبَابُ بِهِمْ فَغَيْـ ـيَرَ خَلْقَهُمْ عَامًا فَعَامَا
إِنَّ الشَّبَابَ مَلَاعِبُ الْـ أَيَّامِ فَاحْذَرْ أَنْ تُضَامَا
فِي ذِمَّةِ الْقَبْرِ الْقَصِيِّ حُشَاشَةٌ ذَابَتْ هُيَامَا
خَفَّتْ إِلَيْهَا فِي التُّرَا بِ يَتِيمَةٌ بَيْنَ الْيَتَامَى
هِيَ نَفْسِيَ الثَّكْلَى وَقَدْ صَلَّى الْعَذَابُ لَهَا وَصَامَا

* * *

أُمِّـي وَقَـدْ وَجَـدَ الـضَّـنَـى فِـي مُـقْـلَـتَـيْـهَـا مَـدْخَـلَـهْ
تَـرْثِـي الْـحَـيَـاةَ كَـأَنَّـهَـا مِـنْ نِـصْـفِ شَـهْـرٍ أَرْمَـلَـةْ
كَـمْ مَـرَّةٍ نَـظَـرَتْ إِلَـيَّ فَـتَـمْـتَـمَـتْ مَـا أَجْـمَـلَـهْ!
لَـوْ كُـنْـتُ أَقْـرَأُ مِـنْ خِـلَا لِ عُـيُـونِـهِ مُـسْـتَـقْـبَـلَـهْ
أَنَـا فِـي سَـبِـيـلٍ لَا أَكَـا دُ الْـيَـوْمَ أُدْرِكُ أَوَّلَـهْ
يَـا أُمِّ رِفْـقًـا وَاصْـبِـرِي لَا بُـدَّ لِـي أَنْ أُكْـمِـلَـهْ
أَنْـجَـزْتُ مَـرْحَـلَـةَ الـشَّـقَـا وَعَـلَـيَّ أَيْـضًـا مَـرْحَـلَـةْ
حَـمَـلَ الْـمَـسِـيـحُ صَـلِـيـبَـهُ حَـتَّـى أَعَـالِـي الْـجَـلْـجَـلَـةْ

في ١٠ شباط سنة ١٩٢٥

يا بلادي!

يَا بِلَادِي،
هُوَ ذَا قَلْبِيَ يَبْكِي
فَوْقَ أَطْلَالِ هَوَاهُ، وَيُنَادِي
يَا بِلَادِي!

* * *

لَوْ تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِنْهُ
جَارِيًا فِي الصَّدْرِ، مِثْلَ الْجَدْوَلِ
تَمْتَلِي مِنْهُ عُيُونِي،
وَخُدُودِي الصُّفْرَ مِنْهُ تَمْتَلِي
فَاسْتَقِي مِنْهُ وُدَادًا
فَدُمُوعِي مِنْ وِدَادِي
يَا بِلَادِي!

* * *

إِنْ أَرَ الْحُبَّ قَسِيًّا،
لَا أَجِدْ فِي جَوْرِهِ إِلَّا فُؤَادِي،
أَوْ أَرَ الذُّلَّ انْتِشَارًا،
لَا أَجِدْ فِي سِتْرِهِ إِلَّا بِلَادِي.
اخْفِضِي الرَّأْسَ إِلَى أَنْ
تَرْفَعِيهِ بِالْجِهَادِ
يَا بِلَادِي!

* * *

أَيْنَمَا سِرْتُ أَرَى النَّا
سَ لَدَى ذِكْرِكِ دَوْمًا يَهْزَءُونْ،
فَهُمُ مِنْكِ، وَلَكِنْ
جَحَدُوا، وَالنَّاسُ قَوْمٌ جَاحِدُونْ،
وَهُمُ الْأَبْنَاءُ بَاعُوا الْـ
أُمَّ فِي سُوقِ الْمَزَادِ
يَا بِلَادِي!

* * *

حَدِّثِينَا عَنْ جُدُودٍ
ظَلَّلَ الْأَرْزُ ثَرَاهُمْ مِنْ قَدِيمِ،
وَعَنِ الْحُكَّامِ لَمَّا
حَكَمُوا فِيكِ بِقَانُونٍ قَدِيمِ
عَلِّمِي الْيَوْمَ قُضَاةَ الْـ
ـعَدْلِ، إِنْصَافَ الْعِبَادِ
يَا بِلادِي!

* * *

يَا بِلَادِي إِنْ دَعَانِي
نَسَبِي التَّوْرَابُ فِي تِلْكَ اللُّحُودِ،
وَانْطَفَتْ نَارُ هَيَامِي،
وَخَبَا زَيْتِي بِمِصْبَاحِ الْوُجُودِ،
لَا تَعُدِّينِي رَمَادًا،
فَهُيَامِي فِي رَمَادِي،
يَا بِلَادِي!

في ٢٨ ك٢ سنة ١٩٢٤

العَرَّافة

هَـذِهِ الْـقِـصَّـةُ لَا شَـأْنَ لَـهَـا ... بِـأَقَـاصِـيـصِ عَـجُـوزٍ خَـطِـلِ
فَـهْـيَ نُـطْـقٌ سَـمِـعَـتْـهُ أُذُنِـي ... وَبَـيَـانٌ أَبْـصَـرَتْـهُ مُـقَـلِـي
فَـأَنَـا فِـي سَـرْدِهَـا أَصْـدُقُ إِذْ ... إِنَّـهَـا قَـدْ حَـدَثَـتْ فِـي مَـنْـزِلِـي
فَـاسْـمَـعُـوهَـا وَافْـقَـهُـوا جَـوْهَـرَهَـا ... وَخُـذُوا مَـوْعِـظَـةً مِـمَّـا يَـلِـي:

* * *

قُمْتُ فِي ذَاتِ ضُحًى مِنْ مَضْجِعِي ... وَبَنَاتُ الشِّعْرِ قَدْ قَامَتْ مَعِي
وَتَـوَجَّـهْـتُ كَـأَمْـسِـي يَـائِـسًـا ... أَنْـزَوِي مُـنْـفَـرِدًا فِـي مَـخْـدَعِـي
مَـخْـدَعٌ كَـالْـقَـفَـصِ الـضَّـيِّـقِ قَـدْ ... سَـكَـنَـتْ فِـيـهِ عَـذَارَى أَدْمُـعِـي
كُـلُّ عَـذْرَاءَ عَـلَـى قِـيـثَـارِهَـا ... هَـجَـعَـتْ وَالـشِّـعْـرُ بَـيْـنَ الْـمُـقَـلِ

* * *

فَـسَـمِـعْـتُ الـطَّـيْـرَ فِـي مَـجْـثَـمِـهِ ... مُـنْـشِـدًا يَـسْـتَـقْـبِـلُ الْـفَـجْـرَ الْـجَـدِيـدَا
وَرَأَيْـتُ الْـفَـجْـرَ سَـكْـرَانَ هَـوًى ... يَـرِدُ الـطُّـهْـرَ وَلَا يَـسْـقِـي الْـوُجُـودَا
وَعَـلَـى قِـيـثَـارِ «فِـيـنُـوسَ» شَـدَتْ ... رَبَّـةُ الْـحِـكْـمَـةِ «مِـيـنِـرْفَـا» النَّـشِـيـدَا
إِنَّ لِـلْـفَـجْـرِ غَـرَامًـا طَـاهِـرًا ... مَـا دَرَى مَـعْـنَـاهُ غَـيْـرُ الْـبُـلْـبُـلِ

* * *

طَـلَـعَ الـصُّـبْـحُ رُوَيْـدًا وَأَنَـا ... أَسْـكُـبُ الْأَشْـعَـارَ مِـنْ قَـارُورَتِـي
مُـطْـلِـقًـا زَفْـرَةَ صَـدْرِي بِـأَسًـى ... فَـأُثِـيـرُ الـرُّوحَ فِـي نَـرْجِـيـلَـتِـي

وَأَرَى دَخْـنَـتَـهَـا ثَـائِـرَةً تَـتَـلَاشَـى فِـي زَوَايَـا غُـرْفَـتِـي
كُـلَّـمَـا أَطْـلَـقْـتُ فِـيـهَـا زَفْـرَةً هَمَسَتْ فِي الصُّبْحِ حَتَّى يَنْجَلِي

* * *

وَإِذَا صَـوْتٌ تَـعَـالَـى مُـلْـحِـنًـا مِنْ بَعِيدٍ مِثْلَ أَوْتَارِ النَّغَمْ
صَادَمَتْهُ نَسَمَاتٌ فِي الصِّبَا فَأَتَى كَالْهَمْسِ فِي أُذْنِ النَّسَمْ
عِنْدَ ذَا أَطْلَلْتُ مِنْ نَافِذَتِي تَارِكًا قِرْطَاسَ شِعْرِي وَالْقَلَمْ
فَـإِذَا بِـصَّـارَةٌ بَـرَّاجَـةٌ تَكْشِفُ الْبَخْتَ بِقَوْلٍ مُنْزَلِ

* * *

مَـا تَـرَدَّدْتُ بِـأَنْ نَـادَيْـتُـهَـا وَعَلَى ثَغْرِي خَيَالُ الْبَسَمَاتْ
فَأَتَتْ وَالْوَشْمُ فِي مِرْشَفِهَا طُرُقَاتٌ لِـمُـرُورِ الْـمُـعْـجِـزَاتْ
قُلْتُ يَا عَرَّافَتِي هَلْ أَنْتِ مَنْ قَرَأَتْ فِي الْغَيْبِ أَسْرَارَ الْحَيَاةْ؟
أَطْـلِـعِـيـنِـي عَنْ مَآتِي وَطَنِي وَعَنِ الْحَالَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ

* * *

فَـأَجَـابَـتْ بَـعْـدَ أَنْ مَـدَّتْ يَـدًا لاسْتِلَامِ الْغِرْشِ مِنْ كَفِّي نَصِيبْ
وَرَمَتْ فِي حُـجْـرَتِـي أَبْـوَاقَـهَـا فَـتَـعَـالَـى نَـغَـمٌ مِـنْـهَـا غَـرِيـبْ
ضَعْ عَلَى الْأَبْوَاقِ يُمْنَاكَ وَقُلْ إِنَّـنِـي آمَـنْـتُ بِـاللـهِ الْـمُـجِـيـبْ
ثُـمَّ قَـالَـتْ لِـي كَـلَامًـا صَـائِـبًـا فَاسْمَعُوا يَا قَوْمُ مَا قَالَتْهُ لِي:

* * *

إِنَّ لُـبْـنَـانَ ضَـعِـيـفٌ رَازِحٌ تَـحْـتَ أَثْـقَـالِ ظَـلَام أَسْـوَدِ
لَـعِـبَـتْ فِـتْـيَـانُـهُ فِـيـهِ دَدًا مَـا أَرَادَتْ مِـهْـنَـةً غَـيْـرَ الـدَّدِ
هَـجَـعَـتْ سَـكْـرَى بِـأَحْـلَام الصِّبَا هَلْ دَرَتْ مَاذَا تَوَارَى فِي الْغَدِ؟
إِنَّ شَـعْـبًـا كَـثُـرَتْ أَحْـلَامُـهُ لَـهْـوَ شَـعْـبٌ ضَـائِـعٌ فِـي الـدُّوَلِ

* * *

لِـبِـلَادِ الْأَرْزِ أَبْـنَـاءٌ نَـأَتْ فَهْيَ تَشْقَى فِي زَوَايَا الْمَهْجَرِ
وَلَـهَـا قَـلْـبٌ إِذَا مَـا ذُكِـرَ الْـ ـوَطَنُ اهْـتَـزَّ اهْـتِـزَازَ الـشَّـجَـرِ
سَـعْـدُ لُـبْـنَـانَ كَـبِـيـرٌ إِنَّـمَـا بِـسِـوَى أَبْـنَـائِـهِ لَـمْ يَـكْـبُـرِ

وَلَـهُ بُـرْجٌ عَـلَا مُـرْتَـفِـعًـا مِـنْ قَـدِيـمٍ وَغَـدَا لَا يَـعْـتَـلِـي

* * *

عِنْدَمَا الْغُيَّابُ تَعْتَادُ الْحِمَى لِتَرَى مُسْتَقْبَلًا فِي الْوَطَنِ
عِنْدَمَا الْأَهْوَاءُ تُمْسِي مُسْكِرًا جَارِيَاتٍ مِنْ أَعَالِي الْقُنَنِ
عِنْدَمَا الْمَهْجَرُ يُمْسِي خَالِيًا مِنْ رِجَالٍ نَشَأَتْ فِي الدِّمَنِ
بَشِّرُوا لُبْنَانَ بِالْعَوْدِ إِلَى زَمَنٍ مِثْلِ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

* * *

عِنْدَمَا الْبَغْضَاءُ تُمْسِي مُهَجًا تَنْسِلُ الْحُبَّ وَتَأْوِي الرَّجُلَا
عِنْدَمَا الْأَرْمَاحُ تُمْسِي سِكَكًا وَفِرِنْدِ السَّيْفِ يُمْسِي مِنْجَلَا
عِنْدَمَا الْحَاكِمُ فِي عِزَّتِهِ يُنْجِدُ الْفَلَّاحَ حَتَّى يَعْمَلَا
بَشِّرُوا لُبْنَانَ بِالْعِزِّ فَمَا وَطَنٌ عَزَّ بِغَيْرِ الْعَمَلِ

* * *

كُنْتُ أُصْغِي وَفُؤَادِي نَابِضٌ وَعُيُونِي شَاخِصَاتٌ فِي السَّحَابْ
نَاظِرًا فِي عَالَمِ الْمَاضِي إِلَى مَجْدِ قَوْمِي الْمُتَلَاشِي كَالضَّبَابْ!
إِنَّ زَيْتَ الْمَجْدِ لَا تُشْعِلُهُ زَفَرَاتُ الْيَأْسِ مِنْ صَدْرِ الشَّبَابِ
فَالتَّآخِي وَالْقُوَى تُضْرِمُهُ هَلْ مُؤَاخَاةٌ بِهَذَا الْجَبَلِ؟

* * *

عِنْدَ هَذَا نَهَضَتْ عَرَّافَتِي بَعْدَمَا قَدْ جَمَعَتْ أَبْوَاقَهَا
وَمَضَتْ تُسْرِعُ بِالْمَشْيِ وَقَدْ وَهَبَتْ مِنْ سِحْرِهَا أَحْدَاقَهَا
وَلَدُنْ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ مَنْزِلِي وَمَضَتْ نَاشِدَةً عُشَّاقَهَا
صَرَخَتْ: بَصَّارَةٌ بَرَّاجَةٌ تَكْشِفُ الْبَخْتَ بِقَوْلٍ مُنْزَلِ

خاطرة

كُلُّ سَعْدٍ يُبْنَى عَلَى شِقْوَةِ الْغَيْـ ـرِ فَهَذِي شَرِيعَةُ الْأَيَّامِ
انْظُرِ الشَّمْسَ كَيْفَ صَارَتْ نَهَارًا حِينَ وَارَتْ نِصْفَ الْوَرَى فِي الظَّلَامِ

يا بنت لبنان

امْحِي السَّوَادَ عَنِ الْأَهْدَابِ فِي الْمُقَلِ وَامْحِي احْمِرَارَ اللُّمَى الْمَمْزُوجِ بِالْقُبَلِ
فَلَسْتُ أَرْغَبُ جَفْنَ الْعَيْنِ مُكْتَحِلًا وَلَسْتُ أَنْشُدُ إِلَّا حُمْرَةَ الْخَجَلِ
وَلَا تَوَدُّكَ نَفْسِي غَيْرَ طَاهِرَةٍ كَأَدْمُعِ الْقَلْبِ فِي قَارُورَةِ الْغَزَلِ

* * *

يَا بِنْتَ لُبْنَانَ يَا نِبْرَاسَ إِظْلَامِي كُونِي حَيَاةً تَمْشِي بَيْنَ أَعْظَامِي
وَفِي عُيُونِيَ مِرْآةٌ أَرَاكِ بِهَا وَفِي فُؤَادِي مُؤَاسَاةٌ لِآلَامِي
فَأَنْتِ رَمْزٌ لِإِيحَائِي وَإِلْهَامِي أَبْصَرْتُهُ مِنْ كُوَى حُبِّي وَأَحْلَامِي

* * *

يَا بِنْتَ لُبْنَانَ كُونِي الْجُزْءَ مِنْ كَبِدِي وَامْشِي مَعِي فِي ذِهِ الدُّنْيَا يَدًا بِيَدِ
فَأَمْسِ كُنْتِ فَتَاةً تَلْعَبِينَ دَدًا لَكِنْ شَبَبْتِ وَأَمْسَى الْيَوْمُ غَيْرَ دَدِ
فَأَنْتِ أُخْتٌ تُؤَاسِينَ الْحَيَاةَ غَدًا وَأَنْتِ أُمٌّ لَهِذَا الْكَوْنِ بَعْدَ غَدِ

* * *

يَا بِنْتَ لُبْنَانَ بِنْتَ الْمَجْدِ وَالشَّانِ يَا ظَبْيَةً مَرِحَتْ فِي جَنَّةِ الْبَانِ
خُذِي احْمِرَارَكِ مِنْ زَهْرِ الْمُرُوجِ فَفِي الْمُرُوجِ أَزْهَارُ طُهْرِ الْعَالَمِ الثَّانِي
وَكَحِّلِي الْجَفْنَ بِالْآدَابِ وَافْتَخِرِي بِأَنَّ كُحْلَكِ مِنْ جَنَّاتِ لُبْنَانِ

* * *

دَعِي سُوَاكِ تَبِيعُ الثَّغْرَ بِالذَّهَبِ فَالثَّغْرُ مَا انْشَقَّ كَيْ يَجْنِي عَلَى الْأَدَبِ
وَلَمْ يَكُنْ ضَرَبُ الْأَفْوَاهِ ذَا ثَمَنٍ فَلَا تَبِيعِي الْهَوَى مِنْ ذَلِكِ الضَّرْبِ
عُرِفْتِ طَاهِرَةً فَابْقَي مُثَابِرَةً لَا تُبْدِلِي الْفُلَّ بِالْأَشْوَاكِ وَالْحَطَبِ

* * *

يَا بِنْتَ لُبْنَانَ مَا أَسْمَى مُسَمَّاكِ! فَالزَّهْرُ يَجْنِي شَذَاهُ مِنْ مَزَايَاكِ
أَنْتِ ابْنَةُ الْكَرَمِ الْمَوْرُوثِ مِنْ قِدَمٍ وَحَيْثُ تَأْوِي ظِبَى الْمَرْدِيتِ مَأْوَاكِ
فَإِنْ تَعَالَى إِلَيْكِ النَّوْحُ مِنْ تَعَسٍ ارْمِي «لِعَازِرَ» شَيْئًا مِنْ عَطَايَاكِ

* * *

فِي ذَاتِ لَيْلٍ وَقَدْ فَاتَ الْكَرَى عَيْنِي خَرَجْتُ أَسْرَحُ فِكْرِي مَعْ صَدِيقَيْنِ
فَشِمْتُ نَجْمَ الدُّجَى تَنْضَمُّ سَارِيَةً وَبِائْتِلَافٍ تَمَشَّى كُلَّ نَجْمَيْنِ
وَغَيْمَتَيْنِ أَطَلَّ الْبَدْرُ بَيْنَهُمَا شَبِيهُ جَوْهَرَةٍ مَا بَيْنَ نَهْدَيْنِ

* * *

فَقُلْتُ وَالنَّفْسُ تَعْدُو رَائِدَ الْأَمَلِ الِائْتِلَافُ أَسَاسُ الْجِدِّ وَالْعَمَلِ
فَفِي الْفَتَاةِ دُرُوسٌ نَسْتَنِيرُ بِهَا إِنَّ الْفَتَاةَ حَيَاةُ الْقَلْبِ فِي الرَّجُلِ
إِذَا اسْتَنَارَتْ وَآخَتْهُ مُصَافَحَةً تَجْرِي دِمَاءُ الْقُوَى فِي مُهْجَةِ الدُّوَلِ

في ٢٣ ك[1] سنة ١٩٢٣

القضاء المفتون

أو مدام فهمي أمام القضاء

كَيْفَ قَوَّضْتُمُ بِنَاءَ الْقَضَاءِ ... فِي سَبِيلِ النَّجَاةِ بِالْحَسْنَاءِ؟
يَا قُضَاةً ظَلَمْتُمُ الْعَدْلَ حَتَّى ... تَرْحَمُوا الْحُسْنَ فِي عُيُونِ النِّسَاءِ
قَدْ عَهِدْنَا أَنَّ الْجَمَالَ حُسَامٌ ... مُرْهَفُ الْحَدِّ بَاتِرٌ ذُو مِضَاءِ
مَا عَهِدْنَاهُ أَنَّهُ الشَّرْعُ حَتْمًا ... جَائِرٌ فِي الْوَرَى عَلَى التُّعَسَاءِ
فَإِذَا كَانَ قَاضِيًا ذَلِكَ الْحُسْـ ... ـنُ يَدِينُ الْعِبَادَ تَحْتَ الْخَفَاءِ
أَجْلِسُوهُ عَلَى الْمِنَصَّةِ جَهْرًا ... وَاسْتَعِيضُوا بِهِ عَنِ الزُّعَمَاءِ
يُصْبِحُ الْعَدْلُ حِينَ ذَلِكَ فُحْشًا ... وَيَغُورُ الْوُجُودُ فِي الْفَحْشَاءِ
وَالْفَقِيرُ الضَّعِيفُ يُمْسِي ذَلِيلًا ... وَتَصِيرُ الْأَحْكَامُ لِلْأَغْنِيَاءِ
كَمْ بَرِيءٍ فِي السِّجْنِ أَمْسَى شَقِيًّا ... مِنْ ضَحَايَا الشَّرَائِعِ الْعَمْيَاءِ!
وَلَكَمْ مُجْرِمٍ يَعِيثُ فَسَادًا ... هُوَ فِي شَرْعِكُمْ مِنَ الْأَبْرِيَاءِ!
يَا قُضَاةً وَالْعَدْلُ أَعْظَمُ رُكْنٍ ... لِمَسِيرِ النِّظَامِ فِي الْغَبْرَاءِ
كَيْفَ كَفَّنْتُمُ الشَّبَابَ بِقَانُو ... نٍ تَوَارَى مُلَوَّثًا بِالدِّمَاءِ؟
مَا دَرَى النَّاسُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ الْـ ... ـعَدْلَ رَهْنٌ لِلْأَعْيُنِ النَّجْلَاءِ
وَلَهُ مُهْجَةٌ أُصِيبَتْ بِسَهْمٍ ... مِنْ هَوَى مَرْغِرِيتَ فِي الْأَحْشَاءِ

* * *

أَيْ جَمَالَ النِّسَاءِ أُولِيتَ حُكْمًا فَاحْتَكِمْ مَا تَشَاءُ فِي الضُّعَفَاءِ
إِنْ تَكُنْ سَافِكًا فَكُنْ مُسْتَبِدًّا لَا تَخَفْ مَا هُنَاكَ غَيْرُ الْقَضَاءِ

خاطرة

أُحِبُّكِ حِينَ أَرَاكِ تَنُوحِيـ ـنَ وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ مِنْ نَاظِرَيْكِ
وَأَهْوَى تَقَطُّعَ أَوْتَارِ صَوْتِكْ يُصَعِّدُهُ الْحُزْنُ مِنْ مِرْشَفَيْكِ
أُحِبُّ الْعَذَابَ وَأَهْوَى الْبُكَاءَ وَأَعْشَقُ كَأْسَ الضَّنَا فِي يَدَيْكِ
وَعِنْدِيَ أَنَّ ارْتِوَاءَ الدُّمُوعِ دُمُوعِ الْمُؤَاسَاةِ مِنْ مُقْلَتَيْكِ
لَأَفْضَلُ مِنْ قُبُلَاتِ الْغَرَامِ يُشَرِّبُهَا الْفَمُ مِنْ وِجْنَتَيْكِ

الحزن والجمال

أو مرغريت فهمي أمام الضمير

وقد أزال الحزنُ أثَر الجمال الخلَّاب عن وجهها.

كُنْتِ بِالْأَمْسِ رَبَّةَ الْعَاشِقِينَا تُسْكِرِينَ الْمَلَا وَلَا تَسْكَرِينَا
وَلَقَدْ كُنْتِ تَبْسُمِينَ بِحَظٍّ فَلِمَاذَا أَمْسَيْتِ لَا تَبْسُمِينَا؟
مَا الَّذِي أَوْجَبَ اكْتِئَابَكِ حَتَّى صَارَ رَمْزُ الْجَمَالِ رَمْزًا حَزِينَا؟
أَظْلَمَ الْحُزْنُ فِي عُيُونِكِ نُورًا كَانَ بِالْأَمْسِ فِتْنَةَ النَّاظِرِينَا
أَيْنَ ذَاكَ الْجَمَالُ أَيْنَ جَبِينٌ مَا أَرَانَا مِنْ قَبْلُ هَذِي الْغُضُونَا؟
أَوَلَيْسَتْ هَذِي الْغُضُونُ رُمُوزًا لَمْ تَزَلْ فِي الْفُؤَادِ سِرًّا دَفِينَا
خَفِّفِي الْيَوْمَ وَطْءَ مَشْيِكِ كَيْ لَا يُصْبِحَ الْمَشْيُ نَقْلَةَ الرَّاقِصِينَا
مَا تَعَوَّدْتِ غَيْرَ مَشْيِ دَلَالٍ كُنْتِ حَتَّى الْهَوَى بِهِ تَخْدَعِينَا
خَفِّفِي الْمَشْيَ إِنَّ فِي التُّرْبِ قَلْبًا رَجَعَ الْيَوْمَ بَعْدَ إِثْمِكِ طِينَا
لَا تُصِيخِي لِلْحُبِّ وَامْشِي عَلَيْهِ لَيْسَ عَهْدُ الْغَرَامِ إِلَّا جُنُونَا
لَا تُصِيخِي إِلَى الضَّمِيرِ إِذَا مَا قَالَ يَوْمًا عِبَارَةَ الْمُشْفِقِينَا
«قَدْ أَهَنْتِ الْحَيَاةَ بَعْدَ عَلِيٍّ فَاسْتَحِي الْيَوْمَ لَا تُهِينِي الْمَنُونَا
إِنْ يَكُ الْفِسْقُ مِنْ عَلِيٍّ فَمِنْكِ الْـ ـفِسْقُ وَالْجُورُ بِئْسَ مَا تَفْعَلِينَا

أَنْـتِ أَفْـسَـدْتِـهِ وَكَـانَ غُـلَامًـا ثُـمَّ صَـيَّـرْتِـهِ مِـنَ الْـبَـاذِريـنَـا
انْزَعِي الْحَلْيَ عَنْكِ وَاسْتَبْدِلِيهَا بِـقُـيُـودٍ أَحَـقَّ بِـالـسَّـافِـكِـيـنَـا
هَـذِهِ الْـحَـلْـيُ مِـنْ دِمَـاءِ عَـلِـيٍّ كَيْفَ تُبْقِينَهَا وَلَا تَخْجَلِينَا؟»

* * *

لَا تُصِيخِي يَا مَرْغِرِيتُ لِصَوْتٍ لَيْسَ صَوْتُ الضَّمِيرِ إِلَّا مُجُونَا
وَارْقُصِي إِنْ وَدِدْتِ فَوْقَ تُرَابٍ ضَمَّ قَلْبًا لِمُغْرَمٍ وَعُيُونَا
وَاطْرَحِي الْحُزْنَ عَنْكِ؛ فَالْحُزْنُ جُبْنٌ كَيْفَ يَا غَادَةَ الدِّمَا تَجْنِينَا؟
إِيهِ ضَحِّي الضَّمِيرَ فِي كُلِّ حَالٍ وَمُرِي السَّفْكَ فِي الْوَرَى أَنْ يَكُونَا

في ٢ تشرين[١] سنة ١٩٢٣

دائمًا مرغريت

نَـظَـرَ الـنِّـيـلُ وَالْـمَـدَامِـعُ تَـهْـمِـي كَيْفَ يَهْوَى الْقَضَا «مُنِيرَةَ فَهْمِي»؟

* * *

يَـا قُـضَـاةً ظَـلَـمْـتُـمُ الْـعَـدْلَ مَـرَّةْ فَاسْمَعُوا الْيَوْمَ فِي الْقَضِيَّةِ أَمْرَهْ
إِنْ تَـرَكْـتُـمْ «مُـنِـيـرَةَ» الْإِثْـمِ حُـرَّة تَـرْتَـكِـبْ فِـي حَـيَـاتِـهَـا أَلْـفَ إِثْـمِ

* * *

مِـصْـرُ لَا أَعْـتَـادُ جَـانِـبَـيْـكِ الـذَّامُ فَـلْـتَـحِـدْ عَـنْ رُبُـوعِـكِ الْإِجْـرَامُ
هَـذِهِ مَـرْغِـرِيـتُ وَالْـحُـكَّـامُ بَـرَّأَتْ جُـرْمَـهَـا بِـأَفْـظَـعِ حُـكْـمِ

* * *

هَـذِهِ مَـرْغِـرِيـتُ حُـكَّـامَ مِـصْـرِ فَـانْـظُـرُوا فِـي عُـيُـونِـهَـا أَلْـفَ سِـرِّ
وَتَـوَقَّـوْا جَـمَـالَ ذَاكَ الـثَّـغْـرِ فَـهْـوَ يَـسْـبِـي قَـلْـبَ الْـقُـضَـاةِ وَيُـظْـمِـي

* * *

لَا تُـخَـلُّـوا الْـمِـيـرَاثَ يَـرْنُـو إِلَـيْـهَـا فَـتُـعَـاطِـيـهِ مِـنْ هَـوَى مُـقْـلَـتَـيْـهَـا
وَلَـدَى حَـسْـوَتَـيْـنِ مِـنْ مِـرْشَـفَـيْـهَـا يُـصْـبِـحُ الْإِرْثُ عَـاشِـقًـا بِـالـرَّغْـمِ

* * *

هَـذِهِ مَـرْغِـرِيتُ فِـي أَرْضِ مِـصْـرِ مَا تَرَى أَنْتَ يَا «مَرِيشَالُ»[١] تَجْرِي
اصْمُتِ الْيَوْمَ دَعْ زَمِيلَكَ «فِكْرِي»[٢] يَـنْـصُـرُ الْـعَـدْلَ فَـالْـعَـدَالَـةُ تَـدْمِـي

في ٧ تشرين[٢] سنة ١٩٢٣

[١] المحامي الإنجليزي المشهور الذي دافع عن مرغريت فهمي وبرَّأتها المحكمة.
[٢] المحامي والكاتب المصري الشهير.

وطَوَى الزمانُ كِتابَه

أَيَعِيشُ فِي لُبْنَانَ حُرٌّ وَمَعِيشَةُ الْأَحْرَارِ قَهْرُ
نَفَدَ اصْطِبَارِي فِي الْحَيَا ةِ وَلَمْ يَعُدْ فِي الصَّدْرِ صَبْرُ
مَا لِي مَقَرٌّ ثَابِتٌ فِي مَوْطِنِي مَا لِي مَقَرُّ
كُلٌّ يُطَارِحُنِي الْفِرَا رَ وَلَيْسَ لِي مِنْهُ مَفَرُّ
لُبْنَانُ وَالْمَاءُ الزُّلَا لُ مُرَقْرَقٌ لَا يَسْتَقِرُّ
وَالْمَرْجُ أَخْضَرُ بَاسِمٌ لِلْفَجْرِ وَالْآكَامُ خُضْرُ
وَالْبَحْرُ مِرْآةٌ لَهُ وَلَهُ مِنَ الْأَزْهَارِ ثَغْرُ
وَمِنَ الْجِبَالِ الشَّاهِقَا تِ لَهُ بِنَاءٌ مُشْمَخِرُّ
لُبْنَانُ كَانَ بِبَأْسِهِ أَسْدًا لَهُ الْأَجْيَالُ ظِفْرُ
فَإِذَا دَهَتْهُ صَوَاعِقُ الْـ أَيَّامِ رُعْبًا تَقْشَعِرُّ
فَعَلَيْهِ مَرَّ الْأَنْبِيَا وَالْأَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مَرُّوا
فَسَمَاؤُهُ الْوَحْيُ الصَّحِيـ ـحُ وَتُرْبُهُ مَجْدٌ وَفَخْرُ
إِنْ فَاتَهُ بَأْسٌ قَدِيـ ـمٌ لَمْ يَفُتْهُ سَنًا وَقَدْرُ
فَعَلَى مَفَاخِرِهِ اسْتَمَرَّ وَلَيْسَ يَبْرَحُ يَسْتَمِرُّ
وَالْيَوْمَ قَدْ عَبِثَتْ بِهِ نُوَبٌ وَجَارَ عَلَيْهِ دَهْرُ
وَطَوَى الزَّمَانُ كِتَابُهُ هَلْ بَعْدَ ذَاكَ الطَّيِّ نَشْرُ
قَالُوا وَقَدْ بَصَرُوا بِخَدِّ يَ مِنْ دُمُوعِي يَسْتَدِرُّ
ارْحَلْ لِمِصْرَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَهُمْ، للهِ مِصْرُ

سَأُبِينُ عَنْ وَطَنِي فَفِي وَطَنِي ثَعَالِبُ وَهْيَ كُثْرُ
وَالثَّعْلَبُ الْمُحْتَالُ مَا بَطَلَتْ لَهُ حِيَلٌ وَمَكْرُ
أَنَا لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ فَمَحَبَّةُ الْأَوْطَانِ نَذْرُ
لَكِنَّ لِي عُذْرًا بِهَجْـ ـرِي وَالضَّغَائِنُ فِيهِ عُذْرُ

في ١٥ أيلول سنة ١٩٢٣

خاطرة

أَرِحْ قَلْبَكَ الْخَفَّاقَ مِنْ شِقْوَةِ الْهَوَى فَكُلُّ هَوًى بُؤْسُ الْحَيَاةِ يُرَاوِحُهْ
إِذَا النِّسْرُ لَمْ يَجْثُمْ وَقَدْ ظَلَّ صَاعِدًا يُحَلِّقُ فِي الْأَجْوَاءِ تَبْرَى جَوَانِحُهْ

الحرية

كِعَابٌ أَتَتْ فِي الْحُسْنِ فَخْرَ الْكَوَاعِبِ ... لُبَانَتُهَا نِيطَتْ بِحَدِّ الْقَوَاضِبِ
لَهَا كَوْكَبٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مُنَوِّرٌ ... يُفَاخِرُ بِالْأَنْوَارِ كُلَّ الْكَوَاكِبِ
لِمَاذَا وَلَمْ تَطْلُبْ سِوَى الْحَقِّ رَائِدًا ... تَحُفُّ بِهَا الْأَضْدَادُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
رَغِبْتُ إِلَى الْأَقْوَامِ أَنْ يَحْتَفُوا بِهَا ... فَلَمْ تَنْزِلِ الْأَقْوَامُ عِنْدَ رَغَائِبِي
إِذَا ابْتَسَمَتْ فَاللُّؤْلُؤُ الصِّرْفُ ثَغْرُهَا ... وَإِمَّا بَكَتْ فَالْمَاسُ تَحْتَ الْحَوَاجِبِ
وَفِي طَرَفِ الْأَجْفَانِ سُلَّتْ مَضَارِبٌ ... تَقُومُ عَلَى أَحْدَاقِهَا كَالْمَضَارِبِ
لَقَدْ وَصَمَتْهَا زُمْرَةُ الْجَهْلِ بِالرِّيَا ... وَأَلْوَتْ عَلَى أَفْعَالِهَا بِالْمَثَالِبِ
وَمَا زُمْرَةُ الْجُهَّالِ إِلَّا غَيَاهِبُ ... سَيَخْرِقُ نُورُ الْفَجْرِ لَيْلَ الْغَيَاهِبِ
بَصُرْتُ بِهَا وَالدَّمْعُ فَوْقَ خُدُودِهَا ... وَمَا دَمْعُهَا إِلَّا رُمُوزُ الْمَصَائِبِ
وَقَدْ حَمَلَتْ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ رَأْسَهَا ... وَأَلْقَتْ سَوَادَ الثَّغْرِ فَوْقَ التَّرَائِبِ
فَقُلْتُ لَهَا خَلِّي الْهُمُومَ فَإِنَّهَا ... لِنَاحِيَةِ الْمَغْلُوبِ لَا لِلْغَوَالِبِ
فَلَيْسَ نَصِيرُ الظُّلْمِ إِلَّا مُعَاقَبًا ... سَيَلْقَى مِنَ الْأَيَّامِ شَرَّ الْعَوَاقِبِ
أَلَسْتِ ابْنَةَ «الْبَسْتِيلِ» يَوْمَ خَرَبْتِهِ ... وَشَيَّدْتِ بُرْجَ الْعَدْلِ فَوْقَ الْخَرَائِبِ
وَحَكَّمْتِ سَيْفَ الْحَقِّ فِي عُنُقِ الرِّيَا ... فَسَالَتْ دِمَاءُ الْجَوْرِ مِنْ كُلِّ خَائِبِ
أَمَا أَنْتِ مِنْ رَأْسِ الْوُجُودِ دِمَاغُهُ ... تَجِيئِينَ أَبْنَاءَ الْوَرَى بِالْعَجَائِبِ
جَعَلْتِ دِيَانَاتِ الشُّعُوبِ شَقَائِقًا ... وَآخَيْتِ فِي الْأَكْوَانِ كُلَّ الْمَذَاهِبِ
دُمُوعُكِ مِنْ جَفْنِ اللُّيُوثِ مُذَابَةٌ ... فَلَا تَذْرِفِيهَا مَوْرِدًا لِلثَّعَالِبِ
وَكُونِي عَلَى رَغْمِ النَّوَائِبِ لَبْوَةً ... تَسِيرُ مَعَ الْأَشْبَالِ فَوْقَ النَّوَائِبِ

وَأَعْطِي دُرُوسًا لِلشُّعُوبِ شَرِيفَةً تُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ ارْتِقَاءُ الْمَنَاصِبِ
وَأَنَّ حُقُوقَ الْإِجْتِمَاعِ خَلِيقَةٌ بِأَهْلِيَّةٍ فِي الشَّخْصِ لَا بِمَآرِبِ
لَقَدْ أَخْرَسُوا فِي مِرْشَفَيْكِ حَقِيقَةً مُهَدَّدَةً بِالْوَيْلِ مِنْ كُلِّ غَاضِبِ
فَلا تَخْذُلِي يَا أُخْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ فَلَيْسَ حُسَامُ الْمُسْتَبِدِّ بِقَاضِبِ
لَدَيْكِ مِنَ الْجُنْدِ الْعِظَامِ كَتَائِبٌ فَسِيرِي عَلَى جِسْرِ الْوَلَا بِالْكَتَائِبِ

* * *

عَشِقْتُكِ طِفْلًا يَوْمَ كُنْتِ نَسَائِمًا تَهُزِّينَ مَهْدِي كَالْغُلَامِ الْمُدَاعِبِ
وَقَبَّلْتُ مِنْكِ الثَّغْرَ مُذْ كُنْتِ زَهْرَةً تُقَطِّرُكِ الْأَنْدَاءُ عِنْدَ الْمَغَارِبِ
عَشِقْتُكِ بَدْرًا فِي السَّمَاءِ مُنَوَّرًا يُطِلُّ عَلَى الدُّنْيَا كَعَيْنِ مُرَاقِبِ
فَيَنْظُرُ أَبْنَاءُ الْوُجُودِ مُحَاطَةً بِأَسْدَالِ إِظْلَامٍ كَأَثْوَابِ رَاهِبِ
عَشِقْتُكِ دُونَ الْبَعْضِ رُوحًا تَمَرَّدَتْ عَلَى كُلِّ غَدَّارٍ مُحَابٍ وَكَاذِبِ
لَقَدْ حَطَّمَتْ دُونَ الْجَمِيعِ قُيُودَهَا وَسَارَتْ بِأَبْطَالٍ لَهَا فِي الْمَوَاكِبِ
عَشِقْتُكِ دَوْمًا أُمَّةً مُسْتَقِلَّةً وَلَا شَأْنَ فِي اسْتِقْلَالِهَا لِلْأَجَانِبِ
عَشِقْتُكِ فَوْقَ الْكُلِّ شَاعِرَةً لَهَا مَوَاهِبُ تَسْمُو فَوْقَ كُلِّ الْمَوَاهِبِ
كَتَبْتِ عَلَى لَوْحِ الْوُجُودِ بِرِيشَةٍ لَهَا مَهْبِطُ الْإِلْهَامِ أَكْبَرُ كَاتِبِ
أَلَا حَرِّرُوا هَذَا الْوَرَى مِنْ عُبُودَةٍ هِيَ الذِّئْبُ كَمْ غَالَ الْوَرَى بِالْمَخَالِبِ

في ١٤ تموز سنة ١٩٢٣

ابنة الأجيال

لِمَنْ يَا تُرَى أَشْكُو بِمَدْمَعِيَ الْهَمْلِ ... وَمَا لِيَ فِي لُبْنَانَ مِنْ مُخْلِصٍ خِلِّ
لَقَدْ كَانَ لِي فَضْلٌ عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ ... فَأَنْكَرَ صَحْبِي كُلَّ مَا كَانَ مِنْ فَضْلِي
أَأَشْكُو إِلَى الْقَانُونِ غَدْرَ مَعَاشِرِي ... وَقَدْ أَصْبَحَ الْقَانُونُ يُوطَأُ بِالرِّجْلِ
غَدَاةَ طَلَبْتُ النُّورَ أَنْكَرَنِي الْمَلَا ... وَلَمَّا ادَّرَعْتُ الصِّدْقَ أَنْكَرَنِي أَهْلِي
تَمَرَّدَ فَرْدٌ مِنْ بِلَادِي مَرَّةً ... وَصَوَّبَ نَحْوِي نَبْلَتَيْنِ مِنَ الْعَذْلِ
لِأَنِّيَ لَا أَمْشِي عَلَى نَهْجِ جَاهِلٍ ... يَسِيرُ شَمُوخَ الْأَنْفِ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ
وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ يُقَارِنُهُ الْوَفَا ... لَمَا حَكَّمَ الْجَهْلَ الْمُغَرِّرَ بِالْعَقْلِ
وَلَكِنْ تَعَامَى عَنْ هُدَاهُ لِأَنَّهُ ... أُصِيبَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَسٍّ مِنَ الْخَبْلِ

* * *

رَأَيْتُ فَتَاةً أَمْسِ يَرْبِطُنِي بِهَا ... غَرَامٌ نَمَا فِي الصَّدْرِ مُجْتَمِعُ الشَّمْلِ
لَهَا فِي لُمَاهَا الْعَذْبِ بَسْمَةُ طَاهِرٍ ... تُنِيرُ دُجَى الظَّلْمَاءِ مِنْ شِعْرِهَا الْجَثْلِ
فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي عَلَى الْوُدِّ قَائِمٌ ... وَلَكِنْ بُعَادِي سَوْفَ يُخْنِي عَلَى الْوَصْلِ
فَإِنِّي سَأَنْأَى عَنْ بِلَادِي مُسَافِرًا ... فَلَسْتُ أُطِيقُ الظُّلْمَ فِي الْبَلَدِ الْمَحْلِ
رَأَيْتُ هُنَا رَهْطًا مِنَ النَّاسِ آثَرُوا ... يَدَ الظُّلْمِ أَنْ تَعْلُو وَتَفْتِكَ بِالْعَدْلِ
رَأَيْتُهُمْ وَالْقَيْدُ حَوْلَ رِقَابِهِمْ ... وَأَيْدِيهِمُ مَشْدُودَةُ الرَّبْطِ بِالْغُلِّ
يَقُودُهُمْ مِنْ سَافِلِ الْخَلْقِ زُمْرَةٌ ... تُحَاوِلُ نَفْثَ السُّمِّ فِيهِمْ كَالصَّلِّ
تَبُثُّ مِنَ الْأَغْرَاضِ فِيهِمْ مَبَادِئًا ... أَشَدَّ بِجِسْمِ الْإِجْتِمَاعِ مِنَ السُّلِّ
تُرِيدُهُمُ عُمْيًا عَنِ النُّورِ وَالدُّجَى ... يُخَيِّمُ فَوْقَ الْحَقِّ سَدْلًا عَلَى سَدْلِ

وَتَهْزَأُ بِالشَّخْصِ الَّذِي لَمْ يُصِخْ لَهَا ... وَلَكِنْ سَوَادُ الْهُدْبِ أَبْقَى مِنَ الْكُحْلِ
فَقَالَتْ كُنِ الْحَقَّ الْمُحَرَّرَ فِي الْوَرَى ... وَدَعْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ تَزْحَفُ فِي الْوَحْلِ
فَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يُثْبِطُ الْهَمُّ سَعْيَهُ ... وَثَابِرْ عَلَى كَشْفِ الظَّلَامِ بِلَا مَطْلِ
وُجُودُكَ فِي الدُّنْيَا لِتَخْدِمَ مَبْدأً ... فَلَا تَبْنِهِ إِنْ كُنْتَ شَهْمًا عَلَى الرَّمْلِ
وَأَمْلِ تَعَالِيمَ الْحَيَاةِ عَلَى الْمَلَا ... فَإِنَّ يَدَ الْأَجْيَالِ تَكْتُبُ مَا تُمْلِي
وَلَا تَسْتَرِقَّ النَّفْسَ مِنْ أَجْلِ بُغْيَةٍ ... وَدُسْ حَشَرَاتِ الْمُسْتَبِدِّينَ بِالنَّعْلِ
فَمَنْ يَسْتَبِحْ هَضْمَ الْحُقُوقِ لِغَايَةٍ ... فَذَلِكَ أَوْلَى بِالْحَقَارَةِ وَالذُّلِّ
وَأَنْشِدْ مَعَ الْأَحْرَارِ أُغْنِيَّةَ الْعُلَى ... فَمَا الْحُرُّ إِلَّا بُلْبُلُ الْمَجْدِ وَالنُّبْلِ
وَمَا الْحُرُّ إِلَّا ذَلِكَ الْعَامِلُ الَّذِي ... تَمَشَّى عَلَى هَامِ الْعُبُودَةِ وَالذُّلِّ
هُوَ الْحُرُّ رَمْزُ الْحَقِّ رَمْزُ فَضِيلَةٍ ... تَسِيرُ مَعَ الْأَجْيَالِ فِي الشَّرَفِ الْمُعْلِي
أَذَابَ عَلَى جَمْرِ الْحَيَاةِ دِمَاغَهُ ... وَصَيَّرَهُ زَيْتًا يُنَوِّرُ فِي السُّبْلِ
تَقُولُ ابْنَةُ الْأَجْيَالِ وَهْيَ مُطِلَّةٌ ... مِنَ الْهَيْكَلِ الْأَسْمَى عَلَى عَالَمِ النَّسْلِ
تُرَى مَنْ رَأَى قَبْلِي الْوُجُودَ مُهَدَّمًا؟ ... وَمَنْ ذَا رَأَى الْأَحْرَارَ بَانِيَةً قَبْلِي؟
هُنَا سَكَنَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ وَحَدَّقَتْ ... إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِأَعْيُنِهَا النُّجْلِ
وَمِنْ ثَغْرِهَا نُورُ الْمُسَاوَاةِ مُشْرِقٌ ... يُفَسِّرُ أَنَّ الْمُلْكَ فِي خَلْقِهِ مِثْلِي
وَحُرِيَّةٌ قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ جَبِينِهَا ... وَرَمْزُ إِخَاءٍ وَالسَّلَامُ عَلَى الْكُلِّ

في ١ تموز سنة ١٩٢٣

الفتاة الغادرة

مرفوعة إلى شباب هذا العصر

حَاذِرِ الْحُبَّ إِنَّ فِي الْحُبِّ شَرًّا فَهْوَ نَارٌ فِي الْقَلْبِ تَصْهَرُ صَهْرَا
إِنْ يَكُنْ فِي الرِّجَالِ قَلْبٌ غَدُورُ فَقُلُوبُ النِّسَاءِ أَقْرَبُ غَدْرَا

* * *

وَفَتَاةٍ أَعَارَهَا الْبَدْرُ نُورًا فَأَضَاءَتْ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ بَدْرَا
تَغْمِزُ الْكُحْلَ فِي غَضَاضَةِ جَفْنَيْـ ـهَا دَلَالًا فَيَرْجِعُ الْكُحْلُ سِحْرَا
رَامَ مِنْهَا فَتًى مَرَامًا شَرِيفًا كُلُّ مَا شَاءَهُ الْفَتَى كَانَ طُهْرَا
وَالْهَوَى شَارِدُ الْبَصَائِرِ أَعْمَى لَيْسَ يَدْرِي بِمَا بِهِ الْعَقْلُ أَدْرَى
قَدْ أَحَبَّ الْفَتِيُّ فِيهَا جَمَالًا وَأَحَبَّتْ فِيهِ ثَرَاءً وَقَدْرَا
مَا مَضَى بَعْضُ أَشْهُرِ الْحُبِّ حَتَّى مَاتَ عَنْ ثَرْوَةٍ أَبُوهُ فَأَثْرَى
أُمُّهُ وَهْيَ فِي الْعَفَافِ مِثَالٌ رَدَعَتْهُ عَنْهَا فَظَلَّ مُصِرًّا
نَصَحَتْهُ فَمَا أَرَادَ انْتِصَاحًا وَغَدَا يَبْذُرُ الدَّنَانِيرَ بَذْرَا
قَالَ يَا أُمِّ أَيُّ شَيْءٍ مَعِيبٌ فِي غَرَامِي وَأَيُّ شَيْءٍ أَضَرَّا؟
أَنَا أَهْوَى فِيهَا فُؤَادًا أَبَرَّا وَهْيَ تَهْوَى فِيَّ الْفُؤَادَ الْأَبَرَّا
فَأَجَابَتْهُ لَا أَلُومُكَ يَا ابْنِي فَرَبِيعُ الشَّبَابِ بِالْحُبِّ أَحْرَى
غَيْرَ أَنَّ الْفَتَاةَ لَا خَيْرَ فِيهَا فَجَمَالُ الْأَخْلَاقِ مِنْهَا تَعَرَّى

مِلْ إِلَى غَيْرِهَا إِذَا رُمْتَ تَهْوَى ... وَاخْتَبِرْ قَبْلَ أَنْ تَهَوَّرَ خُبْرَا
فَالصَّبِيَّاتِ قَدْ تَكُنَّ عَهَارَى ... وَأَزَاهِيرُ قَدْ تَكُنَّ وَتِبْرَا
قَالَ: تِلْكَ الْفَتَاةُ غَرْسُ فُؤَادِي ... فَدَعِيهَا فِي الْحُبِّ تُزْهِرُ زَهْرَا
إِنَّهَا لِي وَلَنْ تَكُونَ لِغَيْرِي ... وَعَلَيَّ الْعُقْبَى إِذَا جِئْتُ وِزْرَا

* * *

هَذِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْمَاسِ يَا هِنْـ ... ـدُ وَذِي قِطْعَةٌ مِنَ الْمَاسِ أُخْرَى
زَيِّنِي صَدْرَكِ الْجَمِيلَ وَسُرِّي ... فَغَدًا تَنْظُرِينَ فِي الْجِيدِ عَشْرَا
وَارْتَمَي فِي ذِرَاعَهَا مُسْتَهَامًا ... فَتَمَنَّى هُنَاكَ لَوْ نَامَ شَهْرَا
فَهْوَ سَكْرَانُ مِنْ غَرَامٍ شَرِيفٍ ... وَهْيَ بِالْجَوْهَرِ الْمُشَعْشِعِ سَكْرَى
هِنْدُ إِنَّ الرَّبِيعَ فِي الْحَقْلِ بَسَّا ... مٌ وَعَرَفُ الزُّهُورِ يَنْشُرُ نَشْرَا
فَانْشِقِيهِ فَفِيهِ عِطْرٌ زَكِيٌّ ... وَاسْكُبِيهِ عَلَى إِهَابِيَ عِطْرَا
كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ يَرْنُو إِلَيْنَا ... بِحُنُوٍّ عَسَاهُ أَنْ يَسْتَمِرَّا
فَفُؤَادِي قَفْرٌ بِغَيْرِ هُيَامِي ... وَحَيَاتِي بِغَيْرِ حُبِّيَ قَفْرَا
هِنْدُ يَا هِنْدُ أَنْشِدِي لِيَ أَيْضًا ... وَانْظُرِي مَوْكِبَ الدُّجَى كَيْفَ مَرَّا
وَأَفَاقَ الْفَجْرُ الْجَمِيلُ عَلَى صَوْ ... تِكِ يُلْقِي عَلَى غَرَامِي فَجْرَا

* * *

مَرَّ عَامٌ وَالْحُبُّ يَزْدَادُ يَوْمًا ... بَعْدَ يَوْمٍ وَالْمَالُ يَزْدَادُ هَدْرَا
وَعَدَا الْفَقْرُ فِي طَرِيقِ هَوَاهُ ... وَأَتَاهُ الْهَوَى فَصَادَفَ فَقْرَا
عِنْدَ هَذَا تَبَدَّلَتْ حَالُ هِنْدٍ ... وَاسْتَمَرَّتْ إِلَيْهِ تَنْظُرُ شَزْرَا
لَوْ أَتَاهَا وَبَيْنَ أَضْلُعِهِ الْعَطْـ ... ـفُ لَلَاقَى فِي صَدْرِهَا الصُّلْبِ صَخْرَا
جَاءَهَا فِي مَسَاءِ يَوْمٍ وَلَكِنْ ... قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ اخْتَشَى وَاقْشَعَرَّا
ذَاكَ أَنَّ الْفَتَى تَسَرَّقَ أَمْرًا ... مِنْ حَدِيثٍ قَدْ دَارَ فِي الْبَيْتِ سِرًّا
قَالَتِ الْأُمُّ: أَنْتِ وِقْرٌ ثَقِيلٌ ... وَبَقَاءُ الْحَبِيبِ أُثْقَلُ وَقْرَا
فَمِنَ الْجَهْلِ بَعْدَ أَنْ سِيمَ خَسْفًا ... أَنْ يَكُونَ الْفَتَى لِأُمِّكِ صِهْرَا
فَالْجَنِينُ الَّذِي دَفَنَّاهُ بِالْأَمْسِ ... اجْعَلِيهِ فِي سِرِّ صَدْرِكِ قَبْرَا
فَاحْذَرِي أَنْ يُقَالَ إِنَّكِ عَارٌ ... وَاحْذَرِي أَنْ يُقَالَ إِنَّكِ عُرَّى
دَخَلَ الصَّبُّ غَيْرَ أَنْ شَرَارًا ... كَانَ فِي مُقْلَتَيْهِ يَسْعُرُ سُعْرَا

فَـاعْـتَـرَى الْأُمَّ عِـنْـدَ مَـرْآهُ ذُعْـرٌ ... وَرَأَى فِـي الْـفَـتَـاةِ خَـوْفًـا وَذُعْـرَا
قَـالَ عُـذْرًا يَـا هِـنْـدُ إِنَّ فُـؤَادِي ... أَخْـطَـأَ السَّـيْـرَ مَـعْـكِ يَا هِـنْـدُ عُـذْرَا
أَنَـا لَـمْ أَهْـوَ فِـيـكِ عُـهْـرًا لِأَنِّـي ... طَـاهِـرُ الـذَّيْـلِ لَـسْـتُ أُدْرِكُ عُـهْـرَا
وَانْـثَـنَى هَـائِـمًـا عَـلَـى نَـفْـسِـهِ الثَّـكْـ ... ـلَـى فَـلَـمْ يَـسْـتَـفِـقْ وَلَـمْ يَـسْـتَـقِـرَّا
وَسَـرَى الـسُّـقْـمُ بَـعْـدَ ذَلِـكَ فِـيـهِ ... وَمَـشَـى فِـي الْـعِـظَـامِ يَـنْـخِـرُ نَـخْـرَا

* * *

وَلَـدِي لَـيْـسَ عِـنْـدَنَـا الْـيَـوْمَ فِـطْـرٌ ... وَمِـنَ الْأَمْـسِ لَـمْ نَـذُقْ قَـطُّ فِـطْـرَا
فَـالْـخَـوَابِـي فَـرَغْـنَ مِـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ ... وَمِـنَ الْـخُـبْـزِ لَا نُـصَـادِفُ نَـزْرَا
اتْـرُكِـيـنِـي يَـا أُمِّ ... لَا تُـزْعِـجِـيـنِـي ... بِـحَـدِيـثٍ قَـدْ شَـاخَ حَـتَـى اسْـبَـطَـرَّا
فَـأَنَـا كَـافِـرٌ وَسَـوْفَ يَـرَانِـي ... كُـلُّ مَـنْ مَـرَّ بِـي أُزَوِّدُ كُـفْـرَا
وَمَـضَـى الـظَّـلَامُ يُـسْـدِلُ سِـتْـرًا ... فَـوْقَـهُ وَالْـعَـذَابُ يَـسْـدِلُ سِـتْـرَا
ضَـعْـضَـعَـتْـهُ ذِكْـرَى أَمَـرَّتْ عَـلَـيْـهِ ... جَـنْـحَـهَـا وَاسْـتَـفَـاقَ يَـنْـفُـثُ جَـمْـرَا
فَـرَأَى نَـفْـسَـهُ أَمَـامَ فَـتَـاةٍ ... أَنْـشَـبَـتْ مِـنْ غَـرَامِـهَـا فِـيـهِ ظِـفْـرَا
فَـانْـتَـسَـى مَـا مَـضَـى عَـلَـيْـهِ وَأَحْـيَـا ... حُـبَّـهُ عَـامِـلُ الْـجَـمَـالِ فَـخَـرَّا
حَـدَّقَـتْ فِـيـهِ فَـتْـرَةً فَـتَـرَاءَى ... فِـي لُـمَـاهُ أَمَـامَـهَـا طَـيْـفُ ذِكْـرَى
فَـتَـنَـاسَـتْ وَحَـوَّلَـتْ عَـنْـهُ جَـفْـنًـا ... كَـانَ بِـالْأَمْـسِ يَـنْـثُـرُ الْـحُـبَّ نَـثْـرَا
هِـنْـدُ إِنِّـي عَـطْـشَـانُ جَـرْعَـةُ مَـاءٍ ... فَـشِـفَـاهِـي الصَّـفْـرَاءُ يَـا هِـنْـدُ حَـرَّى
فَـمَـشَـى فِـي جَـبِـيـنِـهَـا شَـبَـحُ الْـغَـدْ ... رِ وَفِـي عَـيْـنِـهَـا اسْـتَـوَى وَاكْـفَـهَـرَّا
وَأَتَـتْـهُ بِـكَـأْسِ خَـمْـرٍ وَقَـالَـتْ: ... اشْـرَبِ الْـكَـأْسَ إِنَّ فِـي الْـكَـأْسِ خَـمْـرَا
ثُـمَّ قَـالَـتْ فِـي نَـفْـسِـهَـا: إِنَّ سُـمِّـي ... سَـوْفَ يُـبْـقِـي سِـرِّي بِـصَـدْرِكَ دَهْـرَا

في ١٥ شباط ١٩٢٥

في صائدة سَمكٍ حسناء

أَتُرَى جَاءَتْ لِكَيْ تَصْـ ـطَادَ فِي الْبَحْرِ السَّمَكْ
أَمْ أَتَتْ تَصْطَادَ قَلْـ ـبِي بِلِحَاظٍ كَالشَّبَكْ

* * *

إِيهِ يَا صَائِدَةَ الْأَسْـ ـمَاكِ لَسْتُ السَّمَكَةْ
حَوِّلِي الْأَشْرَاكَ عَنْ قَلْـ ـبِي وَكُفِّي الْحَرَكَةْ
إِنَّ قَلْبِي عَالِقٌ فِي غَيْرِ هَذِي الشَّبَكَةْ

* * *

عِنْدَمَا اصْطَادَتْ فُؤَادِي غَادَتِي مَا رَحِمَتْهُ
بَلْ رَمَتْهُ فَوْق كَانُو نِ هَوَاهَا وَشَوَتْهُ
وَانْثَنَتْ «تَلْحَسُ» سنًّا رَتْهَا مُذْ أَكَلَتْهُ

* * *

نَحْنُ صِرْنَا فِي زمَانٍ لَا نَرَى فِيهِ مَلَاذا!
سَمَكُ الْبَحْرِ كَقَلْبِي لَيْسَ مَنْ قَالَ لِمَاذَا
مِثْلَمَا تُؤْكَلُ هَذِي تَأْكُلُ الْغَادَاتِ هَذَا

* * *

إِيهِ يَا صَائِدَةَ الْأَسْـ ـمَاكِ لَسْتُ السَّمَكَةْ

حَوِّلِي الْأَشْرَاكَ عَنْ قَلْـ ـبِي وَكُفِّي الْحَرَكَةْ
إِنَّ قَلْبِي عَالِقٌ فِي غَيْرِ هَذِي الشَّبَكَةْ

في ١٧ أيار سنة ١٩٢٣

أودُّكِ مَيتةً

أَوَدُّكِ جَاحِظَةَ الْمُقْلَتَيْنِ وَطَيْفُ الْحِمَامِ عَلَى كُلِّ خَدْ
أَوَدُّكِ غَائِبَةً فِي ضَرِيحٍ تَنَامِينَ فِي تُرْبِهِ لِلْأَبَدْ
وَلَا تَعْذِلِينِي عَلَى مَا وَدَدْتُ فَفِي ذِمَّةِ الْحُبِّ مَا قَدْ أَوَدّْ

* * *

أَوَدُّكِ فِي خَاطِرِ الْقَبْرِ سِرًّا يُرَدِّدُ ذِكْرَاكِ فِي مَسْمَعِي
فَيَهْرُبُ مِنْكِ الْعَذُولُ وَآتِي أُبَلِّلُ خَدَّيْكِ مِنْ أَدْمُعِي
وَأَنْزِعُ مِنْ جَانِبَيْكِ الْفُؤَادَ وَأُخْبِئُهُ فِي دُجَى أَضْلُعِي

* * *

فَأَبْلُغُ إِذْ ذَاكَ قَلْبَ الْحَبِيبِ وَأُنْعِشُهُ بِلَظَى زَفْرَتِي
وَأَحْمِلُ قِيثَارَتِي لِلنَّشِيدِ وَأُلْقِي عَلَى الْحُبِّ أُغْنِيَّتِي
وَمَا مِنْ سَمِيرٍ يُصِيخُ لِلَحَنِي سِوَى الْبَدْرِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّجْمَةِ

* * *

أَوَدُّكِ مَدْفُونَةً فِي جِنَانٍ تُضَمِّخُهَا نَفَحَاتُ الزُّهُورْ
فَيَلْعَبُ بِالْقُرْبِ مِنْكِ النَّسِيمُ وَتُنْشِدُ بِالْقُرْبِ مِنْكِ الطُّيُورْ
وَيَلْوِي التُّرَابُ يُقَبِّلُ فَاكِ فَكَمْ فِي التُّرَابِ ثَوَى مِنْ ثُغُورْ

* * *

وَلَـكِـنْ وَلَـكِـنْ أَغَـارُ عَـلَـيْـكِ مِـنَ التُّـرْبِ إِنْ وَدَّ أَنْ يَلْـثِـمَـا
فَلَا أَرْتَضِي غَيْرَ لَثْمِكِ وَحْدِي حَـرَامٌ لِـغَـيْـرِيَ ذَاكَ الـلُّـمَـى
فَمِنْ أَجْلِهِ قَدْ ذَرَفْتُ الدُّمُوعَ وَمِـنْ أَجْـلِـهِ قَـدْ هَـرَقْـتُ الدِّمَـا

* * *

لُـمَـاكِ لُـمَـاكِ مِـنَ الْـجُـلَـنَّـارِ وَفِـيـهِ الْـهَـوَى قَـامَ بِـالْـبَـيِّـنَـاتْ
لَـعَـلَّ الـتُّـرَابَ يَـضُـمُّ شِـفَـاهًـا ثَـمَـنَّـتْ تُـقَـبِّـلُـهُ فِـي الْـحَـيَـاةْ
فَـمَـا بَـلَـغَـتْ حِـيـنَـذَاكَ مَـرَامًـا فَـتَـبْـلُـغُ مَا تَشْتَهِي فِي الْمَمَاتْ

* * *

لِـهَـذَا أَوَدُّكِ فَـوْقَ الْـوُجُـودِ وَفَـوْقَ عَـنَـاصِـرِ هَـذَا الْـفَـلَـكْ
وَرُوحُـكِ هَـائِـمَـةٌ كَـالـسَّـرَابِ تَـضُـمُّ مَـلَاكًـا أَتَـى فِـي الْـحَـلَـكْ
فَـأَغْـتَـنِـمُ الـلَّـثْـمَ مِـنْـهَـا لِأَنِّـي أَكُـونُ وَلَا رَيْـبَ ذَاكَ الْـمَـلَـكْ

* * *

أَوَدُّكِ فِي قَبْضَةِ الْمَوْتِ صَرْعَى لِأَنَّ حَـيَـاتَـكِ تَـقْـضِـي عَـلَـيَّ
وَمَـوْتُـكِ يَـا مَـيُّ عَـذْبٌ لَـدَيَّ فَـبِـالرَّغْـمِ يُـلْـقِـيكِ بَـيْـنَ يَـدَيَّ
وَإِذَ ذَاكَ أَقْـضِـي سَـعِـيدًا لِأَنِّـي أَكُـونُ وَصَـلْـتُ إِلَـى قَـلْـبِ مَـيَّ

في ٢٧ ت١ سنة ١٩٢٢

آلو آلو

بين الحب وقلبي

الحب:

رِنْ رِنْ! آلُـــــــو!
مَرْكَزَ الْقَلْبِ قَلْبِ ذَاكَ الْوَجِيعِ
أَلَا يَـــزَالُ مُـــقِـــيـــمًـــا مَـا بَـيْـنَ تِـلْـكَ الـضُّـلُـوعِ؟

سُكُوتْ! ...

رِنْ رِنْ! آلُـــــــو!
لِي حَدِيثٌ مَعَ الْفُؤَادِ طَوِيلُ
رَحَـلْـتُ عَـنْـهُ زَمَـانًـا حَـتَّـى بَـلَانِـي الـرَّحِـيـلُ
وَجِـئْـتُ أَشْـكُـو إِلَـيْـهِ سَـقْـمِـي وَذَرْفَ دُمُـوعِـي

قَلْبِي:

رِنْ رِنْ! آلُـــــــو!
«ذَاكَ صَوْتٌ سَمِعْتُهُ مِنْ قَدِيمِ
تُـــرَى أَصَـــوْتُ عَـــذَابِـــي تَـــرُودُ فِـــيـــهِ هُـــمُـــومِـــي

أَمْ تِـلْـكَ أَسْـرَابُ حُـبِّـي قَـدْ آذَنَـتْ بِـالـرُّجُـوعِ؟»

* * *

مَـاذَا تُـرِيـدُ وَمَـنْ أَنْـ ـتَ يَـا أَلِـيـفَ الْـبُـكَـاءِ؟
أَمَـا اكْـتَـفَـيْـتُ شَـقَـاءً حَـتَّـى تَـزِيـدَ شَـقَـائِـي؟
أَزْعَـجْـتَ حُـلْـمِـي لَـمَّـا أَفَـقْـتَـنِـي مِـنْ هُـجُـوعِـي

* * *

لَـقَـدْ شَـعَـرْتُ بِـأَنِّـي أَمَـسُّ ذِكْـرَى قَـدِيـمَـةْ
ذِكْـرَى الـشُّـجُـونِ وَكَـانَـتْ فِـي جَـانِـبَـيَّ مُـقِـيـمَـةْ
فَـفِـي كَـلَامِـكَ رَمْـزٌ لِـمِـحْـنَـتِـي وَوُلُـوعِـي!

الْحُبُّ:

أَنَا سَمِيرُ الْعَذَارَى وَقَدْ نَكَثْتُ عُهُودِي
أَنَا هِزَارٌ وَقَلْبُ الْـ ـشَّبَابِ يَهْوَى نَشِيدِي
أَنَا نُجُومُ اللَّيَالِي أَنَا زُهُورُ الرَّبِيعِ

* * *

أَنَا رَبَابُ الْمُحِبِّيـ ـنَ فِي يَدَيْ دَاوُدِ
سِرٌّ خَفِيٌّ ثَوَى فِي ضَمِيرِ هَذَا الْوُجُودِ
وَمَعْبَدٌ لِلْهَوَى أَنْـ ـجُمُ الظَّلَامِ شُمُوعِي

* * *

فَمُنْذُ تُهْتُ وَحِيدًا وَقَدْ تَرَكْتُكَ وَحْدَكْ
ذُقْتُ الْمَرَارَةَ صِرْفًا وَمَا تَحَمَّلْتُ بُعْدَكْ
وَالْآنَ عُدْتُ لَعَلِّي أَرَى جَمَالَ رُبُوعِي

* * *

تَعَالَ نَشْدُو أَمَامَ الْـ ـهَوَى نَشِيدَ الْحَيَاةِ
تَعَالَ نُشْعِلُ زَيْتَ الْـ ـغَرَامِ بِالزَّفَرَاتِ

تَعَالَ نَسْقِي أَزَاهِيـ ـرَ حُبِّنَا بِالدُّمُوعِ!

* * *

تَعَالَ أَوْ لَا فَدَعْنِي أَمُصُّ عَذْبَ رُضَابِكْ
يَكَادُ عَهْدُ شَبَابِي يَمْضِي كَعَهْدِ شَبَابِكْ
وَلَا يَزَالُ رَضِيعًا فَيَا لَهُ مِنْ رَضِيعِ!

* * *

تَعَالَ نَفْغُرُ أَجْرَا حَنَا أَمَامَ السَّمَاءِ
تَعَالَ نَشْرَبُ كَاسَ الضَّنَا مَعَ التُّعَسَاءِ
إِنَّ الْعَذَابَ حَيَاةُ الْـ ـعَظِيمِ مَجْدُ الرَّفِيعِ

* * *

تَعَالَ نَعْزِفُ أَنْغَا مَنَا عَلَى الْأَوْتَارِ
وَلَا نَكُنْ كَسِوَانَا خُرْسًا عَنِ الْأَشْعَارِ
فَجَذْوَةُ الشِّعْرِ دَوْمًا تَعِيشُ فِي الْمَوْجُوعِ

قلبي:

عَلَامَ أَشْعُرُ بِالْجُو عِ يَأْكُلُ اللَّحْمَ مِنِّي
وَلَمْ أَرَ الْعَطْفَ يَدْنُو مِنْ بَعْدِ ذَاكَ التَّجَنِّي؟
رُحْمَاكَ يَا طَيْفُ حُبِّي لَقَدْ بَلَانِيَ جُوعِي

* * *

أَسْرِعْ إِلَيَّ وَبَادِرْ بِاللهِ أَسْرِعْ إِلَيَّا
جَارَتْ دَقَائِقُ نَوْمِي وَقَدْ تَوَالَتْ عَلَيَّا
فَلَيْسَ لِي مِنْ شَفِيقٍ وَلَيْسَ لِي مِنْ شَفِيعِ

* * *

أَمْسَيْتُ بَعْدَكَ يَا حُبُّ بَارِدًا كَالْقُبُورِ
تُحِيطُ بِي حَشَرَاتٌ تَدُبُّ فِي دَيْجُورِي

وَمَـا هُـنَـالِـكَ إِلَّا رُمُـوزُ شَـيْءٍ فَـظِـيـعِ

* * *

تَعَالَ يَا نُورُ مَاضِيَّ يَـا حَـيَـاةَ الْـفُـؤَادِ
وَاسْكُبْ ضِيَاءَكَ صِرْفًا عَلَى شَدِيدِ سَوَادِي! ...
حُـبِّـي رَجَـعْـتُ إِلَـيْـهِ وَمَا أُحَيْلَى رُجُوعِي!

في ٢٧ شباط سنة ١٩٢٣

بين الماسونية والإكليريكية

لَا يَـشُـقَّـنَـا أَرَبُ نَحْنُ كُلُّنَا عَصَبُ
فِي نُفُوسِنَا خُلُقٌ لِلْوِئَامِ يَنْتَسِبُ
فِي قُلُوبِنَا هِمَمٌ فِي صُدُورِنَا رَحَبُ
فِي دِمَائِنَا شَرَفٌ فِي عُرُوقِنَا حَسَبُ
فِي سُيُوفِنَا شَرَرٌ فِي يَرَاعِنَا أَدَبُ
نَحْنُ أُمَّةٌ غَضِبَتْ أَنْ يَسُوسَهَا الْغَضَبُ
فَالسَّلَامُ رَائِدُهَا لَا الشِّقَاقُ وَالْعَطَبُ
مَاؤُهَا يُمَازِجُهُ فِي مُرُوجِهَا الضَّرَبُ
كَمْ فَوَارِسٍ أُسُدٍ مِنْ صَفَائِهِ شَرِبُوا
لَا تَغُرَّكُمْ رُتَبٌ حَقْلُكُمْ هُوَ الرُّتَبُ
فَانْفُضُوا ثَرَاهُ فَفِي ذَلِكَ الثَّرَى ذَهَبُ
كَمْ جَلَالَةٍ رَقَدَتْ مِلْءُ عَيْنِهَا لَهَبُ
فِي مَدَافِنٍ رَصَدَتْ كَنْزَ مَجْدِهَا الْحِقَبُ
إِنَّ لِلْخُلُودِ هَوًى فِي الْبِلَادِ يَنْسَكِبُ
فَاحْذَرُوا انْقِسَامَكُمْ فَالْبِلَادُ تَضْطَرِبُ

في ١٠ أيار سنة ١٩٢٥

ورُبَّ كبيرٍ بلبنانه

لَـقَدْ بَـلَـغَـتْ بِـهِـمُ الْـحِـدَّهْ فَمِنْ أَيِّنَا نَطْلُبُ النَّجْدَهْ
أَلَسْتَ تَرَاهُمْ أُولِي غَضْبَةٍ يَعِيثُونَ بِالْوَيْلِ فِي الْبَلْدَهْ
فَكُلٌّ يَرَى نَفْسَهُ سَيِّدًا وَكُلٌّ يَرَى نَفْسَهُ عُمْدَهْ
إِذَا مَا تَرَبَّعَ فِي جَهْلِهِ عَلَى مَقْعَدٍ خَالَهُ سُدَّهْ
كَرِيمُهُمُ كَاللَّئِيمِ بِهِمْ فَمَا فَاضِلٌ سَيِّدٌ عَبْدَهْ
أَضَاعُوا الرَّشَادَ وَمَا نَفْعُ مَنْ أَضَاعَ بِثَوْرَتِهِ رُشْدَهْ؟
يَقُولُونَ نَحْنُ عِمَادُ الْبِلَادِ وَمَا هَيَّئُوا لِلْوَفَا عُدَّهْ
كَأَنَّ الْبِلَادَ لَدَى حَاجَةٍ إِلَى كَذِبٍ وَإِلَى إِدَّهْ
وَرُبَّ كَبِيرٍ بِلُبْنَانِهِ يُعَفِّرُ فِي حَمْأَةٍ خَدَّهْ
تَرَى عِنْدَهُ خَدَمًا وَقُصُورًا وَلَسْتَ تَرَى شَرَفًا عِنْدَهْ
يَتِيهُ افْتِخَارًا بِأَجْدَادِهِ كَأَنَّ الْوَرَى جَهِلُوا جَدَّهْ
يُحَاوِلُ إِخْفَاءَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ فَتَفْضَحُهُ السَّجْدَهْ
ذَلِيلٌ وَفِي بُرْدِهِ الْكِبْرِيَاءُ فَيَا لَيْتَ مَا لَبِسَ الْبُرْدَهْ
وَيَا لَيْتَ مَنْ وَلَدَتْ طَرَحَتْهُ وَلَمَّا تُدَنِّسْ بِهِ مَهْدَهْ
وَلَكِنَّهَا قِرْدَةٌ وَلَدَتْهُ أَلَا تَلِدُ الْقِرَدَ الْقِرْدَهْ؟

* * *

بَنِي وَطَنِي نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى نُصَرَاءَ أُولِي شِدَّهْ
يُضَحُّونَ بِالْأَنْفُسِ الْغَالِيَاتِ لِأَجْلِ التَّضَامُنِ وَالْوَحْدَهْ

وَفِي سُبُلِ الْحَقِّ يَأْتَلِفُونَ ... وَيَعْتَنِقُونَ الْحِجَى وَحْدَهْ
إِذَا أُشْكِلَتْ عُقْدَةٌ فِي الْبِلَادِ ... خَفُّوا لِحَلِّ هَذِهِ الْعُقْدَةْ
إِلَامَ تَظَلُّونَ فِي رَقْدَةٍ ... وَلَا تُبْعَثُونَ مِنَ الرَّقْدَةْ؟
إِذَا قَامَ بَيْنَكُمُ مُصْلِحٌ ... يَقُومُ جَمِيعُكُمُ ضِدَّهْ
فَلَا تَدَعُوا ظُفُرَ الْمُسْتَبِدِّ ... يَحُكُّ لِلُبْنَانِكُمْ جِلْدَهْ
وَصِيحُوا بِهِ رُدَّ مَا قَدْ سَرَقْتَ ... سَرَقْتَ لَنَا خُلُقًا رُدَّهْ
هَدَمْتَ لَنَا صَرْحَ أَخْلَاقِنَا ... فَأَيْنَ تَبِيتُ تُرَى بَعْدَهْ؟
وَشَيَّدْتَ مَعْبَدَ إِفْكٍ فَهُدَّ ... أَسَاسَ مُشَيِّدِهِ هُدَّهْ
لَقَدْ رَثَّ ثَوْبٌ خَلَعْتَ عَلَيْنَا ... وَنَحْنُ نَمِيلُ إِلَى الْجِدَّةْ
فَعَهْدُ الْغُمُوضِ مَضَى وَتَصَدَّى ... لَهُ عَهْدُنَا نَاقِضًا عَهْدَهْ
لَقَدْ حَانَ أَنْ يُصْلِتَ النُّورُ حَدًّا ... كَمَا اسْتَلَّ سَيْفُ الدُّجَى حَدَّهْ
لَقَدْ كَادَ يَصْدَأُ فِي غِمْدِهِ ... حُسَامٌ يَرَى قَبْرَهُ غِمْدَهْ
هَدَيْتُ رِفَاقِي إِلَى مَوْرِدِي ... فَضَلُّوا وَمَا طَلَبُوا وِرْدَهْ
وَمَا مَوْرِدِي الْعَذْبُ إِلَّا السَّلَامُ ... يُذِيبُ لِشَارِبِهِ كِبْدَهْ
رِفَاقِي وَإِنْ فَرَّقَتْنَا الْخُطُوبُ ... سَيَحْفَظُ قَلْبِي لَكُمْ حَمْدَهْ
سَيَرْشُقُكُمْ بِالْأَزَاهِرِ مَهْمَا ... نَكَرْتُمْ عَلَى وُدِّهِ وُدَّهْ
سَيَذْكُرُكُمْ بِالْجَمِيلِ إِذَا مَا ... نَأَى وَأَرَادَ الْقَضَا بُعْدَهْ
سَيَصْفَحُ عَنْ كُلِّ أَشْوَاكِكُمْ ... فَشَوْكَتُكُمْ عِنْدَهُ وَرْدَهْ

يا سمير الأبراج[1]

إيهِ «بِرْنَاسُ» هَيْكَلَ الشُّعَرَاءِ ... وَمُصَلَّى الْكُهَّانِ وَالْأَنْبِيَاءِ
لَا دَهَاكَ الْفَنَاءُ بَعْدَ بَقَاءٍ ... خَالِدٌ أَنْتَ فِي ضَمِيرِ الْبَقَاءِ
لَا رَأَى الدَّهْرُ غَارَ رَأْسِكَ يَذْوِي ... بَعْدَ هَذَا النُّضُورِ هَذَا الْبَهَاءِ
إِنَّ غَارًا عَلَى ذُرَاكَ لَمَجْدٌ ... خَلَّدَتْهُ نَوَابِغُ الْقُدَمَاءِ
حِكْمَةٌ أَنْتَ فِي الْوُجُودِ وَنُورٌ ... لِعُقُولِ الْجُهَّالِ وَالْحُكَمَاءِ
سَكَبَ الْفَجْرُ فِي مَرَاشِفِهَا الْـ ... ـحُمْرِ رَحِيقَ الْخُلُودِ لِلشُّعَرَاءِ
إِيهِ بِرْنَاسُ وَالْعَرَائِسُ تَشْدُو ... فِيكَ أُغْنِيَّةُ الْهَوَى وَالرَّجَاءِ
سَكَبَ الْفَجْرُ فِي مَرَاشِفِهَا الْـ ... ـحُمْرِ رَحِيقَ الْخُلُودِ لِلشُّعَرَاءِ

* * *

هَيْكَلَ الْفَنِّ وَالْجَمَالِ سَلَامٌ ... وَسَلَامٌ يَا هَيْكَلَ الْبُؤَسَاءِ
سَجَدَ الْمَجْدُ تَحْتَ قَوْسِكَ سَكْرَا ... نَ سُجُودَ الْفَقِيرِ لِلْأَغْنِيَاءِ
قُلْ لِأَبْنَائِكَ الَّذِينَ اسْتَمَدُّوا ... شُعْلَةَ الْوَحْيِ مِنْكَ كَالْكَهْرُبَاءِ
إِنَّمَا الْبُؤْسُ فِي تُرَابِي ثَرَاءٌ ... فَرِدُوا الْمَجْدَ مِنْ بِحَارِ ثَرَائِي
وَدَعُوا الْغَيْرَ يَبْحَثُونَ طَوِيلًا ... فِي وُحُولِ الْغِنَى عَنِ الْإِثْرَاءِ
فَلَكُمْ مِنْ لَآلِئِ النُّورِ كَنْزٌ ... فَانْثُرُوهُ عَلَى طَرِيقِ الْإِبَاءِ

---

[1] القصيدة التي أُنْشِدَت في الحفلة التكريمية التي أقامتها جونيه لخليل مطران.

إِنَّمَا الشَّاعِرُ الْحَقِيقِيُّ قَلْبٌ ذَابَ حُبًّا عَلَى شُعَاعِ الْفِدَاءِ
هُوَ رُوحٌ مِنَ السَّمَاءِ اسْتَمَدَّتْ حِكْمَةَ الْفَنِّ مِنْ دِمَاغِ السَّمَاءِ
هُوَ بَانٍ يَوَدُّ تَقْوِيضَ رُكْنٍ شَيَّدَتْهُ مَظَالِمُ الزُّعَمَاءُ
وَبِنَاءُ الْعُلَى عَلَى ذَلِكَ الرُّكْـ ـنِ وَتِلْكَ الْأَنْقَاضِ أَقْوَى بِنَاءِ

* * *

هُوَ قِيثَارَةُ الشُّعُورِ تُنَاجِي بِنَشِيدِ الْأَوْتَارِ سِرَّ الضِّيَاءِ
فَالضِّيَاءُ الْأَكِيدُ فِي مُقْلَةِ الشَّا عِرِ لَا فِي النُّجُومِ أَوْ فِي ذُكَاءِ
هُوَ نَسْرٌ لَهُ جَنَاحَا إِلَهٍ طَائِرٌ فِي مَدِينَةِ التُّعَسَاءِ
نَاثِرٌ دَمْعَةَ الْعَزَاءِ عَلَى الْأَرْ ضِ لِتَشْفِي تَعَاسَةَ الضُّعَفَاءِ
هُوَ رُوحُ «الْخَلِيلِ» فِي النَّجْمَةِ الزَّهْـ ـرَاءِ تَمْتَصُّ عُنْصُرَ الزَّهْرَاءِ
لِتَرْوِي بِهِ الْفُنُونَ وَتُحْيِي مَيِّتَ الشِّعْرِ فِي عُرُوقِ الرُّوَاءِ

* * *

أَي خَلِيلَ الْبِلَادِ وَفَّيْتَ قِسْطًا مِنْ فُرُوضٍ عَلَيْكَ لِلْعَلْيَاءِ
فَاشْدُدِ الْعَزْمَ لِلنَّجَاءِ وَأَكْمِلْ ذَلِكَ الشَّوْطَ يَا رَبِيبَ النَّجَاءِ
مَا تَرَى فِي الْبِلَادِ بَعْدَ اغْتِرَابٍ أَسِوَى الْبُؤْسِ وَالْبِلَى وَالشَّقَاءِ
إِنَّ صَدْرًا حَنَوْتَ طِفْلًا عَلَيْهِ لَهْوَ صَدْرٌ مُهَشَّمُ الْأَعْضَاءِ
كُلَّ مَا فِي الْبِلَادِ أَمْسَى غَرِيبًا شَوَّهَتْهُ مَنَاكِلُ الْغُرَبَاءِ
فَبِلُبْنَانَ أَيِّمُ الْمَجْدِ ثَكْلَى وَهْيَ تَبْكِي مُصِيبَةَ الْأَبْنَاءِ
هِيَ تَبْكِي الْأُلَى أَبَادَهُمُ الظُّلْـ ـمُ وَوَارَتْهُمْ يَدُ الْبَغْضَاءِ
بَرِئَتْ مِنْهُمُ الْمَظَالِمُ لَكِنْ أَنْكَرَتْ أَنَّهُمْ مِنَ الْأَبْرِيَاءِ
شُهَدَاءُ الْعُلَى قَضَتْ وَبَقِينَا فِي حَيَاةٍ كَثِيرَةِ الْأَدْوَاءِ
إِنْ أَطَلَّتْ مِنْ كُوَّةِ الْمَوْتِ تُبْصِرْ نَزَوَاتِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَحْيَاءِ
يَا قُبُورًا تَرَبَّعَ الْوَحْيُ فِيهَا لَيْسَ مِنْ فِيكِ صَائِرًا لِلْفَنَاءِ
كُلُّ جِيلٍ يَجْثُو أَمَامَكِ بِالْمَجْـ ـدِ وَيَرْمِي عَلَيْكِ زَهْرَ الْبَقَاءِ

* * *

يَا سَمِيرَ الْأَبْرَاجِ فِي مُنْتَهَى الْأَجْـ ـوَاءِ مَاذَا فِي مُنْتَهَى الْأَجْوَاءِ؟

وَعَـذَارَى الْـفَـضَـاءِ مَـاذَا أَسَـرَّتْ لَـكَ لَـمَّـا أَضَـفْـتَـهَـا فِـي الْـفَـضَـاءِ
كُـلُّ لَـيْـلٍ تَـزُورُهَـا فَـتُـنَـاجِـيـ ـكَ طَـوِيلًا فِي خِدْرِهَا الْمُتَنَائِي
كَيْفَ «فِرْجِيلُ» وَالْمَعَرِّي وَ«هُومِيـ ـرُوسُ» فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْهَوَائِي؟

* * *

طَـرِبَتْ بَـعَـلْـبَـكُّ بِـالْـوَلَـدِ الْـبَـرِّ وَبَـشَّـتْ لَـهُ ثُـغُـورُ الـظِّـبَـاءِ
وَأَطَـلَّـتْ مِـنَ الْـهَـيَـاكِـلِ سَـكْـرَى نَـظَـرَاتُ الْـكُـهَّـانِ وَالْأَنْـبِـيَـاءِ
وَجَـثَـا الـشِّـعْـرُ لِـلـصَّـلَاةِ جُـثُـوَّ الْـ ـمُـؤْمِـنِـيـنَ الْـعُـفَـاةِ وَالْأُمَـنَـاءِ
يَـا نَـدِيـمَ الـرُّؤَى عَـلَـيْـكَ سَـلَامٌ وَسَـلَامٌ يَـا سَـيِّـدَ الـشُّـعَـرَاءِ

في ٢٠ تموز سنة ١٩٢٤

المصدورة

وضع الكاتب الإفرنسي «جول لوماتر» هذه الرواية نثرًا، فأخذ الشاعر موضوعها، وتصرَّف بها تصرفًا مطلقًا، فمشاهد الفتاة المريضة أمام الرؤيا ووصفها المنطبق على حالتها لا أثر لها في الأصل الإفرنسي.

١

بَـيْـنَ تِـلْـكَ الـرُّبَـى وَذَاكَ الْـوَرْدِ فَـوْقَ حَـصْـبَـاءِ شَـاطِـئٍ لَازَوَرْدِي
تَـحْتَ أُفْقٍ كَالْـخَـدِّ أَوْ كَالْـفِـرِنْـدِ أَمْـلَـسٍ عَـطَّـرَتْـهُ نَـفْـحَـةُ رِنْـدِ
فَسَرَى الطِّيبُ فِي الْفَضَاءِ زَكِيًّا
كَـانَ دَاودُ دَائِـمًـا يَـتَـرَدَّدْ وَعَـلَـى صَـخْـرَةٍ يُـهَـيِّـئُ مِـقْـعَـدْ
فَـإِذَا مَـالَـتِ الْـغُـصُـونُ تَـنَـهَّـدْ وَانْـجَـلَـى عَـنْـهُ حُـزْنُـهُ وَتَـبَـدَّدْ
وَتَنَاسَى عَهْدَ الشَّقَاءِ الْقَصِيَّا
كَانَ حُلْوَ الْحَدِيثِ عَذْبَ الطِّبَاعِ شَاعِرًا مُصْغِيًا لِكُلِّ الْتِيَاعِ
إِنْ رَأَى أَدْمُعًا بَكَتْ لِدَوَاعٍ ذَرَفَ الدَّمْعَ مِنْ عُيُونِ الْيَرَاعِ
رَاسِمًا مَشْهَدَ الْحَيَاةِ شَقِيًّا
كُـلَّـمَـا كَـانَ جَـالِـسًـا يَـتَـأَمَّـلْ فِي السَّوَاقِي ذَاتَ الزُّلَالِ الْمُسَلْسَلْ
كَيْفَ تَجْرِي بُدُونِ أَنْ تَتَمَهَّلْ ثُمَّ تَنْصَبُّ جَدْوَلًا إِثْرَ جَدْوَلْ
بَيْنَ وَرْدِ الرُّبَى فَيَنْمُو نَدِيًّا

كَانَ يَمْضِي أَمَامَهُ امْرَأَتَانِ كَرُخَامِ الْقُبُورِ صَامِتَتَانِ
تَنْظُرَانِ الرَّبِيعَ بَعْضَ ثَوَانٍ وَوَرَاءَ الْأَدْغَالِ تَخْتَفِيَانِ
كَخَيَالَيْنِ مِنْ سُعَادٍ وَمَيَّا
كَهْلَةٌ قَدْ تُنَاهِزُ الْخَمْسِينَا وَفَتَاةٌ لَا تَبْلُغُ الْعِشْرِينَا
حَمَلَتْ فِي الضُّلُوعِ دَاءً دَفِينَا فَهْيَ تَسْلُو الْآلَامَ حِينًا وَحِينَا
تُبْصِرُ الْمَوْتَ دَانِيًا يَتَهَيَّا
مُقْلَتَاهَا مَا عَادَتَا مُقْلَتَيْهَا فَهُمَا مَيْتَتَانِ فِي جَفْنَيْهَا
وَيَدَاهَا فِي الدَّاءِ غَيْرَ يَدَيْهَا! أَيُّهَا السِّلُّ لِمْ جَنَيْتَ عَلَيْهَا؟
أَوَلَا تَرْحَمُ الْفُؤَادَ الْفَتِيَّا؟!

٢

بَعْدَ شَهْرٍ كَأَنَّمَا هُوَ عَامٌ نَسَجَتْ فِيهِ بُرْدَهَا الْآلَامُ
شَاءَ دَاوُدُ أَنْ يَكُونَ سَلَامٌ وَابْتِسَامٌ مَا بَيْنَهُمْ وَكَلَامُ
وَحَدِيثٌ عَنِ الْفَتَاةِ فَحَيَّا
وَدَرَى بَعْدَ ذَاكَ أَنَّ أَبَاهَا مَاتَ بِالدَّاءِ نَفْسِهِ وَأَخَاهَا
فَبَكَى رَاثِيًا جَمَالَ صِبَاهَا وَابْتِسَامًا مُوَدِّعًا فِي لُمَاهَا
وَشَبَابًا يَمُوتُ شَيْئًا فَشَيَّا
أُمُّهَا وَهْيَ أَثْكَلُ الْأُمَّهَاتِ بَعْدَ تِلْكَ الْمَشَاهِدُ الْمَاضِيَاتِ
لَمْ تَكُنْ تَسْتَطِيعُ بِالْبَسَمَاتِ رَدْعَ مَصْدُورَةٍ عَنِ الْحَسَرَاتِ
فَابْتِسَامُ الْحَزِينِ كَانَ عَصِيَّا
طَالَمَا ذِكْرَيَاتُ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ عَاوَدَتْهَا وَاللَّيْلُ سَكْرَانُ سَاهِدْ
يَوْمَ كَانَتْ تَبْكِي أَمَامَ الْوَسَائِدْ حَيْثُ مَاتَ الْوَلِيدُ بَعْدَ الْوَالِدْ
تَارِكِينَ الدَّاءَ الْمُخِيفَ الْخَفِيَّا
رَبِّ قَالَتْ يَا رَبِّ هَذَا الْوُجُودِ وَرَجَاءَ الشَّقِيِّ وَالْمَنْكُودِ
قَدْ كَفَانِي فِي شِقْوَتِي وَجُهُودِي مَوْتُ زَوْجِي الْفَتَى وَمَوْتُ وَحِيدِي
فَاشْفِ بِنْتِي وَكُنْ شَفِيقًا عَلِيَّا

٣

ذَاتُ حُسْنٍ كَالْفَجْرِ فِي نِيسَانِ لَامَسَتْهُ أَنَامِلُ الْأَحْزَانِ
وَبَيَاضٍ كَالثَّلْجِ فِي لُبْنَانِ وَحَدِيثٍ يُذِيبُ فِي الْآذَانِ
نَغَمًا لِلْحَيَاةِ مُوسِيقِيًّا
مُقْلَتَاهَا رَمْزُ الْفُؤَادِ الْوَجِيعِ وَلُمَاهَا اسْتَعَارَ لَوْنَ الشُّمُوعِ
هَكَذَا هِنْدُ وَهْيَ بِنْتُ الدُّمُوعِ كَانَ يَبْدُو شَبَابُهَا فِي الرَّبِيعِ
إِنَّ قَلْبَ الرَّبِيعِ كَانَ عَتِيًّا
ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَدَانَى الْغِيَابُ جَلَسَتْ هِنْدُ فِي يَدَيْهَا كِتَابُ
قَرَأَتْ فَتْرَةً وَجَاءَ الضَّبَابُ فَمَضَى فِيهِ جَفْنُهَا الْمُرْتَابُ
تَارَةً سَاهِيًا وَطَوْرًا بَكِيًّا
هِنْدُ لِمْ أَنْتِ تَنْظُرِينَ الضَّبَابَا بِعُيُونٍ ذَابَتْ وَقَلْبٍ ذَابَا
أَفَهَذِي رُؤًى تُرِيكِ الشَّبَابَا يَتَلَاشَى وَيَسْتَحِيلُ تُرَابَا
قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الْحَيَاةَ قَوِيًّا؟

٤

جَاءَ هِنْدًا دَاوُدُ بَعْدَ الظُّهُورِ فَرَآهَا وَالْأُمُّ بَيْنَ الزُّهُورِ
فِي يَدَيْهَا قُمَاشَةٌ مِنْ حَرِيرِ طُرِّزَتْ بَعْضُهَا بِفَنٍّ خَبِيرِ
فَبَدَا الْفَنُّ فِي يَدَيْ هِنْدَ حَيًّا
قَالَ هَذِي لِمَنْ «بِبَعْضِ ابْتِسَامٍ» إِنَّهَا مِثْلُ بُرْنُسٍ لِغُلَامِ
فَأَجَابَتْ بِزَفْرَةِ الْآلَامِ: لِفَتَاةٍ تَزَوَّجَتْ مُنْذُ عَامِ
فَهَنِيئًا لَهَا الزَّوَاجُ هَنِيًّا!
فَأَتَاهَا عِنْدَ الضُّحَى فَرَآهَا وَكِتَابٌ يَهْتَزُّ فِي يُمْنَاهَا
فَإِذَا عَيْنُهَا تُعِيرُ انْتِبَاهًا صَفْحَةً «وَدَّ لَوْ يَعِي فَحْوَاهَا»
وَقَفَتْ عِنْدَهَا الْفَتَاةُ مَلِيًّا
فَمَضَى خَلْفَ ظَهْرِهَا بِتَأَنٍّ فَرَآهَا تَتْلُو بِبَأْسٍ وَحزْنِ
بَيْتَ شِعْرٍ قَدْ قَالَهُ مُنْذُ قَرْنِ شَاعِرٌ وَهْوَ: يَا أَبِي لَا تُمِتْنِي

قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى الْعُذْرِيَّا

٥

أَبْصَرَتْ هِنْدُ وَهْيَ تُفَكِّرُ بِالْغَدْ مِنْ خِلَالِ الْأَحْلَامِ قَبْرًا أَسْوَدْ
رَقَدَتْ فِيهِ غَادَةٌ مَا تَنَهَّدْ صَدْرُهَا فِي الْحَيَاةِ حَتَّى تَوَسَّدْ
تُرْبَةً ضَمَّتِ الظَّلَامَ الدُّجَيَّا
وَتَرَاءَتْ لَهَا عَرُوسُ الْقَبْرِ تَنْحَنِي فَوْقَ وَجْهِهَا الْمُصْفَرِّ
فِي يَدَيْهَا بَاقَاتُ وَرْدٍ وَزَهْرِ نُثِرَتْ فَوْقَ رَأْسِهَا وَالصَّدْرِ
وَأَفَاحَتْ أَرِيجَهَا الْعِطْرِيَّا
وَتَرَاءَتْ لَهَا الْبَنَاتُ الْعَذَارَى رَاقِصَاتٍ بِحُبِّهِنَّ سُكَارَى
يَتَبَارَيْنَ مَا الشَّبَابُ تَبَارَى بِجَمَالٍ يُهَيِّجُ الْأَوْتَارَا
فِي يَدَيْ عَازِفٍ جَمِيلِ الْمُحَيَّا
وَفَتًى نَاظِرٌ بِعَطْفٍ إِلَيْهَا رَابَهُ السُّقْمُ فِي كِلَا خَدَّيْهَا
خَائِفٌ مِنْ دَمٍ عَلَى شَفَتَيْهَا قَاءَهُ مَا جَنَى عَلَى رِئَتَيْهَا
وَسُعَالٌ بِهِ الرَّدَى يَتَقَيَّا
وَتَرَاءَى لَهَا خَيَالٌ مُخِيفٌ بَيْنَ أَهْدَابِ مُقْلَتَيْهَا يَطُوفُ
فِي يَدَيْهِ مَشَاعِلٌ وَسُجُوفُ مَثَّلَتْ دَوْرَهَا عَلَيْهَا الصُّرُوفُ
فَتَرَاءَى لَهَا الرَّدَى عَلَنِيَّا
وَاسْتَفَاقَتْ لَدَى ارْتِعَاشٍ عَنِيفِ دَبَّهُ الْخَوْفُ فِي صِبَاهَا الضَّعِيفِ
فَتَلَاشَتْ كَالْحُلْمِ رُؤْيَا الطُّيُوفِ وَتَوَارَتْ أَمَامَ دَمْعٍ ذَرِيفِ
كَانَ سِحْرًا فِي عَيْنِهَا بَابِلِيَّا
رَبِّ قَالَتْ أَلَمْ تَهَبْنِي الْمُيُولَا وَحَدِيثًا عَذْبًا وَوَجْهًا جَمِيلَا
فَلِمَاذَا أَرَى الشَّبَابَ بَخِيلَا لَا يَرَى وَجْنَتَيَّ حَتَّى يَمِيلَا؟
عَنْ جَمَالٍ يَذُوبُ فِي وَجْنَتَيَّا
يَا إِلَهِي أَلَسْتُ يَوْمًا أُلَاقِي عَاشِقًا بَيْنَ مَعْشَرِ الْعُشَّاقِ
رَاحِمًا فِي فُؤَادِيَ الْمُشْتَاقِ غَيْرَ دَمْعٍ يَجُولُ فِي آمَاقِي
وَعَذَابٍ يُضِيءُ فِي مُقْلَتَيَّا؟!

٦

يَا ابْنَةَ الدَّاءِ يَا ابْنَةَ الْأَرْمَاسِ يَا خَيَالًا يَسِيرُ فِي دِيمَاسِ
اقْتَصِدْ مَا اسْتَطَعْتَ فِي الْأَنْفَاسِ إِنَّ رَسْمَ الْآلَامِ وَالْأَوْجَاسِ
عَنْ قَرِيبٍ سَيَمَّحِي سِرِّيًّا
أَنْتَ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ شَيْئًا فَشَيًّا يَقْضِمُ الْمَوْتُ جِسْمَكَ الْمَلَكِيًّا
يَا مَلَاكًا أَضَلَّكَ الدَّهْرُ غِيًّا فِي زَمَانٍ مَا كَانَ قَطُّ وَفِيًّا
فَاحْيَ فِينَا وَلَا تَكُنْ مَنْسِيًّا
سَوْفَ تَمْضِي إِلَى دِيَارِ الْبَقَاءِ بَعْدَ تِلْكَ الْأَسْقَامِ وَالْأَدْوَاءِ
طَاهِرًا كَالزَّنَابِقِ الْبَيْضَاءِ حَامِلًا مَشْعَلَ الْأَسَى وَالْبُكَاءِ
فِي فُؤَادٍ قَضَى الْحَيَاةَ نَقِيًّا
سَوْفَ يُغْمَى عَلَيْكِ فِي ذَا الْوُجُودِ بَعْدَ حِينٍ إِغْمَاءَ رُوحِ الْوُرُودِ
تَارِكًا فِي فُؤَادٍ كُلِّ وَدُودِ رَاءَ فِي وَجْهِكِ اصْفِرَارَ الْخُدُودِ
ذِكْرَيَاتٍ شَفَّافَةً كَالْحَمِيًّا

٧

قَالَ دَاوُدُ ذَاتَ يَوْمٍ لِنَفْسِهْ وَهْوَ يَجْلُو بِالْفِكْرِ غَامِضَ دَرْسِهْ
أَيَّ فَضْلٍ يُبْقِي الْفَتَى بَعْدَ رَمْسِهْ إِنْ أَبَى رَحْمَةَ التَّعِيسِ بِتَعْسِهْ
وَانْعِطَافًا عَلَى الشَّقِيِّ سَخِيًّا
لَيْسَ أَنْقَى مِن زَهْرَةِ الْإِحْسَانِ فَوْقَ صَدْرِ الْمُجَاهِدِ الْمُتَفَانِي
إِنْ أَكُنْ زَوْجَ غَادَةِ الْأَحْزَانِ أَفَلَيْسَ الْإِنْسَانُ لِلْإِنْسَانِ؟!
أَفَمَا كُنْتُ فِي الْحَيَاةِ وَفِيًّا؟!
سَوْفَ تَحْيَا بِالْحُبِّ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَكَذَا قَدْ أَرَادَتِ التَّضْحِيَاتُ
فَلْيُضِئْ بَيْنَ مُقْلَتَيْهَا الْمَمَاتُ فَالْمَنَايَا عِنْدَ الْهَوَى هَيِّنَاتُ
فَلْتَذُقْ ذَلِكَ الْهَوَى الْكَوْثَرِيَّا
وَمَضَى الشَّاعِرُ الطَّوِيلُ الْأَنَاةِ بَاسِطًا أَمْرَهُ لِأُمِّ الْفَتَاةِ
قَائِلًا: إِنَّ مُهْجَتِي وَحَيَاتِي وَجِهَادِي وَكُلَّ أُمْنِيَّاتِي

تَتَمَنَّى لِهِنْدَ عَيْشًا رَخِيًّا
سَوْفَ تَحْيَا هِنْدُ السِّنِينَ الطِّوَالَا لَيْسَ دَاءُ الْفَتَاةِ دَاءً عُضَالَا
فَثِقِي بِي وَأَنْعِشِي الْآمَالَا أَنَا مُثْرٍ فَلَسْتُ أَطْلُبُ مَالَا
بَلْ جَمَالًا عَذْبًا وَخُلْقًا أَبِيًّا
سَوْفَ تُشْفَى مِنْ دَائِهَا بَعْدَ عَامٍ سَوْفَ نَحْيَا بِغِبْطَةٍ وَسَلَامِ
وَثِقِي أَنَّ هِنْدَ ذَاتَ السِّقَامِ سَتَرَانِي أَخًا مَعَ الْأَيَّامِ
لَا عَشِيقًا لِجِسْمِهَا وَحْشِيًّا
فَبَكَتْ أُمُّهَا لِهَذَا الْكَلَامِ بِعُيُونٍ تَشِعُّ بِالْأَحْلَامِ
وَلَدُنْ أَيْقَنَتْ بِصِدْقِ الْمَرَامِ شَكَرَتْهُ بِمَدْمَعٍ بَسَّامِ
كَانَ بِالْحُزْنِ وَالنُّوَاحِ حَرِيًّا

٨

هِنْدُ إِنِّي أَهْوَاكِ أَهْوَى جَمَالَا يَرْشُقُ الْحُبَّ مِنْ لُمَاكِ نِبَالَا
قَالَ هَذَا وَقَدْ رَأَى الْآمَالَا رَاسِمَاتٍ فِي مُقْلَتَيْهَا خَيَالَا
طَاهِرًا فِي جَمَالِهِ مَلَكِيًّا
فَأَجَابَتْ وَقَدْ عَرَاهَا السُّكُوتُ بَعْضَ حِينٍ كَأَنَّهُ هَارُوتُ
كَيْفَ تَهْوَى أَلَا تَرَانِي عَبِيتُ مُقْلَتِي تَنْطَفِي وَقَلْبِي يَمُوتُ
وَيَجُولُ التُّرَابُ فِي خَدَّيَّا؟
قَالَ لَا بَلْ تَحْيَيْنَ عُمْرًا طَرُوبَا وَتَرَيْنَ الْحَيَاةَ عَيْشًا خَصِيبَا
فَأَنَا عَاقِلٌ سَأَلْتُ الطَّبِيبَا قَالَ لِي: هِنْدُ سَوْفَ تُشْفَى قَرِيبَا
وَتَرَى لَوْنَ خَدِّهَا الْوَرْدِيَّا

٩

مَرَّ بِالْعَاشِقَيْنِ أُسْبُوعَانِ هَيَّآ فِيهِمَا جِهَازَ الْقَرَانِ
وَالرَّبِيعُ الْجَمِيلُ فِي نِيسَانِ كَانَ يَزْهُو بِالْفُلِّ وَالرَّيْحَانِ
سَاكِبًا ذَلِكَ النَّدَى اللُّؤْلُؤِيَّا

بِحَرِيرٍ مُزَرْكَشٍ وَمُخَرَّمْ وَطِرَازٍ عَلَى النَّوَافِذِ مُعْلَمْ
هَكَذَا غُرْفَةُ الزِّفَافِ الْأَفْتَمْ بَرَزَتْ وَهْيَ تَسْتَعِدُّ لِمَأْتَمْ
بِجَمَالِ الْعُرْسِ الرَّهِيبِ تَزَيَّا!
وَسَرِيرٍ أُعِدَّ فِيهَا صَغِيرِ أُلْقِيَتْ فَوْقَهُ سُتُورُ الْحَرِيرِ
لَعِبَتْ أَنْمُلُ النَّسِيمِ الطَّهُورِ بِحَنَايَا رِدَائِهِ الْمَنْشُورِ
فَاسْتَطَارَ الرِّدَاءُ نَشْرًا وَطَيَّا
وَهُنَا بَعْدَ عُرْسِهَا الْمَلَكِيِّ ظَهَرَتْ هِنْدُ كَالصَّبَاحِ الْبَهِيِّ
بِنَقَاءٍ كَكُلِّ قَلْبٍ نَقِيٍّ وَبَيَاضٍ كَثَوْبِهَا الزَّنْبَقِيِّ
وَدَلَالٍ يَفُوحُ طُهْرًا وَرِيَّا

١٠

مَا لِتِلْكَ الْفَرَاشَةُ السَّوْدَاءُ تَتَغَنَّى فِي الْغُرْفَةِ الْبَيْضَاءِ
جَنْحُهَا حَالِكٌ كَقِطْعِ الرَّجَاءِ وَغِنَاهَا الرَّهِيبُ رَمْزُ الْبُكَاءِ
خَالَهُ الْمُبْتَلِي غِنَاءً شَجِيًّا!
ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَدَانَى الظَّلَامُ خَفَقَتْ فِي ضُلُوعِهَا الْآلَامُ
فَتَرَامَتْ وَقَدْ تَرَاءَى الْحِمَامُ مُسْتَفِيقًا فِي عَيْنِهَا لَا يَنَامُ
يَنْتَحِي عَالَمَ الدُّجَى الْأَبَدِيَّا
وَاسْتَفَاقَتْ قَبْلَ الْمَمَاتِ الرَّهِيبِ فَرَأَتْ زَوْجَهَا كَثِيرَ الشُّحُوبِ
يَا حَبِيبِي قَالَتْ لَهُ يَا حَبِيبِي حَانَ مَوْتِي وَجَاءَ وَقْتُ مَغِيبِي
فَعَذَابِي يَثُورُ فِي رِئَتَيَّا
غَيْرَ أَنِّي أَمْضِي لِدَارِ الْبَقَاءِ بِسُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَصَفَاءِ
فَأَنَا رَغْمَ عِلَّتِي وَبَلَائِي ذُقْتُ طَعْمَ الْهَوَى كَبَاقِي النِّسَاءِ
وَعَرَفْتُ التَّآلُفَ الذَّهَبِيَّا
وَارْتَمَى رَأْسُهَا ارْتِمَاءَ يَدَيْهَا وَتَلَاشَى اللُّهَاثُ فِي مِرْشَفَيْهَا
فَبَدَتْ وَالدِّمَاءُ فِي شَفَتَيْهَا مِثْلَ شَاةٍ بَيْضَاءَ أُلْقَى عَلَيْهَا
شَرِسُ الْقَلْبِ سَهْمُهُ الدَّمَوِيَّا ...
أَيُّ ذَنْبٍ جَنَتْهُ تِلْكَ الصَّبِيَّةْ لِيُجَازَى شَبَابُهَا بِالْمَنِيَّةْ

رَبِّ! إِنْ كَانَ أَصْلُ تِلْكَ الضَّحِيَّةْ وَالِدٌ أَوْرَثَ السُّمُومَ الْخَفِيَّةْ
فَصِبَاهَا لَمْ يَأْتِ أَمْرًا فَرِيًّا
رَبِّ! لِمْ أَنْتَ تَظْلِمُ الْأَبْرِيَاءَ وَتَزِيدُ الْعَانِي الشَّقِيَّ شَقَاءَ
هُمْ يَقُولُونَ: هَكَذَا اللهُ شَاءَ فَاحْتَرِمْ فِيهِ حِكْمَةً عَلْيَاءَ
وَاحْبُهُ الشُّكْرَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا!

ولَمَّا كَبِرتُ

بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فَمَا مِنْ أَنِيسٍ يُؤَاسِي هُمُومِي وَمَا مِنْ صَدِيقِ
تَقُولُ لِيَ انْهَضْ وَإِمَّا رَأَتْنِي مُجِدًّا تَقِفْ عَثْرَةً فِي طَرِيقِي
فَيَا رَبِّ أَطْفِئْ سِرَاجَ شُعُورِي لِأُصْبِحَ ذَا بَصَرٍ مُسْتَفِيقِ
وَأَخْرِسْ بِصَدْرِي الشَّبَابَ فَإِنِّي أَوَدُّ اسْتِمَاعَ فُؤَادِي الْحَقِيقِي

* * *

لَقَدْ طَالَ عَهْدِيَ بِالظُّلُمَاتِ وَلَمْ أَسْتَنِرْ بِسِوَى الظُّلُمَاتْ
كَأَنَّ الدُّجَى مَشْعَلٌ فِي فُؤَادِي تُزَيِّنُهُ بِالشَّقَاءِ الْحَيَاةْ
فَمَا الزَّهَرَاتُ أَمَامَ عُيُونِي سِوَى ذِكْرَيَاتِ الْهَوَى الْمَاضِيَاتْ
تَمُرُّ بِمَشْهَدِهَا الْمُسْتَحَبِّ وَتَذْبُلُ كَالْأَزْهُرِ الذَّابِلَاتْ

* * *

أُقَضِّي لَيَالِيَّ فِي مِخْدَعٍ بَكَى وَالِدِي حَظَّهُ فِيهِ قَبْلِي
فَكَمْ زَارَنِي فِيهِ مِنْ زَائِرٍ وَأَبْصَرَنِي بِالدُّمُوعِ أُصَلِّي
نَشَأْتُ تَشُفُّ بِيَ الْحَسَرَاتُ فَتُضْوِي فُؤَادِي الْكَئِيبَ وَتُبْلِي
تَمَرَّدَ كُلُّ غَرِيبٍ عَلَيَّ وَلَمَّا كَبِرْتُ تَمَرَّدَ أَهْلِي

* * *

أَرَى اللَّيْلَ يَفْتَحُ إِيوَانَهُ لِيَسْتَقْبِلَ الْأَجْفُنَ النَّائِمَةْ

وَنَفْسِيَ هَائِمَةٌ فِي فَضَاءٍ تَخَوَّفَ مِنْ نَفْسِيَ الْهَائِمَةْ
فَيَا مَنْ لَهُ الْأَعْيُنُ الْبَاسِمَاتُ أَنِرْنِي بِأَعْيُنِكَ الْبَاسِمَةْ
تَعَالَ وَأَغْمِضْ ذُبُولَ جُفُونِي بِأَنْمُلِكَ الْبَضَّةِ النَّاعِمَةْ

* * *

تَعَالَ إِلَيَّ فَقَدْ سَكَتَ الطَّيْـ ـرُ وَاللَّيْلُ مُنْسَدِلٌ فَوْقَ عُشِّهْ
وَقَدْ نَامَ فَلَّاحُ تِلْكَ الْحُقُولِ وَفِي جَنْبِهِ مَا جَنَاهُ بِرَفْشِهْ
فَكَمْ مَلَكٍ أَيُّهَا اللَّيْلُ يَبْكِي أَمَامَ جَلَالِكَ فُقْدَانَ عَرْشِهْ
وَكَمْ بَائِسٍ ظَلَمَتْهُ الْحَيَاةُ يَخَالُ سَوَادَكَ ظُلْمَةَ نَعْشِهْ

* * *

تَعَالَ وَأَنْشِدْ عَلَى مَسْمَعِي أَغَانِيَ الْهَوَى بِلُغَاتِ الْخُلُودْ
وَخُذْ ذِكْرَيَاتِي إِلَى عَالَمٍ يَطِيبُ لِرُوحِي فِيهِ السُّجُودْ
فَهَذِي الْحَيَاةُ ثُمَالَةُ كَأْسٍ سَقَاهَا رَحِيمُ الرَّدَى لِلْوُجُودْ
فَدَعْنِي أُنِلْهَا بَقَايَا جَمَادِي لِتَمْتَصَّهَا حَشَرَاتُ اللُّحُودْ

* * *

تَعَالَ فَإِنَّ دَقَائِقَ عُمْرِي تَمُرُّ عَلَى مُهْجَتِي رَاحِلَةْ
وَقَدْ حَمَلَتْ لِيَدِ اللَّانِهَا يَةِ الْكَيَاسَ آمَالِيَ الزَّائِلَةْ
غَدًا إِنْ رَأَيْتَ خَيَالَ الْحِمَامِ يَمُرُّ عَلَى وَجْنَتِي النَّاحِلَةْ
تَعَالَ وَضَعْ قُبُلَاتِ الْوَفَاءِ عَلَى شَفَةِ الْمَائِتِ الذَّابِلَةْ

* * *

وَفِي الْغَدِ حِينَ تَمُرُّ السُّنُونُ حَيَارَى عَلَى خَدِّكِ النَّاعِمِ
وَتَنْزِعُ عَنْهُ سَنَاءَ الْجَمَالِ وَيَبْقَى سَنَا رُوحِكَ الدَّائِمِ
سَتَذْكُرُنِي مُلْقِيًا هَامَتِي بِعَطْفٍ عَلَى صَدْرِكَ النَّائِمِ
وَأُسْمِعُكَ الشِّعْرَ عَذْبًا طَرِيًّا كَسِحْرٍ بِمِرْشَفِكَ الْبَاسِمِ

* * *

فَيَا مَنْ ظَهَرْتَ لِرَيِّقِ قَلْبِـ ـيَ فِي عَالَمٍ مُقْفِرٍ مُنْتِنِ
وَأَشْعَلْتَ فِي لَيْلِيَ الْمُكْفَهِرِّ مَشَاعِلَ حُبِّكَ فِي أَعْيُنِي

وَقُلْتَ لِقَلْبِيَ كُنْ عَاشِقًا فَكَانَ وَفَاضَ مِنَ الْأَجْفُنِ
تَعَالَ إِلَيَّ وَلَامِسْ فُؤَادِي وَلَا تَخْشَ مِنْ جُرْحِيَ الْمُزْمِنِ

في ٨ آب سنة ١٩٢٤

الشبل الرابض

جَثَمَ اللَّيْلُ بِأَحْضَانِ التِّلَالِ حَالِكَ الْبُرْدَةِ مَنْشُورَ الظِّلَالْ
كَخِضَمٍّ غَرِقَ الْهَمُّ بِهِ فَاعْتَرَى أَمْوَاجَهُ صَمْتُ الْجَلَالْ
وَأَنَا فِي مِخْدَعِي لَا تَنْثَنِي عَنْ جُفُونِي مُرِدَا الشَّهْدِ الطِّوَالْ
فِي فُؤَادِي مِنْ غَرَامِي صُورَةٌ وَعَلَى عَيْنِي مِنْ حُبِّي خَيَالْ

* * *

هُوَ ذَا الْبَدْرُ بِأَبْهَى رَوْنَقٍ صَاعِدٌ خَلْفَ جِبَالِ الْمَشْرِقِ
غَرِقَتْ هَالَتُهُ فِي غَيْمَةٍ كَدُمُوعٍ غَرِقَتْ فِي حَدَقِ
أَوْ كَأَحْلَامٍ لَيَالِيَّ وَقَدْ ذَوَّبَتْ بَيْنَ بُخَارٍ أَزْرَقِ
فَتَرَاءَى اللَّيْلُ سَكْرَانَ بِمَا ذَابَ فِي مِرْشَفِهِ الْمُحْتَرِقِ

* * *

يَا فَتَاةً بَيْنَ جَنْبَيَّ هَوَاهَا لَكِ عِنْدِي حُرْمَةٌ رَبِّي رَعَاهَا
كَانَ فِي صَدْرِي آمَالٌ وَقَدْ مَرَّ إِخْفَاقِي عَلَيْهَا فَمَحَاهَا
إِنَّ فِي عَيْنَيْكِ آثَارِي فَلَا تُنْكِرِيهَا عَزَّزَ اللهُ بَقَاهَا
فَهُمَا مِرْآةُ قَلْبِي فِي الْهَوَى كَمْ أَرَتْنِي مُهْجَتِي عِنْدَ رُؤَاهَا

* * *

يَا فَتَاتِي تَحْتَ زَهْرِ الْيَاسِمِينْ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى حُبٍّ أَمِينْ
لَا يَزَالُ الزَّهْرُ بَسَّامًا لَنَا شَاهِدًا عَدْلًا عَلَى تِلْكَ الْيَمِينْ

فَـاذْكُرِي ذَلِـكَ وَالـدَّمْـعَ الَّـذِي قَـدْ ذَرَفْـنَـاهُ بِـشَـوْقٍ وَحَـنِـيـنْ
كَـانَ ذَاكَ الـدَّمْـعُ مَـاءً مُـنْـزَلًا عَـمَّـدَ الْـحُـبُّ بِـدِيـنِ الْـعَـاشِـقِـيـنْ

* * *

يَا فَتَاتِي كَانَ لِي مَسْعًى وَقَدْ صَـفِـرَتْ مِـنْـهُ عُـيُـونِـي وَيَـدِي
إِنْ يَـكُـنْ أَخْـفَـقَـهُ الْـحَـظُّ فَـلَا بُـدَّ مِـنْ يَـوْمٍ نُـهُـوضٍ فِـي الْـغَـدِ
أَنَـا فِـي الْـعِـشْـرِيـنَ عَـفْـوًا إِنَّـنِـي أَمْـرَدٌ لَا تَـعْـبَـثِـي بِـالْأَمْـرَدِ
إِنَّ لِـلْأَشْـبَـالِ سَـاعَـاتِ دَدٍ وَكَـذَا لِـلـصَّـبِّ سَـاعَـاتُ دَدِ

* * *

يَا فَتَاتِي إِنْ تَكُونِي تَفْخَرِينْ عِـنْـدَمَـا أُذْكَـرُ بَـيْـنَ الـنَّـابِـهِـيـنْ
فَـلْـيَـكُـنْ فَـخْـرُكِ قَـلْـبِـي إِنَّـهُ ذَابَ مِـنْ أَجْـلِكِ فِـي كَـأْسِ الْأَنِـيـنْ
وَإِذَا مَـا افْـتَـخَـرَ الـنَّـاسُ غَـدًا فَـافْـتِـخَـارِي بِـشِـعَـارِ الْـبَـائِـسِـيـنْ
رِيـشَـةٌ مِـنْ قَـصَـبٍ عَـلَّـقْـتُـهَـا فَـوْقَ تَـارِيـخِ الـرِّجَـالِ الْـخَـالِـدِيـنْ

* * *

رِيـشَـةٌ مِـنْ قَـصَـبٍ نَـاجَـيْـتُـهَـا وَأَنَـا أَلْـثِـمُ هَـاتِـيـكِ الْـخُـدُودْ
إِنْ أَكُـنْ نَـاجَـيْـتُـهَـا مُـنْـذُ الـصِّـبَـا سَـوْفَ مِـنْ بَـعْـدِي يُـنَـاجِـيهَا الْـوُجُـودْ
سَـوْفَ مِـنْ بَـعْـدِي تَـبْـقَـى أَثَـرًا يَـرْسِـمُ الْـمَـجْـدَ عَـلَـى لَـوْحِ الْـخُـلُـودْ
وَيُـطِـلُّ الـدَّهْـرَ مِـنْ كُـوَّتِـهِ لِـيَـرَاهَـا كَـيْـفَ تُـرْمَـى بِـالْـوُرُودْ

في ٣ أيار سنة ١٩٢٤

أمام مهد سعاد

ارْقُدِي ارْقُدِي فَغَيْرُ الرُّقَادِ لَيْسَ يَحْلُو لِأَعْيُنِ الْأَوْلَادِ
أَنْتِ فِي الْمَهْدِ مِثْلُ زَهْرَةِ فَجْرٍ أَنْعَشَتْهَا يَدُ النَّدَى فِي الْوَادِي
يَا سُعَادًا هَذِي عُيُونُ الْعَذَارَى بَاسِمَاتٌ جَمِيعُهَا لِسُعَادِ
سَاكِبَاتٌ فِي طُهْرِ قَلْبِكِ نُورًا مِنْ سِرَاجِ النُّفُوسِ وَالْأَكْبَادِ
ارْقُدِي وَاحْلُمِي فَحُلْمُكِ عَذْبٌ يَا سُعَادًا كَالسَّلْسَبِيلِ الْبُرَادِ
وَدِّعِي أُمَّكِ الْحَنُونَ تُنَاغِيـ ـكِ بِصَفْوِ الْحَنِينِ وَالْإِنْشَادِ
يَا مَلَاكًا مَا أَنْتِ فِي الْمَهْدِ إِنْسَا نًا كَذَاكَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الرَّشَادِ
أَنْتِ مَا زِلْتِ فِي سَرِيرِكِ رُوحًا كَبَّلَتْهَا يَدٌ بِقَيْدِ الْجَمَادِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْعِبَادَ وَلِكِنْ قَذَفَتْكَ السَّمَاءُ بَيْنَ الْعِبَادِ
أَهُنَاكَ اقْتَرَفْتَ ذَنْبًا فَجُوزِيـ ـتَ بِنَفْيٍ فِي عَالَمِ الْإِضْطِهَادِ؟

* * *

يَا سُعَادًا غَدًا نَرَاكِ فَتَاةً تَسْكُبِينَ الْهَوَى بِكُلِّ فُؤَادِ
وَيَصُبُّ الشَّبَابُ فِي كَأْسِ جَفْنَيْـ ـكِ رَحِيقُ الْجَمَالِ لِلْوُرَّادِ
فَاحْذَرِي حِينَذَاكَ رَاصِدَةَ الْكَأْ سِ فَعَيْنُ الْحَيَاةِ بِالْمِرْصَادِ
لَا تَخُوضِي الْهَوَى فَمَا هُوَ إِلَّا نَزَوَاتُ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
يَا سُعَادًا غَدًا تَرَيْنَ قُدُودًا مُسْكَرَاتٍ تُبَاعُ بَيْعَ الْمَزَادِ
وَعُيُونًا لِلْحُسْنِ تَنْفُثُ فِيهَا حَشَرَاتُ الْأَقْذَارِ كُحْلَ الْفَسَادِ
حَافِظِي حَافِظِي عَلَى طُهْرِ هَذَا الْـ ـغُصْنِ غُصْنِ الطُّفُولَةِ الْمَيَّادِ

وَدَعِـيـهِ يَـنْـمُـو فَـفِـيـهِ ثِـمَـارٌ طَـيِّـبَـاتٌ لِـكُـلِّ غِـرْشَـةِ صَـادِ
إِنَّـمَـا أَثْـمَـارُ الـطَّـهَـارَةِ تَـحْـيَـا مِنْ مُـهُودِ الصِّبَا لِيَوْمِ التَّنَادِي
وَإِذَا مَـرَّتِ الْـعَـشِـيُّ عَـلَـيْـهَـا فَـهْـيَ مَنْثُورَةٌ عَلَى الْأَلْحَادِ! ...

* * *

ارْقُدِي يَا سُعَادُ فَالنَّوْمُ عَذْبٌ لِفُؤَادٍ مَا ذَاقَ طَعْمَ السُّهَادِ
وَابْسُمِي فَالْحَيَاةُ تَبْسُمُ فِي الْمَهْدِ وَيَغْفُو السَّلَامُ تَحْتَ الْوِسَادِ

في ١٣ نيسان سنة ١٩٢٤

قبل الرحيل

أَذْكُـرُهُ وَكَـيْـفَ لَا أَذْكُـرُ لُبْنَانُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ
هَوَاؤُهُ الطَّيِّبُ رُوحُ الصِّبَا وَمَـاؤُهُ أَكْـدَرُهُ كَـوْثَـرُ
أَشْجَارُهُ ذَاهِبَةٌ فِي الْفَضَا يَرُوعُ مِنْهَا ذَلِكَ الْمَنْظَرْ
كَأَنَّهَا الْمُرَادُ قَامَتْ عَلَى آكَامِهِ سَاهِرَةً تَخْفُرُ
نَبْعُ الصَّفَا يَقْطُرُ مِنْ صَدْرِهِ وَالرَّوْضُ سَكْرَانُ فَلَا يَشْعُرُ
كَأَنَّمَا أَمْوَاهُهُ خَمْرَةٌ مُذْ يَسْتَقِيهَا رَوْضُهُ يَسْكَرُ

* * *

وَزَحْلَةٌ شَوْقِي إِلَى زَحْلَةٍ كَأَنَّهَا فِي حُسْنِهَا جُؤْذَرُ
حَوْرَاءُ وَالْعُشَّاقُ تَرْتَادُهَا وَكُلُّ مَنْ يَعْشَقُهَا أَحْوَرُ
كَمْ قَدْ تَبَارَى الشِّعْرُ فِي وَصْفِهَا! وَكُلُّنَا فِي وَصْفِهَا قُصَّرُ
سَمَاؤُهَا وَحْيٌ وَأَزْهَارُهَا شِعْرٌ وَبَرْدُونِيُّهَا أَسْطُرُ
كَمْ أَنْجَبَتْ مِنْ شَاعِرٍ نَابِغٍ إِذَا انْبَرَى فِي مَوْقِفٍ يُسْحِرُ
كَأَنَّمَا هَارُوتُ فِي شِعْرِهِ بِالرَّغْمِ عَنْ إِخْفَائِهِ يَظْهَرُ

* * *

وَالْأُرْزُ شَدَّ الْخُلْدُ أَعْصَابَهُ فَكُلُّ طَوْدٍ عِنْدَهُ يَصْغُرُ
جَبَابِرُ الْأَيَّامِ فِي مَجْدِهَا مَرْهُونَةٌ لِأَمْرِهَا الْأَعْصُرُ
يَا أَرْزُ لَا يُطْوَى الْفَخَارُ الَّذِي كَانَ سُلَيْمَانُ لَهُ يُنْشَرُ

فَاصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ فَمَا غَايَةٌ ضَاعَتْ لِمَنْ كَانَ لَهَا يَصْبِرُ
هَوَيْتُ لُبْنَانَ وَلَا أَنْثَنِي عَنْ حُبِّ لُبْنَانَ وَلَا أُدْبِرُ

* * *

لِي فِيهِ شَطْرٌ مِنْ حَيَاتِي وَلِي مِنْ مُهْجَتِي فِي صَدْرِهِ أَشْطُرُ
لِي فِيهِ بَدْرٌ مُشْرِقٌ نَيِّرٌ لَهُ جَمَالٌ مُشْرِقٌ نَيِّرُ
يَبْذُرُ نُورًا فِي رِيَاضِ الْهَوَى فَأَنْثَنِي أَجْمَعُ مَا يَبْذُرُ
كَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتُهَا قُرْبَهُ وَالْحُبُّ يُعْطِينَا وَلَا يَخْسَرُ
كَأَنَّهُ «رُتْشِيلْدُ» فِي عِزِّهِ كَأَنَّهُ «رُوكْفُلَرُ» الْمُوسِرُ
وَاللَّيْلُ فِيهِ قَمَرٌ كَامِلُ كَأَنَّهُ عَبْدٌ لَنَا أَعْوَرُ
يَا «أُولِغَا» مَرَّ الصَّفَا عَابِرًا كُلُّ صَفَاءٍ فِي الْوَرَى يَعْبُرُ

* * *

وَفِي فُؤَادِي أَدْمُعٌ كُلَّمَا فَاضَتْ فَفِي آهَاتِهِ تَعْثُرُ
يَا جُؤْذَرًا مَا «مَيُّ» فِي كُلِّ مَا أَنْظِمُ إِلَّا أَنْتِ يَا جُؤْذَرُ
أَنْتَ الَّذِي أَوْحَيْتَ شِعْرِي فَلَا أَجْحَدُ مَا تُوحِي وَلَا أُنْكِرُ
فِي عَيْنِكِ النَّجْلَاءِ سِرُّ الْهَوَى وَفِي لُمَاكِ الْعَذْبِ مَا يُسْكِرُ
وَفِي ثَنَايَاكِ هَوًى طَاهِرٌ وَبَيْنَ جَنْبَيْكِ هَوًى أَطْهَرُ
سَأَذْكُرُ الْمَرْجَةَ فِي الْفَجْرِ إِذْ أَبْكَرْتَ كَالْحَسُّونِ إِذْ يُبْكِرُ
مُذْ شَرَّفَتْ رِجْلَاكَ أَعْشَابَهَا حَنَى بِلُطْفٍ ذَلِكَ الْأَخْضَرُ
أَوْدَعْتَ عِنْدِي مُهْجَةً لَمْ تَخُنْ قَلْبِي عَلَى إِكْرَامِهَا يَسْهَرُ
قَطَّرْتَ لِي الْوُدَّ فَهَلْ فِي السَّمَا صَفَاوَةٌ مِثْلَ الَّتِي تَقْطُرُ؟

* * *

لِي كُلُّ هَذَا فِي بِلَادِي وَلِي فِي الْبَيْتِ أُخْتٌ شَعْرُهَا أَشْقَرُ
ضَحَّاكَةٌ كَالزَّهْرِ فِي رَوْضِهِ رَقَّاصَةٌ غَنَّاجَةٌ تَخْطِرُ
صَغِيرَةُ السِّنِّ لَهَا أَعْيُنٌ زُرْقٌ وَخَدٌّ أَبْيَضٌ أَحْمَرُ

وَحَاجِبٌ كَالسَّيْفِ إِنْ حَدَّقَتْ عَنْ غَضَبٍ يَخَافُهَا «عَنْتَرُ»[1]
الْأَسْوَدُ الْحَالِكُ فِي لَوْنِهِ إِذَا مَشَى أَمَامَهَا يَفْخَرُ
هِرٌّ لَهُ فِي عَيْنِهَا جَاذِبٌ وَفِي حَشَاهَا جَاذِبٌ آخَرُ
إِنَّ وَفَّقَ الْحَظُّ لَهُ فَارَةً يُسْرِعُ فِي سَاعَتِهِ يُخْبِرُ
كَأَنَّهُ وَهْوَ عَلَى كَتْفِهَا إِسْكَنْدَرُ الْأَكْبَرُ أَوْ قَيْصَرُ
أَوْ غُلَيِّمُ الثَّانِي عَلَى عَرْشِهِ اللهُ مِنْ سَطْوَتِهِ أَكْبَرُ
أُخْتٌ وَيَا للهِ مِنْ جُورِهَا يَأْتَمِرُ الْكُلُّ إِذَا تَأْمُرُ
فَرْضٌ عَلَى الْبَيْتِ وَمَا فِيهِ أَنْ يَبْقَى عَلَى مَرْضَاتِهَا يَسْهَرُ
إِنْ طَلَبَتْ شَيْئًا وَلَمْ يُؤْتِهَا جَمِيعُ مَا تَصْدِفُهُ يُكْسَرُ
الْوَيْلُ لِلْأَكْؤُسِ مِنْ شَرِّهَا وَيْلُ الْكَرَاسِيِّ إِذَا تَنْفِرُ
وَالْبَيْتُ يا للهِ مِنْ ذِكْرِهِ يُحِيطُهُ بُسْتَانُهُ الْأَخْضَرُ
تَنْظُرُ لِلْأَشْجَارِ فِيهِ وَلَا يُعْجِبُهَا إِلَّا الَّتِي تُثْمِرُ
تُحِبُّنِي حُبًّا شَدِيدًا بِلَا حَصْرٍ وَحُبُّ الْأُخْتِ لَا يُحْصَرُ
حُبًّا يُضَاهِي الْأَرْضَ طُرًّا وَمَا قَدْ حَمَلَتْ فِي قَعْرِهَا الْأَبْحُرُ
مِنْ سَمَكٍ يَسْبَحُ فِي مَائِهَا وَمِنْ شَخَاتِيرٍ بِهَا تَمْخُرُ
وَمِنْ رِمَالٍ كَثُرَتْ حَوْلَهَا فَحُبُّ أُخْتِي هُوَ لِي أَكْثَرُ
كَمْ مَرَّةٍ أَفْرَغْتُ وَقْتِي لِكَيْ أَسْمَعَهَا تُنْشِدُ مَا تَذْكُرُ
فَتَسْكَرُ الْآلَامُ فِي مُهْجَتِي وَصَوْتُ أُخْتِي خَمْرَةٌ تُسْكِرُ
تَنْظُرُ فِي عَيْنَيَّ طَوْرًا وَلَا أَحْزِرُ مَاذَا فِيهِمَا تَنْظُرُ
وَتَارَةً تُفْرِجُ عَنْ مَبْسَمٍ يَلْمَعُ فِيهِ الدُّرُّ وَالْجَوْهَرُ
كَمْ مَرَّةٍ جَاءَتْ إِلَى مَكْتَبِي بَيْنَا أَنَا أَنْظِمُ أَوْ أَنْثُرُ
فَبَعْثَرَتْ أَوْرَاقَهُ وَالْهَوَى فِي مُهْجَتِي كَانَ لَهَا يَشْكُرُ

* * *

سَأَهْجُرُ الْأَوْطَانَ لَا كَارِهًا لَكِنْ لِأَسْبَابٍ دَعَتْ أَهْجُرُ

[1] اسْمٌ لِهِرٍّ أَسْود.

رِجَـالُـهَـا مَـأْجُـورَةٌ جُـلُّـهَـا كَـأَنَّـهَـا الْآلَـةُ تُـسْـتَـأْجَـرُ
فِي أَرْضِ زَغْلُولٍ سَأُمْسِي غَدًا هَلْ يَا تُرَى يَصْفُو لِيَ الْمَعْشَرُ
أَنَـا أَسِـيـرٌ فِـي بِـلَادِي فَـهَـلْ فِي مِصْرَ أَفْكَارُ الْفَتَى تُؤْسَرُ
مَا مِصْرُ إِلَّا زَهْرَةً فِي الْعُلَى وَالنِّيلُ مِنْ بُرْعُمِـهَا يَـقْـطُرُ
فَـالْـحُـرُّ فِـيـهَـا أَسَـدٌ رَابِـضٌ إِذَا دُعِـي لِـلْـوَثْـبِ لَا يَـغْـدِرُ
يَـحْـرُسُـهَـا فِـرْعَـوْنُ فِـي قَـبْـرِهِ فِـرْعَـوْنُ حَـيٌّ فِـيـهِ لَا يُـنْـكَـرُ
الْـعَـنْـبَـرُ الْـفَـيَّـاحُ فِـي تُـرْبِـهِ وَالْـمِـسْـكُ فِـي أَرْجَـائِـهِ أَذْفُـرُ
كَـاللَّـيْـثِ إِذْ يَـزْأَرُ فِـي تَـخْـتِـهِ عَـرِيـنُـهُ يَـعْـرِفُـهُ «الْأُقْـصُـرُ»
لُـبْـنَـانُ أَنْـآهُ وَلَـكِـنْ لَـهُ ذِكْـرٌ بِـقَـلْـبِـي وَهَـوًى أَطْـهَـرُ
عَـسَـى أَرَاهُ مُـرْجِـعًـا مَـجْـدَهُ لُبْنَانُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ

في ١٥ آذار سنة ١٩٢٤

بعيدًا عن هذا العالَم

هَذِي الْحَيَاةُ كَمُسْتَشْفًى تَنَامُ بِهِ ... مَرْضَى الْوُجُودِ وَلَا تَشْفَى مِنَ الدَّاءِ
كَأَنَّمَا الدَّاءُ مَخْفِيٌّ بِأَنْفُسِهَا ... سِرٌّ عَصَى كَشْفُهُ عِلْمَ الْأَطِبَّاءِ

* * *

سَأَلْتُ نَفْسِيَ يَومًا وَهْيَ بَاكِيَةٌ ... كَأَنَّهَا ضَجِرَتْ مَا بَيْنَ أَعْضَائِي
يَا نَفْسُ إِنْ كُنْتِ فِي لُبْنَانَ يَائِسَةً ... هَذِي «دِمَشْقُ» تُنَاغِينَا بِإِصْفَاءِ
الْمَاءُ فِي «بَرْدَى» عَذْبٌ مُرَقْرَقُهُ ... كَأَنَّهُ لُؤْلُؤٌ فِي عَيْنَ حَوْرَاءِ
وَالطَّقْسُ مُعْتَدِلٌ فِيهَا وَصَافِيَةٌ ... سَمَاؤُهَا وَهْيَ بَيْنَ الزَّهْرِ وَالْمَاءِ
فَلَمْ تُجِبْنِي وَظَلَّتْ وَهْيَ صَامِتَةٌ ... تَرْمِي عُيُونِي بِأَنْظَارٍ وَإِصْغَاءِ
كَأَنَّ فِي نَفْسِهَا سِرًّا تُحَاوِلُ أَنْ ... تُخْفِيهِ وَالْعَيْنُ تُجْلِيهِ بِإِفْشَاءِ
فَقُلْتُ هَذِي «فُرُوقٌ» إِنْ سَكَنْتِ بِهَا ... سَكَنْتِ يَا نَفْسُ أَرْضًا لِلْأَشِدَّاءِ
«فُرُوقُ» يَحْرُسُهَا «الْبُوسْفُورُ» مَنْظَرُهُ ... يُفِيقُ فِي كُلِّ صَدْرٍ مَجْدَ آبَاءِ
إِذَا تَأَمَّلَ «قَرْنُ التِّبْرِ» شَاطِئَهُ ... تَأَمَّلَ الْمَجْدَ فِي أَحْضَانِ عَلْيَاءِ
وَالشَّمْسُ تَسْكُبُ فِي الْأَمْوَاهِ مُهْجَتَهَا ... بَسَّامَةً عَنْ حُلًى فِي ثَغْرِ عَذْرَاءِ
وَهَذِهِ مِصْرُ وَالْأَهْرَامُ تَرْمُقُهَا ... بِعَيْنِ فِرْعَوْنَ عَنْ أَلْحَاظِ حَسْنَاءِ
كَأَنَّهَا وَهَدِيرُ النِّيلِ يُطْرِبُهَا ... عَشَّاقَةُ الْفَنِّ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالنَّائِي

* * *

فَلَمْ تُجِبْنِي هَلْ خَرْسَاءُ نَفْسِيَ أَمْ ... جِيئَتْ بِجِنَّيَّةٍ شَمْطَاءَ خَرْسَاءِ

فَقُلْتُ يَا نَفْسُ إِنْ تَهْوِي السُّكُونَ فَمَا فِـي الْكَوْنِ غَيْرُ حَزَازَاتٍ وَشَـحْنَاءِ
فَلْنَسْكُنِ الْقُطْبَ حَيْثُ النُّجْمُ سَاطِعَةٌ تُصْبِـي النُّفُـوسَ بِـأَنْوَارٍ وَأَضْـوَاءِ
هُنَـاكَ لَا حِـقْدَ تَرْتَـاعُ النُّفُوسُ لَـهُ وَلَا لُـهَـاثٌ مِـنَ الْـقَـوْمِ الْأَرِقَّـاءِ

* * *

إِذْ ذَاكَ نَادَتْ بِصَدْرِي النَّفْسُ قَائِلَةً: «أَيَّا سَـكَنْتَ تَـجِدْ حُـكْمًا لِإِرْضَـائِي
بِشَرْطِ أَنْ تَنْثَنِي مِنْ عَالَمٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْحَزَازَاتُ مِنْ ظُلْمٍ وَبَغْضَاءِ!»

في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٤

الفضيلة

بَكَتْ وَهْيَ صَرْعَى مِنْ هُمُومٍ تَحِيقُهَا ... كَبَائِسَةٍ فِي النَّاسِ ضَاعَتْ حُقُوقُهَا
وَصَارَتْ تُوَالِي بِالشَّهِيقِ أَنِينَهَا ... فَأَسْمَعَنِي لَحْنَ الْحَيَاةِ شَهِيقُهَا
وَأَلْقَتْ عَلَى صَدْرِي مِنَ الْحُزْنِ رَأْسَهَا ... غَرِيبَةُ دَارٍ قَدْ نَآهَا صَدِيقُهَا
وَأَدْمُعُهَا كَانَتْ رَحِيقًا مُذَوَّبًا ... فَأَسْكَرَ قَلْبِي الْمُسْتَهَامَ رَحِيقُهَا
وَلَمَّا اسْتَتَبَّ النَّوْمَ فِي غُلْفِ عَيْنِهَا ... وَنَامَ «كَمَا نَامَ الْجَرِيحُ» خُفُوقُهَا
سَكَتُّ فَلَمْ أَلْهَثْ حَذَارِ تَنَهُّدِي ... يَمُرُّ عَلَى أَجْفَانِهَا فَيُفِيقُهَا
وَكَانَ ظَلَامُ اللَّيْلِ يُرْخِي سُدُولَهُ ... وَأَنْجُمُهُ يَذْوِي النُّفُوسَ بَرِيقُهَا
كَأَنَّ شُعَاعَ الزَّهْرِ فِي شَاسِعِ الْفَضَا ... سِهَامٌ عَلَى قَلْبِ الْوُجُودِ مُرُوقُهَا
فَقُلْتُ وَفِي صَدْرِي مِنَ الدَّمْعِ بِرْكَةٌ ... تَحَمَّلَ أَقْذَارَ الْحَيَاةِ عَمِيقُهَا
إِذَا كَانَتِ الظَّلْمَاءُ فِينَا مُنِيرَةً ... فَأَحْرَى بِهَا أَلَّا يَزُولَ غُسُوقُهَا
أَحَقُّ بِنَا الظَّلْمَاءُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... فَفِينَا وُجُوهٌ يَسْتَبِدُّ صَفِيقُهَا
وَفِينَا حَزَازَاتٌ إِلَى الْبَغْيِ تَنْتَمِي ... وَفِينَا شِفَاهٌ مِنْ طِلَى الْحِقْدِ رِيقُهَا

* * *

نَظَرْتُ إِلَى مَنْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدَّهَا ... فَأَلْفَيْتُ شَمْسًا لَا يَغِيبُ شُرُوقُهَا
كَأَنَّ نَثَارَ الدَّمْعِ تِبْرٌ بِعَيْنِهَا ... يُذَوِّبُهُ فَوْقَ الْعَقِيقِ مَرِيقُهَا
فَقُلْتُ عَزِيزٌ يَا بَنِي الشَّرْقِ أَنْ نَرَى الْـ ... ـفَضِيلَةَ يَمْشِي فِي الْمَكَاسِدِ سُوقُهَا
تَهِيمُ وَلَا تَدْرِي طَرِيقَ نَجَاتِهَا ... كَأَنَّ ضَلَالَ الْعَالَمِينَ طَرِيقُهَا
هِيَ الزَّهْرَةُ الْبَيْضَاءُ فِي عَوْسَجِ الْوَرَى ... يَحُفُّ بِهَا شَوْكُ الْخَنَا وَيُحِيقُهَا

وَقَدْ عَصَفَتْ رِيحٌ عَلَيْهَا شَدِيدَةٌ فَنَثَّرَهَا مِثْلَ الدُّمُوعِ خَرِيقُهَا
هِيَ النَّجْمَةُ الزَّهْرَاءُ فِي حَدَقِ الدُّجَى يُسَامِرُهَا بَدْرُ الْعَفَافِ شَقِيقُهَا
وَلَكِنَّ غَيْمَ الْجَهْلِ لَاصَقَ نُورَهَا فَحَجَّبَهَا عَنْ كُلِّ عَيْنٍ لَصِيقُهَا
هِيَ ابْنَةُ آمَالِي وَلَكِنْ سَجِينَةٌ تَنَاسَى هَوَاهَا الْكُلُّ حَتَّى عَشِيقُهَا
يَشُوقُ فُؤَادِي أَنْ يَرَاهَا طَلِيقَةً وَلَكِنْ قُيُودُ الظُّلْمِ لَيْسَ يَشُوقُهَا

* * *

غَفَتْ مِلْءَ عَيْنَيْهَا وَلَكِنَّ رُوحَهَا تَرَدَّدَ فِي صَدْرِ الْحَيَاةِ زُهُوقُهَا
كَأَنَّ الَّذِي أَخْنَى عَلَيْهَا بِجُورِهِ إِلَى هُوَّةِ الْإِعْدَامِ جَاءَ يَسُوقُهَا
أَشَاحَ خَيَالُ الْحُبِّ عَنْهَا بِوَجْهِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهَا فِي الْحَيَاةِ رَفِيقُهَا
فَمَا وَجَدَتْ إِلَّا الْمَدَامِعِ مُؤْنِسًا لِذَلِكَ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ تُرِيقُهَا

في ٢٩ آذار سنة ١٩٢٤

إلى شاعر القُطرَيْن[1]

أَلَا تُبْصِرُ الْأَغْصَانَ بَلَّلَهَا الْقَطْرُ ... فَمَالَتْ سَكَارَى لَا رَحِيقَ وَلَا خَمْرُ
أَطَلَّتْ عَذَارَى الشِّعْرِ مِنْ فُرَجَاتِهَا ... لَهَا مِنْ بَنَانِ الْعُشْبِ أَقْلَامُهَا الْخُضْرُ
أَطَلَّتْ وَكَانَتْ هَاجِعَاتٍ عُيُونُهَا ... يُذَوَّبُ فِي أَحْلَامِهَا ذَلِكَ السِّحْرُ
كَأَنَّ نِدَاءً مِنْ صَدِيقٍ أَفَاقَهَا ... فَهَبَّتْ وَفِي سِيمَائِهَا يَبْسُمُ الْبِشْرُ
وَلَمَّا رَأَتْهُ حَدَّقَتْ فِي جَبِينِهِ ... فَأَبْصَرَتِ التَّذْكَارَ آلَمَهُ الْهَجْرُ
وَلَمْ تَقْوَ عَنْ مَسْكِ الدُّمُوعِ فَأَسْبَلَتْ ... عَلَى خَدِّهَا الْوَرْدِيِّ أَدْمُعُهَا الْحُمْرُ
خَلِيلُ وَفِي تُرْبِ الْبِلَادِ شَهَادَةٌ ... هِيَ الْمَجْدُ بَاقٍ فِي بِلَادِكِ وَالْفَخْرُ
أَجِلْ مُقْلَةَ الْإِلْهَامِ فِي عَرَصَاتِهَا ... تَجِدْ أَثَرَ الْأَفْرَاحِ يَا أَيُّهَا النِّسْرُ
هِيَ الْأُسْدُ حَالَ الصَّمْتُ دُونَ زَئِيرِهَا ... فَسَالَتْ مَآقِيهَا وَلَيْسَ لَهَا زَأْرُ
لَئِنْ جَنَحَتْ أَرْوَاحُهَا عَنْ لُبَانَةٍ ... فَمَا جَنَحَ الْمَجْدُ الْمُخَلِّدُ وَالذِّكْرُ

* * *

بِلَادُكَ هَذِي يَا خَلِيلُ فَإِنَّهَا ... حَلِيلَتُكَ الْأُولَى إِذَا فَخَرَتْ مِصْرُ
فَمِنْ مَائِهَا رَوَّيْتَ شِعْرَكَ رَيِّقًا ... وَفِي رَوْضِهَا شَبَّتْ قَصِيدَتُكَ الْبِكْرُ
هُنَا تَحْتَ هَذَا الْأَرْزِ تَحْتَ جَلَالِهِ ... وَتَحْتَ غُصُونٍ قَدْ تَفَيَّأَهَا الدَّهْرُ
سَجَدْتُ خُشُوعَ الْقَلْبِ فِي رَيِّقِ الصِّبَا ... تُنَاجِي لُهَاثَ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ مَرُّوا

---

[1] القصيدة التي وُجِّهت إلى خليل بك مطران في الحفلة التكريمية التي أقامتها له زحلة.

فَكَمْ وَقْفَةٍ فِي بَعْلَبَكَّ وَقْفَتَهَا ... تُرَاقِبُ مَسْرَى الْبَدْرِ تَتْبَعُهُ الزَّهْرُ
كَمَوْكِبِ جِنٍّ قَدْ أَطَلَّ مِنَ الْفَضَا ... لِيَشْهَدَ أَطْلَالَ الرَّدَى وَبِهِ ذُعْرُ
أَمَا بَعْلَبَكَّ الْيَوْمَ كَالْأَمْسِ زُخْرُهَا ... يُكَلِّلُهَا فِي كُلِّ دَارِسَةٍ زُخْرُ
أَمَا بَرِحَتْ فِي لُبَّةِ الْمَجْدِ زَهْرَةً ... يُقَبِّلُهَا التَّارِيخُ وَهْيَ لَهُ فَجْرُ
فَمَا تِلْكُمُ الْأَنْقَاضُ إِلَّا حَوَادِثٌ ... عَلَى جَبْهَةِ الْأَيَّامِ سَطَّرَهَا السِّرُّ
وَمَا الْهَبَوَاتُ السُّودُ فِي جَنَبَاتِهَا ... سِوَى عِبَرِ الْأَزْمَانِ تَلْفِظُهَا الْجُدْرُ
أَلَا فَانْفُضِ الْأَيَّامَ عَنْهَا بِفِكْرَةٍ ... هِيَ النُّورُ مِنْ زَيْتِ النُّبُوَّةِ وَالشِّعْرُ
لِتُطْلِعَ «جُوبِيتَارَهَا» فَهْوَ رَابِضٌ ... «كَتِيرُونَ» لَكِنْ لَيْسَ فِي صَدْرِهِ غَدْرُ

* * *

وَكَمْ وَقْفَةٍ فِي رُبْعِ زَحْلَةَ أَطْلَعَتْ ... عَلَيْكَ قَرِيضًا دُونَهُ الْمَاسُ وَالتِّبْرُ
فَتَنْثُرُهُ فِي الْكَرْمِ طَوْرًا وَتَارَةً ... عَلَى هَضَبِ الْوَادِي يُشَتِّتُهُ النَّثْرُ
وَفِي قُطْرِ مِصْرٍ كَمْ تَذَكَّرْتَ زَحْلَةً ... فَأَبْكَاكَ «بَرْدُونِيَّهَا» ذَلِكَ الْقُطْرُ
لَدُنْ كُنْتَ مَعْ صِنْوٍ صَغِيرٍ مُغَنَّجٍ ... لَهُ طَلْعَةٌ حَسْنَاءُ يَغْبِطُهَا الْبَدْرُ
لَدُنْ كُنْتَ طِفْلًا وَالْحَبِيبَةُ طِفْلَةً ... حَوَالَيْكُمَا حُبٌّ وَبَيْنَكُمَا إِصْرُ
وَنَكْهَةُ عُودِ الْمَنْدَلِيِّ شَذِيَّةٌ ... عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ الْجَمِيلِ لَهَا نَشْرُ
فَزَحْلَةُ مَا زَالَتْ وَمَا زَالَ نَهْرُهَا ... فَذَاكَ هُوَ الْوَادِي وَذَاكَ هُوَ النَّهْرُ
فَأَنْشِدْ كَمَا أَنْشَدْتَ فِي سُحْرَةِ الْهَوَى ... فَمِنْ ذِكْرَيَاتِ الْأَمْسِ فِي زَحْلَةٍ شَطْرُ

في ٥ حزيران سنة ١٩٢٤

لي عاشق

لِي عَاشِقٌ جَلَّ قَدْرًا فِي الْعَاشِقِينْ
يَبِينُ فِي اللَّيْلِ بَدْرًا لِلسَّاهِرِينْ
وَفِي النَّهَارِ شَمْسُ الْوَقَارِ تَحْتَ إِزَارِ
مِنْ يَاسَمِينْ

يُدْمِي لَهُ الْحُبُّ خَدَّهْ مِنْ نَظْرَتَيْنْ
وَمَا الْهُيَامُ فِيهِ حَرَامُ لَهُ قَوَامُ
كَالْحَرْبَتَيْنْ

فَكَمْ سَقَانِي رُضَابَا مِنْ مِرْشَفَيْهْ
وَمَا دَفَعْتُ حِسَابَا وَلَا جُنَيْهْ
وَمَا لَبِثْتُ حَتَّى سَكِرْتُ ثُمَّ أَفَقْتُ
بَيْنَ يَدَيْهْ

في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٥

ضَيَّع القالب

وَمَلِيحٍ أَخَذْتُهُ صَاحِبْ رَغْمَ سَعْيِ الْعَذُولِ وَالْعَاتِبْ
هُوَ لِصٌّ أَسْكَنْتُهُ قَلْبِي مَعَ أَنِّي عَرَفْتُهُ سَالِبْ
وَجْهُهُ مَعْبَدٌ لِلْعَذَارَى وَمُصَلَّى وَشِعْرُهُ رَاهِبْ
كَتَبَ الْحُسْنُ آيَةً عَنْهُ بَارَكَ اللهُ ذَلِكَ الْكَاتِبْ
أَتْقَنَ اللهُ فَنَّهُ فِيهِ وَأَجَادَ التَّنْسِيقَ فِي الْحَاجِبْ
فَكَأَنِّي لَمَّا انْتَهَى مِنْهُ مُبْدِعُ الْخَلْقِ ضَيَّعَ الْقَالِبْ

في ٥ آب سنة ١٩٢٢

دعيني أموت

دَعِـيـنِـيَ أَنْـدُبُ كَـالـثَّـاكِـلِ فَـلَـسْـتُ سِـوَى عَـاشِـقٍ رَاحِـلِ
حَمَلْتُ الْهَوَى فِي فُؤَادِي الضَّعِيفِ فَـأَثْـقَـلَ حَـمْـلُ الْـهَـوَى كَـاهِـلِـي
دَعِـيـنِـي أَمُـوتُ فَـإِنَّ الـزَّمَـانَ تَـرَدَّدَ فِـي قَـلْـبِـيَ الـنَّـاحِـلِ
وَإِنَّ الـدَّقَـائِـقَ قَـدْ أَسْـرَعَـتْ بِصَدْرِيَ فِي سَيْرِهَا الْعَاجِلِ
دَعِـيـنِـي أَمُـوتُ فَـإِنِّـي فَـتًـى تَـحَـمَّـلْـتُ فَـوْقَ قُـوَى الْـحَـامِـلِ
قَطَعْتُ هِضَابَ الْحَيَاةِ صَغِيرًا وَصِـرْتُ قَـرِيـبًـا مِـنَ الـسَّـاحِـلِ
دَعِـيـنِـي أَمُـوتُ وَلَا تَـنْـثُـرِي دُمُـوعًـا عَـلَـى هَـيْـكَـلٍ خَـامِـلِ
فَدَمْعُ الْهَوَى مِنْ بَنَاتِ الْخُلُودِ فَـلَا تُـهْـرِقِـيـهِ عَـلَـى زَائِـلِ
دَعِينِي أَمُوتُ فَحَظِّي التَّعِيسُ هَـوَى مَـعَ كَـوْكَـبِـهِ الْآفِـلِ
دَعِينِي أَمُوتُ فَصَخْرُ رَجَائِي تُـحَـطِّـمُـهُ مَـوْجَـةُ الْـبَـاطِـلِ!
وَمَـا كُـنْـتُ أُومِـلُـهُ سَـابِـقًـا خُـدِعْـتُ بِـهِ خِـدْعَـةَ الْـجَـاهِـلِ

في ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٠

ذكرى الآلام

يَا مَنْ تَرَى الدُّنْيَا بِثَغْرِ فَتَاةِ إِيَّاكَ أَنْ تَمْشِي عَلَى خُطُوَاتِي

* * *

فِي الثَّغْرِ شَهْدٌ حُلْوُهُ مُرُّ وَلَكَمْ سَقَانِي ذَلِكَ الثَّغْرُ
فِي مِرْشَفَيْهِ يَنْطَوِي سِرٌّ يُخْفِي الدُّمُوعَ وَيُظْهِرُ الْبَسَمَاتِ

* * *

لَا تَجْتَهِدْ فِي الْأَرْضِ كَيْ تَرْتَاحَا الْأَرْضُ لَيْلٌ لَا يُرِيكَ صَبَاحَا
خُذْ فِي يَمِينِكَ دَائِمًا مِصْبَاحَا كَيْمَا يَقِيكَ غَوَائِلَ الْعَثَرَاتِ

* * *

كَمْ قَدْ رَقَبْتُ مَطَالِعَ الْأَقْمَارِ مَا مِنْ سَمِيرٍ لِي سِوَى أَشْعَارِي
حَتَّى إِذَا حَطَمَ الْهَوَى قِيثَارِي أَوْتَارُهُ انْقَطَعَتْ عَنِ النَّغَمَاتِ

* * *

لَمَّا شَعَرْتُ بِأَنَّ لِلْحُبِّ قَبْرًا جَوَانِبُهُ مِنَ التُّرْبِ
وَارَيْتُ فِي أَعْمَاقِهِ قَلْبِي وَخَلَوْتُ بَعْدَئِذٍ لِتَذْكَارَاتِي

* * *

جَسَدِي انْضَنَى لَمْ يَبْقَ إِلَّا نِصْفُهُ وَالنِّصْفُ مُقْتَرِبٌ إِلَيْهِ حَتْفُهُ
وَمِنَ الْهَوَى لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَرْفُهُ يَسْرِي إِلَيَّ ضُحًى مَعَ النَّسَمَاتِ

* * *

بِالْأَمْسِ كُنْتُ وَفِي يَدِي كَاسِي أَرْعَى الْهَوَى فِي قَلْبِهَا الْقَاسِي
وَالْيَوْمَ صِرْتُ وَفِي يَدِي رَاسِي أَذْرِي الدُّمُوعَ وَأُطْلِقُ الزَّفَرَاتِ

* * *

بِـالْأَمْـسِ كُـنْـتُ وَكُـلُّ آمَـالِـي مَطْرُوحَةٌ فِي صَدْرِهَا الْغَالِي
وَالْيَوْمَ وَا أَسَفِي عَلَى حَالِي أَمْسَتْ وَقَدْ بَلِيَتْ مَعَ الْأَمْوَاتِ

* * *

يَا مَنْ تَرَى الدُّنْيَا بِثَغْرِ فَتَاةِ إِيَّاكَ أَنْ تَمْشِي عَلَى خُطُوَاتِي

* * *

إِيَّاكَ أَسْيَافَ الرَّدَى مَسْلُولَةْ وَقُلُوبُ أَصْحَابِ الْهَوَى مَقْتُولَةْ
انْظُرْ إِلَى حَالِي وَخُذْ أُمْثُولَةْ أَوَمَا ضَلَلْتُ عَلَى طَرِيقِ حَيَاتِي؟

في ١ تشرين[٢] سنة ١٩٢٢

أجد الشباب يلوح منتعشًا

ضَيَّعْتُ فِي هِضَبِ الْهَوَى رُشْدِي ... وَفَقَدْتُ مَا أَبْقَى الْحِجَى عِنْدِي
وَسَعَيْتُ نَحْوَ الْمَجْدِ مُجْتَهِدًا ... فَهَوَيْتُ دُونَ مَدَارِكِ الْمَجْدِ
أَجِدُ الشَّبَابَ يَلُوحُ مُنْتَعِشًا ... وَأَنَا نَحِيلٌ أَصْفَرُ الْخَدِّ
فِي كُلِّ لَيْلٍ جَارَ أَسْوَدُهُ ... يَبْنِي الرَّدَى حَجَرَيْنِ مِنْ لَحْدِي
بَعُدَ الْكَرَى عَنْ مُقْلَتَيَّ كَمَا ... بَعُدَ الْفَتَى الصَّادِي عَنِ الْوِرْدِ
فَكَأَنَّ أَهْدَابِي ظُبًى بَرَزَتْ ... لِتَحُولَ دُونَ النَّوْمِ بِالسُّهْدِ
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا أَبِي وَأَنَا ... طِفْلٌ مَصِيرِي الْعَادِمَ السَّعْدِ
لَبَكَيْتَ عِنْدَ وِلَادَتِي نَدَمًا ... وَخَنَقْتَنِي وَأَنَا عَلَى مَهْدِي
يَتَهَامَسُونَ عَلَيَّ مِنْ أَسَفٍ ... هُوَ سَيْفُ عَقْلٍ مُرْهَفُ الْحَدِّ
إِنْ كُنْتَ سَيْفًا لِلْحِجَى فَأَنَا ... لَمْ يَمْتَشِقْنِي الدَّهْرُ مِنْ غِمْدِي
أَرْدَتْنِيَ الْأَيَّامُ طَاعِنَةً ... صَدْرِي بِأَسْيَافٍ لَهَا تُرْدِي
وَأَنَا فَتًى مَا زِلْتُ أَجْمَعُ مِنْ ... رَوْضِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى عِقْدِي
عَاثَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ فِي جَسَدِي ... بِمَخَالِبٍ كَمَخَالِبِ الْأُسْدِ
وَيْلَاهُ! أَشْبَاحُ الرَّدَى قَرُبَتْ ... مَاذَا سُعَادُ تَصِيرُ مِنْ بَعْدِي؟
أُمَّاهُ! أَيْنَ أَبِي فَإِنَّ لَهُ ... عِنْدِي شُئُونًا ضَيَّعَتْ رُشْدِي؟
أَأَبِي رَعَاكَ اللهُ كَيْفَ تَرَى ... خَلَّفْتَنِي وَتَرَكْتَنِي وَحْدِي
هَلْ كُنْتَ مِثْلِي يَائِسًا تَعِبًا ... فَعَثَيْتَ فِي الدُّنْيَا عَلَى جَدِّي؟
لَا بَأْسَ نَمْ وَالرُّوحُ طَاهِرَةٌ ... فَإِلَيْكَ وَجْدِي لَمْ يَزَلْ وَجْدِي

في ١٥ تشرين[1] سنة ١٩٢٢

خاطرة

هَـذِهِ الْـكَـائِـنَـاتُ بَـادَتْ سِـرَاعًـا قَصَفَتْهَا الْمَنُونُ قَصْفَ الْغُصُونِ
سَـائِلِ الْـكُتْبَ وَالتَّوَارِيخَ عَنْهَا وَاقْرَأِ الْخَبْرَ فِي سِجِلِّ الْقُرُونِ
لَيْسَ عُمْرُ الْإِنْسَانِ غَيْرَ مَنَامٍ تَتَمَشَّى أَشْبَاحُهُ فِي الْعُيُونِ

رثاء سليمان البستاني

لَا تَنُوحِي عَلَى ذَهَابِ الْعَمِيدِ فَسُلَيْمَانُ فِي ضَمِيرِ الْخُلُودِ
إِنْ قَضَى قَائِدُ الْيَرَاعِ شَهِيدًا فَلَقَدْ دَبَّ رُوحُهُ فِي الْجُنُودِ
يَا ابْنَةَ الضَّادِ لَا تَنُوحِي عَلَيْهِ فَهُوَ أَبْقَى مِنْ رُكْنِكِ الْمَهْدُودِ
لَا تَخَافِي أَلَا تُوفِّيهِ حَقًّا سَتُوَفِّي الدُّهُورَ حَقَّ الْفَقِيدِ
نَحْنُ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَبِيدَ وَلَكِنْ نَحْنُ نَخْشَى مِنْ بَعْدِهِ أَنْ تَبِيدِي
فَسُلَيْمَانُ غَابَ عَنَّا لِيُحْيِي فِي مَوَاتِ الْأَجْدَاثِ رُوحَ الْجُدُودِ
يَا أَمِيرَ الْكَلَامِ أَيَّ ضَرِيحٍ أَنْتَ تَخْتَارُ فِي التُّرَابِ الْبَعِيدِ
عُدْ لِلُبْنَانَ فَهْوَ أَرْحَبُ صَدْرًا فِي ذِرَاعَيْهِ حُرْمَةٌ لِلشَّهِيدِ
عُدْ إِلَيْهِ مَيْتًا فَيُمْسِي ثَرَاهُ بِبَقَايَاكَ ذَا فُؤَادٍ وَدُودِ
رُبَّ خَلْقٍ فِي جَانِبَيْكَ كَرِيمٍ يَتَمَشَّى جَلَالُهُ فِي الدُّودِ
لَمْ تُضَاهِ الْأَعْمَى الْإِلَهِيَّ[1] إِلَّا وَرَمَاكَ الْأَعْمَى بِعَيْنِ الْحَسُودِ
فَفَقَدْتَ الْعَيْنَ الْبَصِيرَةَ حِفْظًا لِمُرَاعَاةِ حُرْمَةٍ فِي اللُّحُودِ

* * *

يَا رَسُولَ الْفِكْرِ الْجَدِيدِ سَلَامٌ كَمْ هَدَيْتَ الْعُلَى بِفِكْرٍ جَدِيدِ
إِنَّمَا الْفِكْرُ عَالَمٌ مَا لَهُ حَدٌّ عَلَا فَوْقَ عَالَمٍ مَحْدُودِ

* * *

[1] هوميروس.

وَعِمَادٌ هِيَ الْعُقُولُ مُقِيمٌ فَوْقَ أَطْوَادِهَا جَلَالُ الْوُجُودِ
إِنْ تَنُؤْ بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ فَتَهْوِي يَسْقُطِ الْكَوْنُ بِالضَّجِيجِ الشَّدِيدِ
وَالنُّفُوسُ الْكِبَارُ تَشْقَى طَوِيلًا بَيْنَ جُدْرَانِ صَدْرِهَا الْمَفْئُودِ
هِيَ مِثْلُ الطُّيُورِ تَخْفِقُ حِينًا ثُمَّ تَقْضِي فِي سِجْنِهَا الْمَوْصُودِ

* * *

يَا سُلَيْمَانُ أَيُّ نَعْشٍ مَجِيدٍ حَلَّ فِيهِ جَلَالُ صَدْرٍ مَجِيدِ
ذَلِكَ النَّعْشُ يَا أُولِي الْعِلْمِ قُدْسٌ فَخُذُوهُ ذَخَائِرًا لِلْجِيدِ

* * *

لَامَسَ الْمَوْتُ قَلْبَهُ فَهَنِيئًا لِأَصَابِيعِ قَبْضَتَيْهِ السُّودِ
وَهَنِيئًا لِلتُّرْبِ يَلْثُمُ جَفْنَيْـ ـهِ وَيَهْوِي عَلَى جَمَالِ الْخُدُودِ
كَتَبَ اللهُ فِي مَصَاحِفِ خَدَّيْـ ـهِ سُطُورًا شَرِيفَةً مِنْ نَشِيدِ
فَاقْرَءُوهَا وَاجْثُوا لَدَيْهَا خُشُوعًا كَجُثُوِّ الْعَبِيدِ لِلْمَعْبُودِ
حُجَّةُ الْعِلْمِ وَالسِّيَاسَةِ فِي الْمَا ضِي وَرُكْنٌ مِنَ الْكِرَامِ الصِّيدِ
شَبَّ طِفْلًا عَلَى مَحَبَّةِ لُبْنَا نَ فَكَانَ الْإِخْلَاصُ فَرْضَ الْعَمِيدِ
أَوْفَدَتْهُ الْبِلَادُ لِلذَّوْدِ عَنْهَا فِي فُرُوقٍ فَكَانَ فَخْرَ الْوُفُودِ
وَاصْطَفَاهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رِجَالِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
يَا أَمِيرَ الْحِجَى أَفَاقَ الْعَذَارَى مِنْ سُبَاتٍ بِجَفْنِهَا مَعْقُودِ
وَأَعَدَّتْ وَلَائِمَ الْعُرْسِ فِي الْخُلْـ ـدِ وَزَفَّتْ إِلَيْكَ بِنْتَ الْخُلُودِ

في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٥

خاطرة

سُعَادُ كِلَانَا فِي الْمَحَبَّةِ شَاعِرٌ إِذَا مَا هَوَيْنَا فَالشَّوَاعِرُ ثَابِتَةْ
وَلَكِنَّ فَرْقًا بَيْنَنَا وَهْوَ أَنَّنِي أُعَبِّرُ عَنْهَا بَيْنَمَا أَنْتِ سَاكِتَةْ
فَدَمْعِيَ شِعْرٌ يَقْرَءُونَ سُطُورَهُ وَدَمْعُكِ أَبْيَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ صَامِتَةْ

في ٦ حزيران سنة ١٩٢٣

دمعة على عذراء

حَلُم صاحب الديوان أنه دخل قصرًا فخمًا في وسط غابة، فشاهد فتاةً مائتة ممددة على مرتبة في وسط قاعةٍ كبيرة، والنور ينبعث من خدِّها الأيمن، فقال يرثيها وهو في الحلم:

قَضَتْ وَهْيَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَرْقُدُ وَحْدَهَا فَمَنْ تَرَكَتْ فِي الْأَرْضِ لِلنَّوْحِ بَعْدَهَا؟
أَوَالِدَةً تُفْنِي عَلَيْهَا الدُّمُوعَ أَمْ حَبِيبًا سَقَتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ وُدَّهَا
كَأَنِّي بِرَبِّي حِينَ أَكْمَلَ صُنْعَهَا تَمَلَّكَهُ حُبٌّ فَقَبَّلَ خَدَّهَا
وَأَدْهَشَهُ مِنْهَا جَمَالٌ مُتَيَّمٌ أَثَارَ بِهِ نَارَ الْهَوَى فَاسْتَرَدَّهَا

في ١٧ آذار سنة ١٩٢٣

ليس في كِسرَوانَ سلاح[1]

نَحْنُ بِتْنَا مُسْتَعْبَدِينَ وَلَكِنْ مُسْتَقِلِّينَ فِي بِلَادِ الْمَرْضَى
مُسْتَقِلِّينَ بِالْخُمُولِ وَبِالذُّلِّ سُكَا رَى يَعُضُّنَا الْجَهْلُ عَضَّا
أَيُّهَا الْفَارِضُ السِّلَاحَ عَلَيْنَا كَيْفَ بِاللهِ تَسْتَحِلُّ الْفَرَضَا
لَيْسَ فِي كِسْرَوَانَ قَطُّ سِلَاحٌ لَيْسَ فِي كِسْرَوَانَ سَيْفٌ يُنَضَّى
لَيْسَ فِي كِسْرَوَانَ إِلَّا لِحَاظٌ هِيَ أَقْوَى مِنَ السِّلَاحِ وَأَمْضَى

في ١٤ ت[1] سنة ١٩٢٣

[1] نُظِمَت بمناسبة جمع السلاح من كسروان.

مات حسُّونها

أَلْفَيْتُهَا وَمِنَ التَّحَسُّرِ لَا تَعِي ... تَذْرِي الدُّمُوعَ وَحِيدَةً فِي الْمَخْدَعِ
فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَخْطِفُ صَوْتَهَا ... رَمْزُ التَّعَاسَةِ فِي الزَّمَانِ الْمُوجِعِ
فَسَأَلْتُهَا عَمَّا يُثِيرُ شُجُونَهَا ... وَعَلَامَ تُطْلِقُ زَفْرَةَ الْمُتَفَجِّعِ
فَإِذَا بِهَا رَفَعَتْ لَطَافَةَ رَأْسِهَا ... بِتَخَشُّعٍ أَوْحَى إِلَيَّ تَخَشُّعِي
وَرَنَتْ إِلَى قَفَصٍ هُنَاكَ مُعَلَّقٍ ... بِمَحَاجِرٍ غَرِقَتْ بِمَاءِ الْأَدْمُعِ
فَحَزَرْتُ أَنَّ الدَّهْرَ سَلَّمَ طَيْرَهَا ... لِيَدِ الْحِمَامِ فَطَيْرُهَا لَمْ يَرْجِعِ

* * *

قَالَتْ فَقَدْتُ مِنَ الْحَيَاةِ مُؤَاسِيًا ... يَا طَالَمَا أَوْحَى الْهُيَامَ لِأَضْلُعِي
فَإِذَا تَغَنَّى بِالزُّهُورِ وَبِالنَّدَى ... كَيْفَ الْهَوَى لِغِنَاهُ لَمْ يَتَسَمَّعِ؟
وَا لَهْفَ قَلْبِي! أَيْنَ مِنْهُ قَصَائِدٌ ... لَمْ يَرْوِهَا حَتَّى بَيَانَ الْأَصْمَعِي؟
بَلْ أَيْنَ مِنْهُ الْمَوْصِلِيُّ وَصَوْتُهُ ... وَلِسَانُ مَعْبَدِ بِالْغِنَاءِ الْمُبْدِعِ؟
وَا لَهْفَ قَلْبِي! كَيْفَ وَارَاهُ الثَّرَى ... وَأَنَا هُنَا أَحْيَا بِعَيْشٍ أَمْرَعِ؟
أَوَلَمْ يَكُنْ لِي فِي حَيَاتِي مُؤْنِسًا ... يَلْهُو بِهِ قَلْبِي وَيُطْرِبُ مَسْمَعِي؟
مَاذَا جَنَى الْحَسُّونُ فِي جُنْحِ الدُّجَى ... حَتَّى أُصِيبَ بِسَهْمِ ذَاكَ الْأَسْفَعِ؟
أَلِأَنَّهُ هَجَرَ الْحُقُولَ وَبَرْدَهَا ... وَأَتَى يُغَرِّدُ فِي زَوَايَا مِخْدَعِي؟
فَأَجَبْتُهَا كُفِّي الْبُكَا وَتَصَبَّرِي ... فَالطَّيْرُ مَاتَ وَلَمْ يَعُدْ مِنْ مَطْمَعِ
لَكِنَّمَا أَصْغِي لِمَا سَأَقُولُهُ ... فَبِمَوْتِهِ عِظَةٌ لِكُلِّ مُلَوَّعِ
كَمْ رَدَّدَتْ فِي مَسْمَعَيْكِ مَرَاشِفِي ... حُرِّيَتِي يَا مَيُّ أَثْمَنُ مَا مَعِي

فَنَبَذْتِهَا وَجَحَدْتِ مَا رَدَّدْتُهُ وَصَنَعْتِ بِالْحَسُّونِ أَفْظَعَ مَصْنَعِ
مَا جَاءَ حَتَّى تَسْجُنِيهِ وَإِنَّمَا حَتَّى تَقِيهِ شَرَّ فَقْرٍ مُدْقِعِ
فَجَعَلْتِهِ بَيْنَ الْحَدِيدِ مُقَيَّدًا يَا حُرَّةً قَيَّدْتِ حُرًّا فَانْزِعِي

* * *

لَوْ يَفْقَهُ الْإِنْسَانُ مَعْنَى شَرِّهِ لَبَكَى طَوِيلًا بِالدُّمُوعِ الْهُمَّعِ

في ٤ كانون٢ سنة ١٩٢٣

نرجيلتي

قَضَيْتُ هَزِيعَيْنِ مِنْ لَيْلَتِي ... وَحِيدًا أُسَامِرُ نَرْجِيلَتِي
وَكَانُونُ فِي خَارِجِ الدَّارَ يَبْكِي ... فَيَشْتَدُّ فِيهِ دُجَى الظُّلْمَةِ
وَضَعْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّ «حِرَامًا» ... وَصِرْتُ أُنَغِّمُ فِي فَرْشَتِي
إِذَا بِرِيَاحٍ مِنَ الْبَابِ هَبَّتْ ... وَأَطْفَأَتِ النُّورَ مِنْ شَمْعَتِي
فَلَمَّا أَحَاطَتْ بِي الدَّامِسَاتُ ... وَبَطَّنَ أَسْوَدُهَا حُجْرَتِي
تَبَسَّمَ ثَغْرٌ لِنَرْجِيلَتِي ... كَعَبْدٍ تَبَسَّمَ فِي الْعَتْمَةِ
فَمَا كَانَ أَجْمَلَ مِنْ ثَغْرِهَا ... وَمَا كَانَ أَعْجَبُ مِنْ حَيْرَتِي
تَحُفُّ بِتَنْبَكِهَا زُرْقَةٌ ... تُحَاكِي مَرَاشِفَ نُورِيَّةِ
وَلَكِنْ رَأَيْتُ بِهَا جَاذِبًا ... يُحَرِّكُ فِي دَاخِلِي صَبْوَتِي
فَقَرَّبْتُ مِنْ نَارِهَا مِرْشَفِي ... وَأَسْمَعْتُهَا «تَقْسَةَ» الْقُبْلَةِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ثَغْرُهَا مُحْرِقًا ... لَكُنْتُ امْتَصَصْتُ مِنَ الْجَمْرَةِ
لِأَنِّيَ لَمْ أَدْرِ مَاذَا بِهَا ... مِنَ الْعَذْبِ يُشْبِهُ مَحْبُوبَتِي
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ بِي لَوْعَةً ... وَأَطْلَقْتُ فِي جَوْفِهَا زَفْرَتِي
فَأَسْمَعَنِي صَدْرُهَا زَفَرَاتٍ ... أَثَارَتْ شُجُونِيَ فِي مُهْجَتِي
أَإِبْنَةَ طَهْمَازَ لِمْ تَزْفِرِينَ ... وَأَنْتِ أَنِيسِيَ فِي وَحْشَتِي
رَأَيْتُكِ رَمْزًا لِكُلِّ شَقِيٍّ ... رَمَاهُ الْهَوَى فِي لَظَى الشِّقْوَةِ
أَجَابَتْ أَنَا الْآنَ فِي نِعْمَةٍ ... لِأَنَّ حَبِيبِيَ فِي نِعْمَةِ
وَلَكِنَّنِي بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ ... أُغَادِرُ وَحْدِيَ فِي خُلْوَتِي

فَيَبْعُدُ عَنِّيَ ثَغْرُ مُحِبِّي وَيَسْلُو الَّذِي كَانَ مِنْ لَوْعَتِي
لِذَاكَ تَرَانِيَ أَبْكِي زَمَانًا سَأُصْبِحُ فِيهِ بِلَا زَهْوَةِ
فَإِنَّ الْهَوَى صِدْقُهُ كَاذِبٌ يُشَبِّهُهُ الْعَقْلُ بِالنَّجْمَةِ
فَلَا يُقْبِلُ الْفَجْرُ حَتَّى تَرَاهَا أَمَامَ عَسَاكِرِهِ وَلَّتِ

* * *

وَإِذْ ذَاكَ رَاوَدَ جَفْنِي النُّعَاسُ فَأَطْبَقَ أُنْمُلُهُ مُقْلَتِي
وَلَمَّا اسْتَتَبَّ الْكَرَى فِي جُفُونِي شَاهَدْتُ فِي الْحُلْمِ نَرْجِيلَتِي

في ٥ شباط سنة ١٩٢٣

انْزِعُوا قلبي فأستريح

انْـزِعُـوا مِـنِّـيَ قَـلْـبِـي رَحْـمَـةً كَـيْ أَسْـتَـرِيـحْ
فَـأَنَـا مَـا زَالَ حُـبِّـي نَـامِـيًـا أَبْـقَـى جَـرِيـحْ

* * *

أَيُّهَا الْهَائِمُ فِي هَذِي الْفَلَاةْ أَيْـنَ تَـنْـوِي أَيْـنْ
دَائِمًا أَلْفَاكَ تَذْرِي الْعَبَرَاتْ كَـاسِـرَ الـطَّـرْفَـيْـنْ
امْسَحِ الدَّمْعَ فَلَا تُرْوِي الْحَيَاةْ دَمْـعَـةَ الْـعَـيْـنَـيْـنْ!
اهْجُرِ الْكَوْنَ فَمِصْبَاحُ الْوُجُودْ لَـيْـسَ فِـيـهِ زَيْـتْ
وَاطْلُبِ الْأَنْوَارَ فِي مَأْوَى الْخُلُودْ فِـي قُـصُـورِ الْـمَـوتْ

* * *

انْـزِعُـوا مِـنِّـيَ قَـلْـبِـي رَحْـمَـةً كَـيْ أَسْـتَـرِيـحْ
فَـأَنَـا مَـا زَالَ حُـبِّـي نَـامِـيًـا أَبْـقَـى جَـرِيـحْ

* * *

أَيُّهَا الْحَامِلُ قِيثَارَ الشَّبَابْ قَـطِّـعِ الْأَوْتَـارْ
لَمْ تَعُدْ تَرْشُفُ ذَيَّاكَ الرِّضَابْ بِـسِـوَى الـتَّـذْكَـارْ
أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْأُوَيْقَاتُ الْعِذَابْ مِـثْـلَ حُـلْـمٍ سَـارْ
سَئِمَتْ نَفْسِيَ أَنْوَارَ الصَّبَاحْ فِـي حِـمَـى الْـحَـدَثَـانْ
كُلَّ مَا فِـيـهِ بُـكَـاءٌ وَنُـوَاحْ تَـشْـهَـدُ الْأَجْـفَـانْ

* * *

انْـزِعُـوا مِـنِّـيَ قَـلْـبِـي رَحْـمَـةً كَـيْ أَسْـتَـرِيـحْ
فَـأَنَـا مَـا زَالَ حُـبِّـي نَـامِـيًـا أَبْـقَـى جَـرِيـحْ

* * *

أَنْتِ يَا رُوحَ الْمَمَاتِ الْهَائِمَةْ يَـا عَـرُوسَ الـنُّـورْ
لَامِسِي عَيْنَ غَرَامِي النَّائِمَةْ فِـي مَـغَـانِـي الْـحُـورْ
وَاجْثُمِي فَوْقَ فُؤَادِي لاثِمَةْ ظُـلْـمَـةَ الـدَّيْـجُـورْ
عَلَّهُ إِنْ يَسْتَفِقْ مِنْ سَكْرَتِهْ يَـهْـجُـرِ الْأَيَّـامْ
وَيَرَى الْحُبَّ الَّذِي فِي خَمْرَتِهْ كُـلَّـهُ أَوْهَـامْ

* * *

انْـزِعُـوا مِـنِّـيَ قَـلْـبِـي رَحْـمَـةً كَـيْ أَسْـتَـرِيـحْ
فَـأَنَـا مَـا زَالَ حُـبِّـي نَـامِـيًـا أَبْـقَـى جَـرِيـحْ

في ١٦ شباط سنة ١٩٢٣

ما أنتِ من تراب

١

أَلْجَفْنُ أَمِ الْخَدُّ الْقَانِي؟ لَا أَعْلَمُ أَيَّهُمَا الْجَانِي
فَعَلَى الْحَالَيْنِ الْإِثْنَانِ هَدَمَا فِي صَدْرِي بُنْيَانِي
وَشَرَعْتِ عَلَيْهِ تَبْنِينَا

٢

بُنْيَانُكِ رَاسِخُ آسَاسِ يَا سَلْمَى فِي صَدْرِ الْيَاسِ
شَدَّتْهُ الْجِنُّ بِأَمْرَاسِ فَغَدَا بُنْيَانُ الْأَتْعَاسِ
جَبَلًا قَدْ ضَارَعَ صِنِّينَا

٣

لَكِ خَدٌّ مِثْلُ الْوَرْدِ نَدِي مَا مَرَّ عَلَيْهِ غَيْرُ يَدِي
لَكِنْ لَا أَعْلَمُ بَعْدَ غَدِ إِنْ كَانَ سَيَأْتِي مِنْ جُدَدِ
لِيَقُولُوا لِي: «شَرَّفْتُونَا.»

٤

فَهَوَاكِ لَقَدْ نَالَ السَّبْقَا بِسِوَاهُ لِسَانِيَ مَا انْطَلَقَا
وَفُؤَادِيَ قَبْلًا مَا عَشِقَا لَكِنْ مُذْ مَرَّ بِهِ عَلِقَا
فَكَأَنَّ هَوَاكِ «كَرَنْتِينَا»

٥

لَا أَبْرَحُ أَذْكُرُ مَا قُلْتِ مِنْ حَفْنَةِ تُرْبٍ مَا أَنْتِ
أَنْصَفْتِ بِقَوْلِكِ أَنْصَفْتِ فَمِنَ الْأَزْهَارِ لَقَدْ جِئْتِ
وَإِلَى الْأَزْهَارِ تَعُودِينَا

في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٣

وإني فتًى حُر[1]

أَبَى الْحَظُّ إِلَّا أَنْ يُصَارِعَنِي دَهْرِي ... وَمَا زِلْتُ حَتَّى الْيَوْمَ فِي مَيْعَةِ الْعُمْرِ
حَمَلْتُ عَلَى ظَهْرِي صَلِيبَ تَعَاسَتِي ... وَلَمْ أَحْسُ مِنْ كَأْسِي سِوَى الْخَلِّ وَالْمُرِّ

* * *

يَقُولُونَ عَنِّيَ إِنَّنِي مُتَطَرِّفٌ ... وَلِي مَبْدَأٌ أَعْمَى جَعَلْتُ بِهِ فَخْرِي
وَلَا أَنْظِمُ الْأَشْعَارَ إِلَّا لِأَنَّنِي ... أُؤَمِّلُ بِالْأَشْعَارِ أَنْ يَرْتَقِي قَدْرِي
أَلَا أَيْنَ مَا يَدْعُونَ مِنِّي تَطَرُّفًا ... وَرَائِدُ فِكْرِي الصِّدْقُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَمَاذَا تُرِيدُ النَّاسُ مِنِّي فَإِنَّنِي ... أَرَى الْبَعْضَ مِنْهُمْ قَدْ رَمَانِيَ بِالسُّخْرِ
أَأُلْجِمُ عَنْ حَقِّي لِسَانِيَ أَمْ تُرَى ... أُقَيِّدُ نَفْسِي أَمْ أَبِيعُهُمُ فِكْرِي
وَإِنِّي فَتًى حُرٌّ أَسِيرُ عَلَى هُدَى ... ضَمِيرِي وَلَا أَهْوَى سِوَى الرَّجُلِ الْحُرِّ
بَنَيْتُ مَعَ الْأَحْرَارِ جِسْرًا مُمَنَّعًا ... دَعُونِي بِحَقِّ اللهِ أَمْشِي عَلَى جِسْرِي
فَمَا حَاقِرٌ قَوْلَ الْحَكِيمِ وَرَأْيَهُ ... وَمَا تَارِكٌ نُصْحَ النَّصُوحِ وَرَا ظَهْرِي
وَلَا أَنْظِمُ الْأَشْعَارَ لِلْمَجْدِ وَالْعُلَى ... وَلَكِنْ شُجُونُ النَّفْسِ تَمْرَحُ فِي صَدْرِي
تَمُرُّ عَلَى قِيثَارَتِي نَفْحَةُ الْأَسَى ... فَتَصْعَدُ مِنْ أَوْتَارِهَا نَغْمَةُ الشِّعْرِ
رَأَتْ عَيْنِيَ الدُّنْيَا فَأَذْرَتْ دُمُوعُهَا ... وَكَيْفَ تَرَى الْأَهْوَالَ عَيْنِي وَلَا تُذْرِي
إِذَا مَا حَكَيْتُ الصِّدْقَ وَهْوَ فَضِيلَةٌ ... فَتَنْعَتُنِي بِنْتُ الْجَهَالَةِ بِالْكُفْرِ

---

[1] أنشَدَها صاحب الديوان في الحفلة التكريمية التي أَحْيتها نقابة العمال في زحلةَ للريحاني والرصافي.

وَلَمْ أَرَ فِي الدُّنْيَا عَذِيرًا مُدَافِعًا ... عَنِ الْحَقِّ إِلَّا رَاكِبَ الْمَرْكَبِ الْوَعْرِ
تَجَنَّبُهُ كُلُّ الشُّعُوبِ لِأَنَّهُ ... فَضِيلٌ وَمَا لِلْفَضْلِ فِي الْكَوْنِ مِنْ ذِكْرُ

* * *

تَعَالَي فَتَاةَ الْحُبِّ نَجْتَنِبُ الرِّيَا ... فَقَدْ سَادَ فِي الدُّنْيَا رِيَا الظُّلْمِ وَالْمَكْرِ
تَعَالَي فَفِي عَيْنَيْكِ طَيْفُ سَعَادَتِي ... يُرَافِقُ سَيْرِي فِي حَيَاتِي إِلَى الْقَبْرِ
وَهَاتِ لِيَ الْقِيثَارَ مُؤْنِسَ وَحْشَتِي ... لِتَسْبَحَ رُوحِي فَوْقَ أَوْتَارِهِ الْحُمْرِ
فَنَقْطَعَ لَيْلَ الْعُمْرِ بِالْأُنْسِ وَالْغِنَا ... وَنَصْعَدُ أَبْرَاجَ الْكَوَاكِبِ فِي الْفَجْرِ
دَعِي الْغَيْرَ نَشْوَانًا بِخَمْرَةِ جَهْلِهِ ... يُفَتِّشُ فِي الْأَقْذَارِ عَنْ مَوْضِعِ التِّبْرِ
دَعِيهِ دَعِيهِ وَاتْبَعِينِي بِعِزَّةٍ ... نُحَلِّقُ فِي جَوِّ الْخَيَالِ مَعَ النِّسْرِ
هُنَالِكَ حَيْثُ الصَّفْوُ يُؤْنِسُ حُبَّنَا ... وَنَصْبُو لِرَنَّاتِ الْعَنَاصِرِ وَالزُّهْرِ
وَلَا نَطَأُ الْحَقَّ الصَّرِيحَ بِرِجْلِنَا ... وَلَا نَكْسِبُ الْأَمْوَالَ بِالْجُورِ وَالْغَدْرِ
هُنَاكَ تَرَيْنَ الصِّدْقَ يُزْهِرُ رَوْضُهُ ... فَتَجْنِينَ مِنْهُ لِلْهَوَى أَجْمَلَ الزَّهْرِ
وَإِذْ ذَاكَ أُلْقِي فِي ذِرَاعَيْكِ هَامَتِي ... وَأَرْمِي فُؤَادِي فِي أَنَامِلِكِ الْعَشْرِ
تَعَالَيْ تَعَالَيْ فَالْمَلَائِكُ كُلُّهَا ... تُقَطِّرُ فِي جَفْنَيْكِ قَارُورَةَ السِّحْرِ
وَإِنْ دَاهَمَتْنَا فِي الْمَحَبَّةِ ظُلْمَةٌ ... فَنَأْخُذُ نِبْرَاسًا لَنَا مُهْجَةَ الْبَدْرِ

* * *

فَتَى الشَّرْقِ وَالرَّيْحَانِ فِي الشَّرْقِ نَابِتٌ ... يُفَرِّقُ مِنْ أَوْرَاقِهِ أَرَجَ الْعِطْرِ
لَقَدْ طَالَمَا كُنْتَ الْأَمِينَ وَطَالَمَا ... نَذَرْتَ لَهُ حُبًّا وَقَدْ قُمْتَ بِالنَّذْرِ
رَأَيْتُكَ فِي بَغْدَادَ رُوحًا حَزِينَةً ... تُطِلُّ عَلَى لُبْنَانَ مِنْ كُوَّةِ الدَّهْرِ
وَتَذْرِفُ دَمْعَ الْحُزْنِ فِي قُطْرِ يَعْرُبٍ ... فَتَأْتِي بِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ ذَلِكَ الْقُطْرِ
أَمَعْرُوفُ شَطْرٌ مِنْ فُؤَادِي أَذَبْتَهُ ... وَكَمْ مَرَّةً ذَوَّبْتَ قَلْبِيَ فِي شَطْرِ
أَلَمْ تَرَ لُبْنَانًا يَئِنُّ وَيَشْتَكِي ... وَيَحْيَا بِلَا صَبْرٍ عَلَى لَهَبِ الْجَمْرِ
لَقَدْ كَانَ لَيْثًا فِي الْمُهِمَّاتِ أَظْفَرًا ... وَهَا إِنَّهُ لَيْثٌ وَلَكِنْ بِلَا ظُفْرِ
لِذَلِكَ أَبْكِيهِ بِدُونِ تَصَبُّرٍ ... أَمَا كُنْتَ تَبْكِي فِي الْعِرَاقِ بِلَا صَبْرِ؟

في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٣

فوق المقبرة

الْعُمْرُ قَصْرٌ نَحْنُ بَيْنَ رِحَابِهِ ... وَالْمَوْتُ مُنْتَصِبٌ عَلَى أَبْوَابِهِ
وَالْمَرْءُ إِنْ يَفْخَرْ بِأَنْسَابٍ لَهُ ... فَالتُّرْبُ وَالدِّيدَانُ مِنْ أَنْسَابِهِ
مَا الْجِسْمُ فِي هَذَا الْوُجُودِ سِوَى بِلًى ... تَمْشِي الْعُصُورُ عَلَى أَدِيمِ تُرَابِهِ
مِنْ عَهْدِ آدَمَ وَالضَّرِيحُ مُهَيَّأٌ ... وَجَمِيعُ هَذَا الْخَلْقِ رَهْنُ طِلَابِهِ
كُلٌّ يُغَيِّبُهُ الزَّمَانُ إِلَى الْهَبَا ... وَكَذَا الزَّمَانُ يَحِينُ يَوْمَ غِيَابِهِ
وَالْكَائِنَاتُ لَدَى الرَّدَى أُلْعُوبَةٌ ... حَتَّى الْخُلُودَ يَصِيرُ مِنْ أَلْعَابِهِ
مَا مَذْهَبُ الدَّهْرِيِّ ذَا لَكِنَّمَا ... هُوَ مَذْهَبُ الْعَقْلِ الْحَكِيمِ النَّابِهِ
كَمْ مِنْ عُصُورٍ قَبْلَ آدَمَ أَدْبَرَتْ ... وَمَضَى بِهَا النِّسْيَانُ عِنْدَ إِيَابِهِ
وَعَقِيدَةُ الْإِنْسَانِ رَاسِخَةٌ بِهِ ... حَتَّى يُحَجِّبَهُ الرَّدَى بِحِجَابِهِ
لَوْ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأَثِيرِ كِتَابَهُ ... لَرَأَى الْحَقِيقَةَ فِي سُطُورِ كِتَابِهِ
كَمْ مِنْ دِيَانَاتٍ تَمَشَّتْ فِي الْوَرَى ... ذَهَبَ الزَّمَانُ بِهَا قُبَيْلَ ذَهَابِهِ!
وَلَسَوْفَ أَدْيَانٌ تُخَرِّبُ دِينَنَا ... وَتَقُومُ لِلْأَيَّامِ فَوْقَ خَرَابِهِ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى بَحْرٍ طَمَى ... صَدَفُ الْحَيَاةِ تَعُومُ فَوْقَ عُبَابِهِ
هَذَا يَحُفُّ بِهِ الْغِنَى فِي رَاحَةٍ ... وَيَعُمُّ ذَا فَقْرٌ جَزَا أَتْعَابِهِ
إِنْ كَانَ جَبَّارُ الطَّبِيعَةِ عَادِلًا ... أَيْنَ الْمُسَاوَاةُ الَّتِي بِحِسَابِهِ؟
أَتُرَاهُ قَدْ خَلَقَ الْعَوَالِمَ وَاكْتَفَى ... بِصَنِيعِهِ فَارْتَاحَ فَوْقَ وِثَابِهِ؟

في ٢٠ أيار سنة ١٩٢٣

خاطرة

لَا أَرَى فِي الْهَوَى عَلَيْكِ رَقِيبَا فَاخْدَعِي الْحُبَّ وَاسْتَرِقِّي الْقُلُوبَا
سَيَبِينُ الْخِدَاعُ فِي الْحُبِّ يَوْمًا إِنَّ فِي مُقْلَتَيْكِ سِرًّا رَهِيبَا
مُنْذُ عَهْدٍ مَضَى بِقُرْبِكِ عَذْبًا كُنْتُ فِي شَرْعِكِ الْغَزَالَ الرَّبِيبَا
صِرْتُ أَخْشَى مِنْكِ انْقِلَابًا وَأَخْشَى أَنْ يَصِيرَ الْغَزَالُ يَا مَيُّ ذِيبَا

في ١٥ تشرين[١] سنة ١٩٢٣

إلى لورانس

عن لامَرْتِين بتصَرُّف.

يَا مَلَاكَ الْمَاضِي وَرَمْزَ فُؤَادِي ... كَيْفَ أَمْسَيْتَ مَسْكَنًا لِلْفَسَادِ؟
طَالَمَا قَدْ بَحَثْتُ عَنْ شَطْرِ نَفْسِي ... بَاكِيًا فِيكَ مُهْجَتِي وَوِدَادِي
أَنْتَ تَحْيَا أَوَّاهُ أَيَّ حَيَاةٍ ... لَمْ يَكُنْ مَا نَظَرْتُهُ بِاعْتِقَادِي
سَكَبَ الطُّهْرُ فِي فُؤَادِكِ نَفْسًا ... لَيْسَ حَتَّى تَبِيعُهَا بِالْمَزَادِ
أَتُرَى أَنْتَ ذَاكِرٌ يَوْمَ كُنَّا ... نَتَلَهَّى بِنَغْمَةِ الْأَعْوَادِ؟
وَنَشِيدُ الْغَدِيرِ فِي اللَّيْلِ شِعْرٌ ... مَزَجَ الْحُبُّ وَحْيَهُ بِمِدَادِي
عُدْ إِلَى اللهِ يَا مُسَبِّبَ تَعْسِي ... لَا تُخَضِّبْ مُسْتَقْبَلِي بِالسَّوَادِ
رَبِّ! مَا كُنْتُ حَافِظًا غَيْرَ رَسْمٍ ... لَا تُكَدِّرْ أَلْوَانَهُ فِي فُؤَادِي
عُدْ إِلَى الْحُبِّ لَا تَظَلَّ بَعِيدًا ... كَيْفَ يُهْنِي لَكَ الْحَيَاةَ بُعَادِي؟
وَإِنِ اخْتَرْتَ أَنْ تُعَمِّدَ أَيْضًا ... فَدُمُوعِي وَقْفٌ لِهَذَا الْعِمَادِ
آهِ لُورَانْسُ كَمْ رَأَيْتُكَ فِي حُلْـ ... ـمِ لَيَالِيَّ مِثْلَ زَهْرِ الْوَادِي
قُرْبَكَ الزَّوْجُ بَاسِمًا بِهَنَاءٍ ... وَحَوَالَيْكَ أَجْمَلُ الْأَوْلَادِ

إلى الشبَح الباكي

صاحب الكوخ الأحمر.

شَبَحَ الدُّمُوعِ تُمِضُّكَ الْأَتْرَاحُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّنَا أَشْبَاحُ
مَاذَا تُؤَمِّلُ مِنْ رَحِيقٍ فَاسِدٍ قَدْ زَخْرَفَتْ أَلْوَانُهُ الْأَقْدَاحُ؟
هَذَا الْوُجُودُ جُنَيْنَةٌ مَرْغُوبَةٌ قَدْ غَرَّ فِيهَا آدَمَ التُّفَّاحُ
هَذَا الْوُجُودُ مَشَانِقٌ نُصِبَتْ لَنَا وَالظُّلْمُ فِي سَاحَاتِهَا السَّفَّاحُ
أَوَمَا تَرَى الْفَلَّاحَ بَعْدَ جِهَادِهِ يَلْقَى الشَّقَاءَ لِأَنَّهُ فَلَّاحُ؟
فَكَأَنَّ إِكْرَامَ الْفَقِيرِ مُحَرَّمٌ وَكَأَنَّ إِكْرَامَ الْغَنِيِّ مُبَاحُ
تِلْكَ الْجُفُونُ وَقَدْ ذَرَفْتَ دُمُوعَهَا أَيَرُودُ خَلْفَ سُجُوفِهَا الْإِصْلَاحُ؟
إِنْ كَانَ ذَرْفُ الدَّمْعِ يُصْلِحُ أُمَّةً فَمَدَامِعٌ فِي أُمَّتِي وَنُوَاحُ

* * *

فِي دَمْعَةِ التُّعَسَاءِ سِرٌّ كَامِنٌ هُوَ خَلْفَ لَيْلِ الظَّالِمِينَ صَبَاحُ
تِلْكَ الْمَبَانِي سَوْفَ تَهْدِمُ رُكْنَهَا مِنْ عَاصِفَاتِ حَيَاتِنَا الْأَرْوَاحُ
أَذْرِ الدُّمُوعَ فَمَا الدُّمُوعُ سِوَى نَدَى هَذِي الْحَيَاةِ وَعَرْفُهُ فَيَّاحُ
مَا الدَّمْعُ إِلَّا الرَّاحُ فِي كَأْسِ الْوَرَى وَسَتُسْكِرُ الْأَكْوَانَ هَذِي الرَّاحُ
يَا مَنْ طَلَى بِدَمِ الْفَقِيرِ عُرُوشَهُ وَنَرَاهُ يَجْلِسُ فَوْقَهَا يَرْتَاحُ
هَذِي الْعُرُوضُ جَمَاجِمٌ مَرْصُوفَةٌ فِي جَوْفِهَا تَتَمَرَّدُ الْأَرْوَاحُ

* * *

رَأَيْتُكَ يَا شَبَحَ الْحُزْنِ تَبْكِي وَمَا فِي الْوُجُودِ سِوَى الْمُفْتَرِي
إِذَا كُنْتَ تَنْشُدُ تِلْكَ الْعَدَا لَةَ فَاذْهَبْ إِلَى كُوخِكَ الْأَحْمَرِ

* * *

كَمْ قَدْ رَأَيْتُكَ وَالظَّلَامُ مُخَيِّمٌ تَنْسَلُّ تَحْتَ سُدُولِهِ الْآثَامُ
تَشْدُو عَلَى الْقِيثَارِ أَنْغَامَ الْأَسَى فَتُجِيبُكَ الْأَوْجَاعُ وَالْآلامُ
اذْهَبْ لِكُوخِكَ فَالسَّلَامُ مُجَسَّمٌ فِيهِ وَمَا فِي ذَا الْوُجُودِ سَلَامُ
اذْهَبْ إِلَيْهِ فَسَوْفَ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا تَعَضُّ بَنَانَهَا الظُّلَّامُ
اسْهَرْ عَلَى تَقْوِيضِ أَرْكَانِ الرِّيَا وَاتْرُكْ عُيُونَ الْأَغْنِيَاءِ تَنَامُ
أَرْوَاحُهُمْ بِالْمَالِ تَحْلُمُ طَالَمَا قَدْ أَزْعَجَتْهُمْ هَذِهِ الْأَحْلَامُ

* * *

رَأَيْتُكَ يَا شَبَحَ الْحُزْنِ تَبْكِي وَمَا فِي الْوُجُودِ سِوَى الْمُفْتَرِي
إِذَا كُنْتَ تَنْشُدُ تِلْكَ الْعَدَا لَةَ فَاذْهَبْ إِلَى كُوْخِكَ الْأَحْمَرِ

في ٤ آب سنة ١٩٢٣

إلى مصر

خَفَفْتُ إِلَى أَوْجِ الْعُلَى بِمَقَاصِدِي ... فَأَرْجَعَنِي صِفْرَ الْيَدَيْنِ حَوَاسِدِي
وَكَمْ فِي رُبَى لُبْنَانَ مِنْ ذِي مَكِيدَةٍ! ... وَمَا رَائِدُ الْحُسَّادِ غَيْرُ الْمَكَائِدِ
يَقُولُونَ عَنِّي عِنْدَ أَوَّلِ نَظْرَةٍ ... هُوَ الْحُزْنُ فِي جِسْمٍ مِنَ السُّقْمِ وَارِدِ
أُصِيبَ بِمَسٍّ مِنْ جُنُونٍ مُزَاوِلٍ ... يُرَأْرِئُ بِالْعَيْنَيْنِ نَحْوَ الْفَرَاقِدِ
كَأَنَّ الْعُلَى فِي مَضْرِبِ النَّجْمِ رَابِضٌ ... يُخَالُ إِلَيْهِ هَابِطًا بِقَلَائِدِ
فَيَنْظِمُ فِيهِ لِلْوُجُودِ قَصَائِدًا ... أَلَسْنَا نَرَاهُ ذَائِبًا فِي الْقَصَائِدِ؟

* * *

أَجَلْ إِنَّنِي لِلْمَجْدِ أَسْعَى وَمَوْطِنِي ... يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِ مَجْدِيَ سَاعِدِي
وَفِيهِ رِجَالٌ كَالْأَسَاوِدِ شِيمَةً ... وَمَاذَا أُرَجِّي مِنْ سُمُومِ الْأَسَاوِدِ؟

* * *

رَأَتْنِي خَرِيدٌ عِنْدَهَا مِنْ جَمَالِهَا ... طَلَائِعُ لَيْسَتْ فِي الْحِسَانِ الْخَرَائِدِ
مُنَهَّدَةُ الثَّدْيَيْنِ بَاسِمَةُ اللُّمَى ... وَلَيْسَتْ عَلَى ضَعْفِ الثَّدِيِّ النَّوَاهِدِ
فَقَالَتْ لِمَاذَا لَا نَرَى لَكَ بَسْمَةً ... تُعَوِّدُكَ الدُّنْيَا عَلَى ذِي الْعَوَائِدِ؟
كَأَنَّكَ مَوْلُودٌ لِتَلْبَثَ شَارِدًا ... وَمَا رَاقَتِ الْأَكْوَانُ يَوْمًا لِشَارِدِ
فَقُلْتُ لَهَا لَا أَعْرِفُ الْخُبْثَ وَالرِّيَا ... لِأَسْلُكَ مَعَ رَهْطٍ بِلُبْنَانَ فَاسِدِ
وُلِدْتُ وَفِي صَدْرِي مَزِيجٌ مِنَ الْعُلَى ... وَمَا رَائِدِي إِلَّا كَرَائِدِ وَالِدِي
إِلَى مِصْرَ رَحْلِي يَا ابْنَةَ الْجَارِ إِنَّنِي ... سَأَتْرُكُ أَهْلِي فِي الْحِمَى غَيْرَ وَاجِدِ

فَفِي أَبْطُحِ الْأَهْرَامِ يَبْسُمُ لِي غَدٌ ... وَإِنَّ هُنَا يَوْمِي يَجُورُ عَلَى غَدِي
لَقَدْ حَانَ بُعْدِي عَنْ بِلَادٍ خَبُرْتُهَا ... وَكَمْ رَاقَ عَيْشٌ لِلْفَتَى الْمُتَبَاعِدِ
فَيَا حَبَّذَا تِلْكَ الْكِنَانَةُ مَوْرِدًا ... تَحَدَّرَ فِيهَا النِّيلُ عَذْبَ الْمَوَارِدِ
هُنَاكَ أَبُو الْخَيْرَاتِ فِيهِ فَوَائِدٌ ... تَفِيضُ عَلَى مَنْ جَاءَهُ لِلْفَوَائِدِ
وَلَيْسَ يَضِيعُ السَّعْيُ فِيهِ لِجَاهِدٍ ... وَكَمْ ضَاعَ فِي لُبْنَانَ سَعْيٌ لِجَاهِدِ
غَدَا وَطَنُ الْأَحْرَارِ سِلْعَةَ تَاجِرٍ ... تُبَاعُ وَتُشْرَى خِلْسَةً فِي الْمَعَابِدِ
وَلِلْحُرِّ آمَالٌ يَرَاهَا مُشَاهِدًا ... تُرِيهِ بِأُمِّ الْعَيْنِ أَنْكَى الْمَشَاهِدِ
هُوَ الْحُرُّ فِي لُبْنَانَ أَصْبَحَ جَانِيًا ... يَجُورُ عَلَيْهِ ظُلْمُ تِلْكَ الْعَقَائِدِ
تَبِيدُ مَبَادِي الْكُلِّ مَعَ كُلِّ بَائِدٍ ... وَلَكِنَّ مَبْدَا الْحُرِّ لَيْسَ بِبَائِدِ
زَهِدْتُ بِلَادِي فَاتْرُكِي لِي لُبَانَةً ... أَمُدُّ إِلَيْهَا فِي شُسُوعِ الْمَدَى يَدِي
لَعَلَّ بِلَادِي إِنْ رَأَتْنِيَ نَائِيًا ... تَحِنُّ إِلَى مَرْأَى الْهَوَى فِي نَشَائِدِي

في ٢٧ آب سنة ١٩٢٣

الفقير

كَمْ سَهِرْتُ السَّاعَاتِ فِي الظُّلُمَاتِ أَرْصُدُ النُّجْمَ فِي فَسِيحِ الْفَضَاءِ!
وَزَفِيرُ الْفُؤَادِ يَعْلُو تِبَاعًا فَتُوَافِيهِ مُقْلَتِي بِالْبُكَاءِ
شَاعِرُ الْحُبِّ قِيلَ عَنِّيَ قَبْلًا لَكِنِ الْيَوْمَ شَاعِرُ الْبُؤَسَاءِ

* * *

بَسِمَ الْمَرْجُ لِلرَّبِيعِ وَجَفَّتْ أَدْمُعُ الْغَيْثِ فِي عُيُونِ الشِّتَاءِ
وَتَعَالَى عَرْفُ الْأَزَاهِرِ لَمَّا انْـ ـفَرَجَتْ عَنْ مَبَاسِمِ الْعَذْرَاءِ
قُرْبَ ذَاكَ الْغَدِيرِ فِي الْمَرْجِ طَيْفٌ شَاحِبُ الْوَجْهِ بَارِزُ الْأَعْضَاءِ
نَسَجَ الْجُوعُ فَوْقَ عَيْنَيْهِ سِتْرًا لَا نَرَاهُ فِي أَعْيُنِ الْأَحْيَاءِ
يَتَخَطَّى إِلَى الْأَمَامِ قَلِيلًا ثُمَّ يَعْدُو بِسُرْعَةٍ لِلْوَرَاءِ
فَكَأَنَّ الْحَمَامَ يَبْحَثُ عَنْهُ وَهْوَ يَرْجُو النَّجَاةَ بِالِالْتِجَاءِ
بَائِسٌ وَالْحَيَاةُ تَأْنَفُ مِنْهُ كَبَقَايَا الْحُطَامِ فِي الدَّأْمَاءِ
إِنَّهُ بِدْعَةٌ مِنَ اللهِ لَكِنْ أَنْكَرَتْهُ جَمَاعَةُ الْأَغْنِيَاءِ
لَا عَزَاءَ يُنْسِيهِ بَعْضَ عَذَابٍ فِي لَيَالِي شَقَائِهِ السَّوْدَاءِ
غَيْرُ نُجْمِ الْفَضَا تُطِلُّ عَلَيْهِ كَعُيُونِ السَّمَا مِنَ الْعَلْيَاءِ
حَامِلَاتٍ سِرَّ الْحَيَاةِ غَرِيبًا فَيَرَى فِيهِ رُوحَ سِرِّ الضِّيَاءِ
يَتَعَزَّى إِذْ ذَاكَ بَعْضَ عَزَاءٍ مَا تَرَاهُ يُفِيدُ بَعْضَ الْعَزَاءِ
تَارَةً يَسْمَعُ الْغَدِيرَ يُغَنِّي فَيُوَافِيهِ صَوْتُهُ بِالْغِنَاءِ
وَغِنَاءُ الْغَدِيرِ مَاءٌ قُرَاحٌ وَغِنَاءُ الْفَقِيرِ رَجْوُ غِذَاءِ

تَـتَـرَاءَى لَـهُ الْـكَـوَاكِـبُ طَـوْرًا كَـدَنَـانِـيـرَ أُلْـقِـيَـتْ فِـي الْـهَـوَاءِ
فَـيَـمُـدُّ الْـيَـدَيْـنِ لَـهْـفًـا إِلَـيْـهَـا غَـيْـرَ أَنَّ الْـفَـضَـا مِـنَ الْـبُـخَـلَاءِ
طَـرَدَتْـهُ مَـدِيـنَـةُ الْـفُـحْـشِ وَالظُّـلْـ ـــمِ فَـآوَاهُ مَـهْـبِـطُ الْـفُـقَـرَاءِ
ذَلِكَ الْمَهْبَطُ الَّذِي عَاشَ فِيهِ هُومِيرُوسُ الْكَبِيرُ فِي الشُّعَرَاءِ

* * *

حَـشْـرَجَـتْ رُوحُـهُ صَـبَـاحَ نَـهَـارٍ بِـعَـذَابٍ فَـقَـاءَهَـا فِـي الْـمَـسَـاءِ
وَعَلَى الزَّهْرِ أَدْمُعٌ مِنْ عُيُونِ الْـ ـفَـجْـرِ مَـا جُـفِّـفَـتْ بِـنُـورِ ذُكَـاءِ
فَـكَـأَنَّ الـدُّمُـوعَ مُـضْـطَـرِبَـاتٌ فِي اللَّيَالِي مَرَاشِفُ الضُّعَفَاءِ
تَصْرُخُ اللهَ فِي الْأَعَالِي انْتِقَامًا مِنْ أُولِي الْجُورِ مِنْ أُولِي الْإِثْرَاءِ

* * *

أَغْرِبِي يَا مَدِينَةَ الْعَارِ إِنَّ الْـ ـمَـرْجَ مَـهْـدٌ لِـدَوْلَـةِ الْأَنْـبِـيَـاءِ
هُوَ مَأْوَى الزُّهُورِ وَالزَّهْرُ طُهْرٌ نَثَرَتْهُ فِي الْمَرْجِ رُوحُ السَّمَاءِ
أَغْرِبِي يَا جَهَنَّمًا فَوْقَ أَرْضٍ مَا رَأَيْنَا فِيهَا سِوَى الْفَحْشَاءِ
فَالشَّيَاطِينُ مِنْ بَنِي الْأَرْضِ أَقْوَا مٌ هُـمُ سَـادَةٌ مِـنَ الـزُّعَـمَـاءِ
كَثُرَ الْإِثْمُ فِي الْوُجُودِ فَيَا رَبِّ تَرَحَّمْ وَاعْطِفْ عَلَى التُّعَسَاءِ
هَلْ خَلَقْتَ الْغَنِيَّ لِلْمَجْدِ وَالْبَا ئِسَ أَوْجَدْتَهُ تُرَى لِلشَّقَاءِ؟

في ٢٧ أيلول سنة ١٩٢٣

المَجْدِلِيَّة والمسيح

غَسَلَ الْبَدْرُ بِالضِّيَاءِ الظَّلَامَا ... وَبَكَى وَالدُّمُوعُ كَانَتْ هَيَامَا
وَمَشَى النُّجْمُ خَلْفَهُ بِخُشُوعٍ ... فَكَأَنَّ النُّجُومَ صَارَتْ يَتَامَى
وَحْشَةُ اللَّيْلِ وَالسَّكِينَةُ وَالصَّمْـ ... ـتُ وَمَرُّ النَّسِيمِ كَانَ كَلَامَا
فَكَأَنَّ الْوُجُودَ أَنْطَقَهُ الْحُزْ ... نُ فَجَاءَتْ أَلْفَاظُهُ آلَامَا
وَالْفَضَا شَاخِصٌ إِلَى الْجَبَلِ الْعَا ... لِي يُنَاجِي الرُّبُوعَ وَالْآكَامَا
فَتُجِيبُ الرُّبُوعُ بِالصَّمْتِ وَالدَّمْـ ... ـعِ وَلَا تَنْبِسُ الشَّفَاهُ احْتِرَامَا
مَاتَ فَوْقَ الصَّلِيبِ مَنْ كَانَ يَهْوَى ... وَيَرَى الْحُبَّ لِلنُّفُوسِ سَلَامَا
فَصَلِيبُ الْآثَامِ مَا زَالَ حَيًّا ... وَصَلِيبُ السَّلَامِ صَارَ رُغَامَا

* * *

مَا وَرَاءَ الْأَدْغَالِ مَرَّ خَيَالٌ ... حَمَّلَ الْقَلْبَ أَدْمُعًا وَكَلَامَا
كَانَ يَمْشِي الطَّرِيقَ مَهْلًا وَلَكِنْ ... عِنْدَمَا قَارَبَ الصَّلِيبَ تَرَامَى
هَذِهِ مَجْدِلِيَّةُ الْحُزْنِ جَاءَتْ ... تَطْرَحُ الْحُبَّ لِلْمَسِيحِ طَعَامَا
طَالَمَا فِي الْحَيَاةِ غَذَّتْهُ بِالْحُبِّ ... وَرَوَّتْهُ مِنْ هُوَاهَا مُدَامَا
إِنَّ لِلْمَوْتِ مُهْجَةً وَفُؤَادًا ... يَنْشُدَانِ الْحَيَاةَ عَامًا فَعَامَا
لَا تَمُوتُ الْقُلُوبُ إِنْ سَكَبَتْ فِي ... جَوْفِهَا أَنْمُلُ السَّمَاءِ غَرَامَا
نَظَرَتْ نَظْرَةَ الْوَدَاعِ إِلَيْهِ ... فَبَكَتْ أَدْمُعُ الْهُيَامِ سَجَامَا
وَرَأَتْ مِنْ جَبِينِهِ الْجُرْحَ يُدْمِي ... وَرَأَتْ فَوْقَ وَجْنَتَيْهِ الْحِمَامَا
وَرَأَتْ يَا لَهَوْل مَا قَدْ رَأَتْهُ! ... شَبَحَ الرُّوحِ دَامِعًا بَسَّامَا

شَبَحَ الْحُبِّ حَامِلًا فِي يَدَيْهِ قَلْبَ حَسْنَاءَ خَافِقًا مُسْتَهَامَا
هُوَ رَمْزٌ لِقَلْبِ مَرْيَمَ رَمْزٌ لِغَرَامٍ رَأَى الْحَيَاةَ سَآمَا
فَتَوَارَى يَنَامُ فِي الْمَوْتِ لَكِنْ قَدْ أَعَدَّ الْخُلُودَ فِيهِ مَنَامَا
صَرَخَتْ مَرْيَمٌ بِقَلْبٍ جَرِيحٍ أَبِظُلْمٍ قَدْ نَفَّذُوا الْإِعْدَامَا
جِئْتَ تُوحِي رُوحَ السَّلَامِ إِلَيْهِمْ مَا لَهُمْ عَزَّزُوا بِكَ الْآثَامَا
يَا حَبِيبِي اجْعَلْ جُرُوحَ فُؤَادِي أَنْ تَبُلَّ الدِّمَاءُ مِنْهَا أَوَامَا
فَأُرَوِّيكَ مِنْ دِمَائِي بِكَأْسٍ حَمَلَتْ فِي شُعَاعِهَا الْأَيَّامَا
يَا حَبِيبِي مَا لِلزُّهُورِ حَزَانَى مُطْبِقَاتٍ عَلَى الْجَمَالِ الْكِمَامَا
وَالْغَدِيرُ الْمُنْسَابُ يَجْرِي رَهِيبًا مُنْشِدًا فِي نَحِيبِهِ الْأَنْغَامَا
مَا لِعَيْنَيَّ تَغْشَيَانِ رُوَيْدًا وَرُوَيْدًا تُطَارِدَانِ الْأَنَامَا
آهِ إِنَّ الْعُيُونَ بِالْحُبِّ تَحْيَا فَإِذَا فُورِقَتْ تَصِيرُ أَيَامَى
سَأُوَافِيكَ عَنْ قَرِيبٍ فَهَيِّئْ خَيْمَةَ الْحُبِّ بَيْنَ زَهْرِ الْخُزَامَى
فَتُعِيدُ الزُّهُورُ ذِكْرَ حَيَاةٍ سَنَّ فِيهَا لَنَا الْغَرَامُ نِظَامَا

* * *

عِنْدَ هَذَا رَأْسُ الْمَسِيحِ اسْتَقَامَا فَإِذَا الشَّوْكُ قَدْ تَخَطَّى الْعِظَامَا
وَالْجَبِينُ الْمَشُوكُ يَنْسِجُ لِلْوَجْـ ـهِ مِنَ الْمَصْلِ وَالدِّمَاءِ لِثَامَا
وَبِجُنْحِ الدُّجَى أَفَاقَ مِنَ الْمَوْ تِ بَكِيًّا وَالدَّمْعُ كَانَ هُيَامَا
وَلَدُنْ أَبْصَرَ الْحَبِيبَةَ تَبْكِي أَطْبَقَ الْجَفْنُ فِي الْخُلُودِ وَنَامَا!

بعد عشرين جيلًا

فِي سَمَاءِ الْخُلُودِ خَيْمَةُ زَهْرٍ حَيْثُ عِيسَى وَمَرْيَمٌ قَدْ أَقَامَا
خَيْمَةٌ لِلْهَوَى يُبَطِّنُهَا الْحُبُّ وَيَأْبَى وُجُودُهَا الِانْصِرَامَا
نَعِمَ الْعَاشِقَانِ فِيهَا طَوِيلًا وَتَنَاسَى قَلْبَاهُمَا الْأَسْقَامَا
فَعَذَابُ السَّاعَاتِ كَانَتْ خُلُودًا أَبَدِيًّا وَلَمْ تَكُنْ أَحْلَامَا
وَاسْتَفَاقَ الْمَسِيحُ مِنْ سَكْرَةِ الْحُبِّ يَخَالُ السَّمَاءَ أَمْسَتْ ضِرَامَا
فَرَأَى الْكَوْنَ بِاضْطِرَابٍ عَظِيمٍ وَرَأَى فِي شُعُوبِهِ الْإِجْرَامَا
سُنَّةُ الظُّلْمِ سَارَ كُلٌّ عَلَيْهَا وَغَدَا الْعَدْلُ شِرَّةً وَغَرَامَا

وَاسْتَمَرَّ اللَّئِيمُ فِي حَوْبَةِ اللؤْ ... مِ فَأَمْسَتْ كُلُّ الشُّعُوبِ لِئَامَا
فَرَّقَ النَّاسُ دِينَهُمْ لَا سَلَامٌ ... يَجْعَلُ الرِّفْقَ بَيْنَهُمْ وَالْوِئَامَا
فَسَلَامُ الْوِفَاقِ صَارَ حُرُوبًا ... وَصَلِيبُ الْوِئَامِ صَارَ حُسَامَا
فَبَكَى الْيَوْمَ لِلسَّلَامِ وَلَكِنْ ... مَا بَكَاهُ بِالْأَمْسِ كَانَ خِصَامَا

في ١١ تشرين[٢] سنة ١٩٢٣

إلى فيلكس فارس

عَرَفْتُ فِيكَ النُّبْلَ يَا شَاعِرِي فَهَلْ لِإِخْوَانِكَ أَنْ يَعْرِفُوكْ
جَاهَدْتَ جُهْدَ الْبَطَلِ الصَّابِرِ فَهَلْ لِعُشَّاقِكَ أَنْ يَعْضُدُوكْ

* * *

كَتَبْتَ بِالدَّمْعِ نَشِيدَ الْإِخَاءِ وَبِالدَّمِّ الطَّاهِرِ مَا سَجَّلَا
فَإِنْ هُمُ خَانُوكَ خَانُوا الْإِبَاءَ وَإِنْ أَجَابُوكَ أَجَابُوا الْعُلَى

* * *

أَنْتَ سَلِيلُ الصِّدْقِ نَبْتَ الشَّرَفْ فِي قَلْبِكِ الْخَافِقِ قَلْبُ الْبِلَادْ
كَمْ خُلُقٍ فِي مَوْطِنِي مِنْ خَزَفْ تَحْطِمُهُ الْغَايُ وَكَمْ مِنْ فُؤَادْ!

* * *

يَا مِنْصَلًا أَغْمَدْتَ عَهْدًا طَوِيلْ عَارٌ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تُغْمِدَكْ
اخْرُجْ فَقَدْ آنَ أَوَانُ الصَّلِيلْ وَحُقَّ لِلْإِخْلَاصِ أَنْ يَعْضُدَكْ

إلى بدوية جميلة

كانت تُدخِّن النارجيلة في حديقةٍ شرقية

عن لامَرْتِين بتَصرُّف.

مَنْ أَنْتِ يَا بِنْتَ الْأُلَى وَجَدُوكِ ... فِي رَوْضَةِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ شَرِيكِ؟
أَنْتِ ابْنَةُ الشَّرْقِ الْمُكَلَّلِ رَأْسُهُ ... بِوُرُودِ أُمِّكِ أَوْ سُيُوفِ أَبِيكِ
تَدْعِينَ قِيثَارِي وَقَدْ حَطَّمْتِهِ ... لِيُحَرِّكَ الْأَوْتَارَ فِي نَادِيكِ
يَا زَهْرَةَ الشَّرْقِ الْمُضَمَّخِ عَرْفُهَا ... يَلْهُو النَّسِيمُ بِخَصْرِكِ الْمَفْكُوكِ
وَالْبُلْبُلُ الْغِرِّيدُ يَسْكُبُ لَحْنَهُ ... فِي كُمِّكِ الْمَفْتُوحِ لِلسَّاقِيكِ
الشِّعْرُ فِي أَلْحَاظِ عَيْنِكِ نَائِمٌ ... وَإِذَا وَدِدْتِ يُفِيقُ بِالتَّحْرِيكِ
لَكِنْ إِذَا مَا شَاءَ لَحْظُكِ أَنْ يَرَى ... فِي الشِّعْرِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ يَسْبِيكِ
فَتَأَمَّلِي فِي الْحَوْضِ حُسْنَكِ مُشْرِقًا ... فَبَدَائِعُ الْأَشْعَارِ لَا تَحْكِيكِ
قَدْ أَفْرَغَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ ضِيَاءَهُ ... فِي خَيْمَةِ الزَّهْرِ الَّتِي تَأْوِيكِ
وَإِلَى الْوِسَادِ مُذِ اسْتَنَدْتِ لِرَاحَةٍ ... بِالنَّارِجِيلَةِ كُلُّهُمْ جَاءُوكِ
أَدْنَتْ يَدَاكِ مِنَ اللُّمَى نَرْبِيجَهَا ... مُتَبَطِّنًا بِالزَّنْبَقِ الْمَحْبُوكِ
لَمَّا نَشَقْتِ أَرِيجَهَا بِتَدَلُّلٍ ... خَفَقَتْ عَوَاطِفُ صَدْرِهَا «الْمَنْهُوكِ»
إِنِّي اسْتَعَدْتُ لَدُنْ رَأَيْتُكِ صَبْوَتِي ... فَوَجَدْتُهَا أَشْهَى وَأَعْذَبَ فِيكِ

لَـكِنْ شَـبَـابِـي وَالْـغَـرَامُ تَـلَاشَـيَـا فَـهُـمَـا كَـنَـفْـخَـةِ دُخْـنَـةٍ مِـنْ فِـيـكِ
لَمْ أَنْسَ يَوْمَ عَلَوْتِ مَتْنَ مُطَهَّمٍ وَكَبَحْتِهِ بِشَكِيمَةِ الْمَمْلُوكِ
هُوَ فِي جِيَادِ أَبِيكِ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَيَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْكِ كَالصُّعْلُوكِ
لَمْ أَنْسَ زِنْدَكِ مِثْلَ حَلْقَةِ قِرْبَةٍ وَلُمَى شِفَاهِكِ مِثْلُ عُرْفِ الدِّيكِ
وَأَشِعَّةً مِنْ بَدْرِ لَيْلِكِ نَوَّرَتْ يَاقُوتَ خِنْجَرِ خَصْرِكِ الْمَشْكُوكِ
إِنِّي قَطَعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وُرُودَهَا وَرَمَيْتُهَا فِي الشَّاطِئِ الْمَتْرُوكِ
فَأَتَتْ غِضَابُ الْبَحْرِ تَجْرِفُهَا إِلَى اللُّجَجِ الْعَمِيقَةِ بِالرِّيَاحِ النُّوكِ
كَانَتْ وُرُودُ الصَّدْرِ تَنْفَحُ مُهْجَتِي بِأَرِيجِ حُبٍّ بِاسِمٍ وَضَحُوكِ
كَمْ كُنْتُ أَنْشَدْتُ الْقَرِيضَ مُسَلْسَلًا لَوْ كَانَ فِي الْعِشْرِينَ عُمْرُ أَخِيكِ
لَعِبَارَةٍ أَوْ نَظْرَةٍ مِنْ أَجْلِهَا عَبَدَ الرِّجَالُ الطُّهْرَ مُذْ عَبَدُوكِ

في ٣ كانون أول سنة ١٩٢٤

الحَسُّون السجين

١

مَاذَا تُسِرُّ إِلَى الْقَمَرْ يَا أَيُّهَا الطَّيْرُ السَّجِينْ
هَلْ أَنْتَ مِثْلِي فِي السَّهَرْ تَشْكُو عَذَابَكَ لِلسِّنِينْ؟
أَمْ تَشْتَكِي ظُلْمَ الْبَشَرْ؟

٢

فِي قَلْبِكَ الْعَانِي الْكَسِيرْ سِرٌّ تَوَارَى فِي الدُّجَى
وَحَوَاجِزُ الْقَفَصِ الصَّغِيرْ قَدْ أَطْفَأَتْ نُورَ الرَّجَا
لَمَّا غَدَوْتَ بِهِ أَسِيرْ

٣

قَدْ كُنْتُ حُرًّا مُطْلَقًا فِي جَوِّكِ الصَّافِي الْوَسِيعْ
تَشْدُو هُيَامَكَ شَيِّقًا لِأَرِيجِ زَهْرِكِ فِي الرَّبِيعْ
وَتَؤُمُّ غُصْنًا مُورِقًا

٤

قُلْ مَا تُسِرُّ إِلَى الظَّلَامْ وَالزَّهْرُ فِيهِ سَامِعَةْ
وَالْقَوْمُ كُلُّهُمُ نِيَامْ حَتَّى الطَّبِيعَةُ هَاجِعَةْ
حَتَّى فُؤَادِي الْمُسْتَهَامُ!

٥

أَسَأَلْتَهُ مَاذَا يَرَى فِي ذَلِكَ الْغَابِ الْكَثِيفْ؟
وَعَلَى الْهِضَابِ وَفِي الذُّرَى وَهُنَاكَ فِي الْحَقْلِ اللَّطِيفْ
حَيْثُ النَّسِيمُ تَكَوْثَرَا؟

٦

أَسَأَلْتَهُ هَلْ بَاقِيَةْ تِلْكَ النَّضَارَةُ فِي الْحُقُولْ
وَمِيَاهُ تِلْكَ السَّاقِيَةْ وَرُسُومُ هَاتِيكَ الطُّلُولْ
وَزُهُورُ تِلْكَ الرَّابِيَةْ؟

٧

وَرِفَاقُ سَاعَاتِي الْعِذَابْ سُمَّارُ قَلْبِي الشَّيِّقِ
هَلْ أَصْبَحَتْ قَيْدَ الْعَذَابْ فِي مِثْلِ سِجْنِي الضَّيِّقِ
أَمْ لَا تَزَالُ عَلَى الْهِضَابْ؟

٨

أَسَأَلْتَهُ عَنْ طَائِرٍ فِي كُلِّ لَيْلٍ أَوْ صَبَاحْ
فَوْقَ النَّسِيمِ السَّائِرِ حَمَلَ الطَّعَامَ عَلَى الْجَنَاحْ
وَأَتَى بِهِ لِأَصَاغِرِ؟

٩

تِلْكَ الصِّغَارُ شَقَائِقُ لَكَ يَا شَبِيهِي فِي الْمِحَنْ
أَنْتَ الْأَسِيرُ الْخَافِقُ كَخُفُوقِ قَلْبِي فِي الْبَدَنْ
وَالْفَرْقُ أَنِّي عَاشِقٌ!

١٠

يَا طَيْرُ إِنَّكِ فِي الْأَلَمْ رَمْزٌ لِهَذَا الْمَرْقَمِ
يَبْكِي وَيَنْحَبُ بِالنَّغَمْ وَبِمَدْمَعٍ مِنْ عَنْدَمِ
وَفُؤَادُ ظَالِمِهِ أَصَمْ!

كنتُ أكتب هذه الأبيات وأنا أمام قفص الطائر السجين، ولما انتهيتُ إلى هذا المقطع قرأتها على الحاضرين، فنهضَت سيدة المنزل في الحال، وأتت بالحسُّون ليشكرني على عاطفتي نحوه، غير أنها ما كادت تُقرِّبه مني حتى أفلَتَ من يدها، وطار تاركًا في أناملها وعلى الأرض نثارًا من ريشه المُلوَّن، فعُدتُ كتبتُ ما يلي:

١١

يَا طَيْرُ أَيْنَ الْمَقْصِدُ وَاللَّيْلُ مُنْسَدِلُ الْجَنَاحْ؟
فَطُيُورُ عُشِّكِ تَرْقُدُ حَتَّى يُفَاجِئُهَا الصَّبَاحْ
وَلَدُنْ تُفِيقُ تُغَرِّدُ ...

١٢

يَا طَيْرُ مَا تَسْتَنْظِرُ فِي الْحَقْلِ وَالْيَوْمَ الشِّتَاءْ
أَتُرَاكَ لَا تَسْتَأْسِرُ وَلَوَ انَّ عِنْدَكَ مَا تَشَاءْ
وَتُحِبُّ مَنْ يَتَحَرَّرُ؟

١٣

وَلَـمَـا تَـرَى أَبْـقَـى لَـنَـا مِنْ رِيشِ حُسْنِكِ جَانِحَاكْ
أَلِـكَـيْ يُـذَكِّرُنَـا الْـغِـنَـا ءَ لَـعَـلَّـنَـا نَـبْـكِـي غِـنَـاكْ
وَلَـعَـلَّـنَـا وَلَـعَـلَّـنَـا؟

١٤

يَـا طَـيْـرُ إِنَّـكَ صَـادِقُ وَالْـمَـرْءُ غَـدَّارٌ كَـذُوبْ
فَـإِذَا عَـشِـقْـتَ فَـعَـاشِـقُ تَضَعُ الصَّدَاقَةَ فِي الْقُلُوبْ
وَالْـمَـرْءُ بَـاغٍ فَـاسِـقُ!

في ٦ كانون[٢] سنة ١٩٢٤

جَرَس الحُزن

أَيَا جَرَسًا فِي هُوَّةِ الدَّمْعِ نَاحِبًا ... نَحِيبُكَ أَلْحَانُ الطَّبِيعَةِ وَالْعُمْرِ
سَمِعْتُكَ جَهْرًا تَسْكُبُ الدَّمْعَ فِي الْوَرَى ... وَلَكِنَّ هَذَا الْجَهْرَ رُوحٌ مِنَ السِّرِّ
أَصِخْ عِنْدَمَا الْحَفَّارُ بَعْدَ تَهَدُّمِي ... يُعِيدُ بَقَايَا الْعَفْرَ مِنِّيَ لِلْعَفْرِ
بَقَايَا هِيَ الْآلَامُ وَالدَّمْعُ وَالْأَسَى ... هِيَ ابْنَةُ لَيْلٍ تَنْتَحِي عَالَمَ الْفَجْرِ
تَرَحَّمْ وَلَا تَجْعَلْ رَنِينَكَ مُحْزِنًا ... وَدَقَّ بِأَلْحَانِ الْحُبُورِ عَلَى قَبْرِي
وَشَابِهْ دَوِيَّ الْقَيْدِ حِينَ رَمَى بِهِ ... عَلَى سُدَّةِ السِّجْنِ الطَّلِيقُ مِنَ الْأَسْرِ

في ١٥ كانون٢ سنة ١٩٢٤

حديث الزهرة الذابلة

لَقَدْ مَرَّ بِي أَمْسِ بِالصُّدْفَةِ فَتَاةٌ لَهَا الْحُسْنُ فِي الْوَجْنَةِ
فَلَمْ تَتَرَدَّدْ بِأَنْ قَطَفَتْنِي فَشَعَّتْ عَلَى شَعْرِهَا نَجْمَتِي
وَلَمْ يَمْضِ يَوْمَانِ حَتَّى ذَبُلْتُ فَأُسْقِطْتُ صَفْرَاءَ كَالْمَيْتَةِ
وَصِرْتُ أُدَاسُ بِأَقْدَامِهَا إِلَى أَنْ رَمَتْنِي مِنَ الشُّرْفَةِ

* * *

وَفِي الصُّبْحِ أَبْصَرَنِي عَابِرٌ وَقَدْ شَمَّ بِي أَرَجَ النَّكْهَةِ
فَحَنَّ عَلَيَّ وَقَرَّبَ مِنِّي عُيُونَ التَّسَاؤُلِ عَنْ حَالَتِي
وَقَدْ لَمَّنِي بِخُشُوعٍ وَقَالَ: تَعَالَيْ أُرَوِّكِ مِنْ دَمْعَتِي
تَعَالَيْ فَإِنَّكِ رَمْزٌ لِقَلْبِي وَرَمْزٌ لَعَمْرِيَ فِي شِقْوَتِي
تَعَالَيْ فَإِنَّ ذُبُولَكِ يَحْكِي ذُبُولَ الْفَضِيلَةِ وَالنِّعْمَةِ
يُعَفِّرُكِ النَّاسُ تَحْتَ النِّعَالِ وَأَنْتِ تَجُودِينَ بِالنَّفْحَةِ
فَكُلُّ الَّذِينَ أَسَاءُوا إِلَيْكِ أَجَدْتِ عَلَيْهِمِ بِالرَّحْمَةِ
تَعَالَيْ فَبُسْتَانُكِ الصَّدْرُ وَالْقَلْبُ يُرَوِّيكِ مِنْ مَنْهَلِ الْمُهْجَةِ

في ٢٦ كانون[1] سنة ١٩٢٣

إلى شاعر حزين

نظَم الشاعر الرقيق شفيق أفندي معلوف أبياتًا في فتاة بكت لقصيدة من الشعر، فأجابه صاحب الديوان بهذه الأبيات عن لسان الفتاة:

شَاعِرَ الدَّمْعِ مَا جَنَيْتُ بِشَيْءٍ فَدُمُوعِي الْخَرْسَاءُ أَطْيَبُ لَحْنِ
أَنَا قِيثَارَةٌ ضَرَبْتَ عَلَيْهَا فَبَكَى لَحْنُهَا وَأَنْتَ الْمُغَنِّي
فَكِلَانَا نَشْدُو عَلَى مَسْمَعِ الْحُبِّ وَنَتْلُو آيَاتِهِ بِتَأَنِّ
وَدُمُوعِي رَسَّامَةٌ فِي خُدُودِي نَغَمَاتِ الْهَوَى بِأَتْقَنِ فَنِّ

في ٢١ ك٢ سنة ١٩٢٣

لا تعطِ الحب

مدام مرسلين ده بورد قلمور شاعرةٌ إفرنسية، وُلِدَت في دوي سنة ١٧٨٦ من عائلةٍ شريفة وغنيَّة، غير أن الثورة الإفرنسية أخنَت على تلك العائلة، فرحلَت بها أمها، وكانت في الرابعة عشرة من عمرها، إلى الغوادلوب حيث لجأتا إلى قريبٍ أثْرى هناك، ولكن النحس ظل تابعهما؛ إذ أن القريب مات بعد أن احترق محله وانكسر اسمه، وبعد أسبوع ماتت الأم بالحُمَّى، وهكذا ظلت مرسلين شقية إلى أن قيض الله لها امرأةً غنية أعادتها معها إلى فرنسا، وكانت ذات صوتٍ شجي، فغنَّت في الأوبرا، ومثَّلت مع جوقاتٍ عديدة، إلى أن صادفَت الرجل الذي تقدم له قلبها نقيًّا طهورًا وهو الممثل قلمور، ولكن حبها وعطفها لهذا الممثل ما جُوزيا بغير الخيانة فهجَرَها، عند هذا أخذت تكتب قصائده بدموع قلبها، ومنها هذه القصيدة:

مَا أَرَى؟ إِنَّ مَا أَرَاهُ وَجِيعُ ... وَوَجِيعٌ مَا تَحْتَوِيهِ الضُّلُوعُ
أَوَمَا حُبُّهُ الَّذِي أَقْتَفِيهِ ... بِعُيُونٍ تَبْكِي وَقَلْبٍ يَجُوعُ؟
أَوَمَا صَوْتُهُ الَّذِي حَمَلَتْهُ ... نَسَمَاتٌ مَعَ الْأَثِيرِ تَضُوعُ؟
فَانْتَهَى فِي الدُّجَى إِلَيَّ لَطِيفًا ... وَلَطِيفٌ صَوتُ الْحَبِيبِ الْمُطِيعُ
أَيْنَ مَنْ كَانَ سَاكِنًا فِي عُيُونِي؟ ... أَيْنَ حُبِّي وَأَيْنَ ذَاكَ الْهُجُوعُ.
كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا النُّفُوسُ تَلَاشَى ... ذَائِبًا مِثْلَمَا تَذُوبُ الشُّمُوعُ
إِنَّ لِلنَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ خُلُودًا ... لَيْسَ لِلنَّفْسِ مَيْتَةٌ أَوْ نُزُوعُ
فَكَأَنَّ الْخُلُودَ يُثْقِلُ نَفْسِي ... وَقْعُهُ الْمُرُّ فِي فُؤَادِي فَظِيعُ
لَمْ يَعُدْ سُهْدُ أَعْيُنِي لِحَبِيبِي ... لَمْ يَعُدْ لِلْهَوَى إِلَيَّ رُجُوعُ

فَبَكَتْنِي عَرُوسَةُ الشِّعْرِ لَكِنْ لَا تُرَوِّي الْفُؤَادَ تِلْكَ الدُّمُوعُ
أَيُّهَا الْحُبُّ قَدْ وَهَبْتُكَ قَلْبِي يَوْمَ كَانَ الْهَوَى وَكَانَ الرَّبِيعُ
قِيلَ لِي قَدْ أَضَعْتَهُ يَا ظَلُومًا كُلُّ شَيْءٍ يُعْطَى إِلَيْكَ يَضِيعُ

في ٢٥ تشرين[٢] سنة ١٩٢٣

يا أرغن الوادي[1]

هَلْ إِنَّ فِكْرَكَ مِنْ يَرَاعِكَ أَسْرَعُ ... أَمْ إِنَّ نَثْرَكَ مِنْ نَظِيمِكَ أَبْدَعُ؟
للهِ مَوْهِبَةٌ يَحَارُ بِهَا الْحِجَى ... أَرَجُ الشُّعُورِ بِرَوْضِهَا يَتَضَوَّعُ
يَا ابْنَ الرَّبِيعِ وَفِي الرَّبِيعِ أَزَاهِرٌ ... مِثْلُ الْكَوَاكِبِ فِي سَمَائِكِ تَلْمَعُ
كَيْفَ انْثَنَيْتَ عَنِ النَّظِيمِ مُخَيَّرًا ... وَتَرَكْتَ شِعْرَكَ فِي دِمَاغِكَ يَهْجَعُ؟
يَا ابْنَ الْخَيَالِ وَفِي الْخَيَالِ حَقِيقَةٌ ... بَصَرُ الْوُجُودِ أَمَامَهَا يَتَخَشَّعُ
كَمْ مَرَّةٍ وَقَّعْتَ شِعْرَكَ نَغْمَةً ... وَاللَّيْلُ أَنْصَتَ مُصْغِيًا يَتَسَمَّعُ
يَا أَرْغَنَ «الْوَادِي» وَفِي الْوَادِي هَوًى ... يَصْبُو إِلَيْكَ فُؤَادُهُ وَالْأَضْلُعُ
لَقَّنْتَهُ شَدْوَ الْهُيَامِ مُوَدِّعًا ... وَرَحَلْتَ عَنْهُ وَالْعُيُونُ تُوَدِّعُ
أَشَفِيقُ لَا «بَرَدَى» وَلَا «فَيْحَاؤُهُ» ... إِنْ كَانَ «بَرْدَونِيُّ» وَحْيِكَ يَدْمَعُ
اسْمَعْ أَنِينًا صَادِرًا مِنْ غَوْرِهِ ... فَإِذَا سَمِعْتَ أَنِينَهُ تَتَوَجَّعُ
يَا شَاعِرَ الْآلَامِ لَا تَكُ يَائِسًا ... فَكَوَاكِبُ الْإِلْهَامِ فَوْقَكَ تَسْطَعُ
لَا تَقْطَعِ الْأَوْتَارَ مِنْ قِيثَارَةٍ ... نَغَمَاتُهَا فِي الشِّعْرِ لَا تَتَقَطَّعُ

في ٣ أيار سنة ١٩٢٣

[1] قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر الرقيق شفيق أفندي معلوف بدمشق.

أنشودة العمال

بَيْنَمَا كَانَ فَتَى الْمُسْتَقْبَلِ ... سَائِرًا بَيْنَ غِيَاضِ الْجَبَلِ
بَدَرَتْ مِنْ مُقْلَتَيْهِ لَفْتَةٌ ... فَرَأَى وَجْهَ غَزَالٍ مُقْبِلِ
هُوَ ظَبْيٌ يَتَثَنَّى بَاسِمًا ... بَيْنَ زَهْرٍ بَاسِمٍ لِلطَّلَلِ
ذَاكَ ظَبْيُ الْعِزِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ... يَتَرَاءَى قَادِمًا فِي عَجَلِ
سَكَبَ الْفَجْرُ عَلَيْهِ كَأْسَهُ ... وَسَقَاهُ مِنْ رَحِيقٍ سَلْسَلِ
بَيْنَ عَيْنَيْهِ تَرَاءَى هَيْكَلٌ ... سَجَدَ الْحُسْنُ بِذَاكَ الْهَيْكَلِ
أَرْسَلَ الشِّعْرُ إِلَيْهِ رَاهِبًا ... فَغَدَا مُحْتَفِلًا بِالْمُرْسَلِ
ثَغْرُهُ قَارُورَةٌ مِنْ عَسَلٍ ... مَزَجَتْ مِرْشَفَهُ بِالْعَسَلِ
وَلَهُ فِي وَجْنَتَيْهِ آيَةٌ ... هَبَطَ السِّحْرُ عَلَيْهَا مِنْ عَلِ
عِنْدَهَا هَارُوتُ أَلْقَى طَرْفَهُ ... صَاحَ مِنْ وَهْلَتِهِ وَا خَجَلِي!
وَانْثَنَى مِنْ وَجْهِهِ مُسْتَعْجِلًا ... رَاغِبًا فِي مِشْيَةِ الْمُسْتَعْجِلِ
أَقْبَلَ الظَّبْيُ عَلَى ذَاكَ الْفَتَى ... مُسْتَرِقًّا فِيهِ قَلْبَ الرَّجُلِ
وَأَرَاهُ مِنْجَلًا فِي يَدِهِ ... قَائِلًا: سِرُّ الْهَوَى فِي الْمِنْجَلِ
إِنْ تَرُمْ تَقْرِنُ بِالْمَجْدِ الْهَوَى ... فَتَجَنَّبْ عَادِيَاتِ الْكَسَلِ
هُوَ ذَا الْمِنْجَلُ فَاطْلُبْ عَمَلًا ... إِنَّمَا الْمِنْجَلُ رَمْزُ الْعَمَلِ
شَارِكِ الْعُمَّالَ فِي مِهْنَتِهِمْ ... وَاجْتَهِدْ فِي كُلِّ أَمْرٍ تَصِلِ
إِنَّمَا الْعُمَّالُ أَرْكَانٌ إِذَا ... هَبَطَتْ يَهْبِطُ مَجْدُ الدُّوَلِ
حِينَذَا هَبَّتْ نُسَيْمَاتُ الصِّبَا ... مُنْشِدَاتٍ مَعَ لَحْنِ الْبُلْبُلِ

وَتَوَارَى الظَّبيُ عَنْهُ عِنْدَمَا حَرَّكَتْ لُطْفًا مِيَاهَ الْجَدْوَلِ
شَعَرَ الصَّبُّ بِحُبٍّ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ سَهْمٍ مِنْ فُؤَادِ الْمُبْتَلِي
غَلَبَ الْحُزْنُ عَلَيْهِ إِنَّمَا لَمْ يَكُنْ يَقْطَعُ حَبْلَ الْأَمَلِ
قَالَ لَا بُدَّ لِجَفْنِي مَرَّةً أَنْ يَرَاهُ رَاتِعًا فِي مَنْزِلِي
سَأُضَحِّي كُلَّ مَا عِنْدِي فَلَا بُدَّ لِي مِنْ قَلْبِهِ لَا بُدَّ لِي
حِينَذَا أَصْغَى لِصَوْتٍ قَائِلٍ: لَنْ تَنَالَ الْغَايَ فَوْقَ الْمَخْمَلِ
إِنْ تَرُمْ تَهْوَى غَزَالًا فَاقْتَرِنْ قَبْلَ هَذَا بِعَرُوسِ الْعَمَلِ

في ٢١ نيسان سنة ١٩٢٣

ماذا أوَدُّ لك؟

أَوَدُّ لِعَيْنَيْكِ نُورَ الْهِلَالِ يُنَارُ بِهِ الْحَلَكُ الْأَدْهَمُ
وَلِلشِّعْرِ مِنْكِ سَوَادُ الظَّلَامِ يَضِلُّ بِهِ الْعَاشِقُ الْمُغْرَمُ
أَوَدُّ لِقَلْبِكِ حُبًّا شَرِيفًا فَيَرْحَمُ حُبِّي وَلَا يَظْلِمُ
وَلِلنَّفْسِ مِنْكِ إِبَاءً وَحِلْمًا إِذَا مَا رَأَتْ مُذْنِبًا تَحْمِلُ
أَوَدُّ لِرِجْلِكَ لَيْلَ الْوُجُودِ حِذَاءً مَسَامِيرُهُ الْأَنْجُمُ
لِكَيْمَا إِذَا دُسْتِ صَدْرِيَ يَوْمًا تُنَارُ بِدَاخِلِهِ الْأَعْظُمُ

في ١٣ آذار سنة ١٩٢٣

لا ترحم

اللَّيْلُ فِي صَدْرِي بَدَا يُظْلِمُ ... لَا كَوْكَبٌ فِيهِ وَلَا أَنْجُمُ
يَعْثُرُ قَلْبِي هَائِمًا فِي الدُّجَى ... بِأَعْظُمِ الصَّدْرِ فَلَا يَسْلَمُ
إِنْ يَكُ ظَمْآنًا فَمَا مِنْ دَمٍ ... جَفَّتْ عُرُوقِي لَيْسَ فِيهَا دَمُ
وَإِنْ يَكُنْ جَاعَ فَلَا مَأْكَلٌ ... يَغْذُوهُ إِلَّا ذَلِكَ الْعَلْقَمُ
يَشْقَى وَلَا يَعْلَمُ مَاذَا بِهِ ... يَذُوبُ كَالشَّمْعِ وَلَا يَعْلَمُ
وَرَغْمَ هَذَا عِنْدَ مَرْأَى الْهَوَى ... يُقْدِمُ كَالنِّمْرِ وَلَا يَحْجُمُ
طَوَائِفُ الْجِنِّ تَرَاءَتْ لَهُ ... فَخَافَ مِنْهَا الْحَلَكُ الْأَدْهَمُ
وَاتَّخَذَتْ فِي جَنْبِهِ مَسْكَنًا ... تُفْشِي إِلَيْهِ الْوَيْلَ لَا تَكْتُمُ
لَمَّا رَآهُ حُبُّهُ قَالَ لِي ... هَذَا عَظِيمٌ قُلْتُ بَلْ أَعْظَمُ
قَالَ: وَأَيْنَ اللهُ؟ قُلْتُ اقْتَضَى ... فِي الشَّرْعِ أَلَّا يُرْحَمَ الْمُغْرَمُ
قَالَ: وَأَيْنَ الْعَدْلُ؟ قُلْتُ انْثَنَى ... مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا فَلَا يَقْدُمُ
قَالَ عَجِيبٌ لَيْسَ مِنْ رَاحِمٍ ... وَأَيْنَ سَلْمَى؟ قُلْتُ لَا تَرْحَمُ!

في ١٧ آذار سنة ١٩٢٢

مناجاة بلبل

ثَمِلْتُ بِشَدْوِكَ يَا بُلْبُلُ وَكَيْفَ بِشَدْوِكَ لَا أَثْمَلُ
أَعَدْتَ إِلَى الْقَلْبِ ذِكْرَى الْجَمَالِ فَأَنْتَ بِتِذْكَارِهِ أَجْمَلُ
نَقَلْتَ إِلَى مَسْمَعِي صَوْتَ حُبِّي نَعِمْتَ وَنِعْمَ الَّذِي تَنْقُلُ
كَأَنَّكَ أُرْسِلْتَ تَلْعَبُ دَوْرًا جَمِيلًا بِقَلْبِيَ يَا مُرْسَلُ
تَنَقَّلْ تَنَقَّلْ عَلَى الْغُصْنِ وَارْفُلْ فَشَدْوُكَ فِي مُهْجَتِي يَرْفِلُ
فَعَمَّا قَرِيبٍ سِتَارُ حَيَاتِي عَلَى كُلِّ مَا مَرَّ بِي يُسْدَلُ
وَلَكِنْ غَدًا حِينَ أُمْسِي رُفَاتًا وَيَحْجُبُنِي قَبْرِيَ الْمُقْفَلُ
تَعَالَ فَتَلْفِي فُؤَادِيَ حَيًّا كَزَهْرَةِ «تَوْتَنْخَ» لَا يَذْبُلُ
تَعَالَ وَأَنْشِدْ قَلِيلًا فَإِنِّي عَلَى رَغْمِ مَا حَلَّ بِي أَجْزِلُ
فَصَوْتُكَ شِعْرٌ يَجُولُ بِفِكْرِيَ مُوحًى مِنَ اللهِ أَوْ مُنْزَلُ
تَعَالَ تَجِدْ فَوْقَ قَبْرِيَ صَخْرًا كَهَمِّي الثَّقِيلِ الَّذِي أَحْمِلُ
وَصَفْصَافَةً تَنْحَنِي تَارَةً وَطَوْرًا تُلَاعِبُهَا الشَّمْأَلُ
وَبِالْقُرْبِ مِنْ ذَلِكَ الْقَبْرِ وَادٍ رَهِيبٌ تَخَلَّلَهُ جَدْوَلُ
تَمُرُّ عَلَيْهِ السُّنُونُ عُجَالَى وَمَنْ مَرَّ كَالطَّيْرِ يَسْتَعْجِلُ
فَهَذِي الطُّيُورُ كَأَفْرَاحِ قَلْبِي تَطِيرُ سِرَاعًا وَلَا تَمْهُلُ
وَيَخْلُفُهَا الْأَلَمُ الْمُسْتَزِيدُ فَيَفْعَلُ فِي الصَّدْرِ مَا يَفْعَلُ
تَعَالَ غَدًا حِينَ أُمْسِي وَحِيدًا وَزُرْنِيَ زَوْرَةَ مَنْ يَسْأَلُ
وَأَسْمِعْ فُؤَادِيَ لَحْنًا شَجِيًّا فَيَحْيَا بِهِ حُبُّهُ الْأَوَّلُ

في ٢٣ شباط سنة ١٩٢٣

ما لي جَلَد

قَالُوا لَهَا مَاذَا فَعَلْـ ـتِ بِجَفْنِ ذَيَّاكِ الْأَسَدْ؟
فَنَرَاهُ يَنْثُرُ دَمْعَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَالْبَرَدْ
قَالَتْ وَقَدْ بَسَمَتْ لَهُمْ وَقَعَ الْمُتَيَّمُ فِي فَنَدْ
أَنْزَلْتُهُ فِي وَهْدَةٍ مِنْهَا هَوَاهُ مَا صَعَدْ
قَالُوا لَهَا أَوَمَا حَرَا مٌ أَنْ يُلَازِمَهُ النَّكَدْ؟
عَبَثَ الْغَرَامُ بِهِ وَلَمْ يُبْقِ السِّقَامُ لَهُ جَسَدْ
قَالَتْ دَعُوهُ وَشَأْنَهُ مَنْ خَالَ أَنَّ الْحُبَّ دَدْ
عَهْدِي بِهِ رَجُلًا إِذَا هُوَ فِي مَصَائِبِهِ وَلَدْ
قَالُوا لَهَا أَضْنَيْتِهِ فَهَوَاكِ مِنْ دَمِهِ اسْتَمَدْ
دَمُهُ لَدَيْكِ وَقَدْ بَدَا أَثَرٌ لَهُ فِي كُلِّ خَدْ
فَتَمَلْمَلَتْ لَيْلَى وَقَدْ فَقَدَتْ مِنَ الْغَيْظِ الرَّشَدْ
حَسَنًا أَجَابَتْ فَارْجِعُوا عَنْ مِحْنَتِي مَا لِي جَلَدْ

في ١٢ آذار سنة ١٩٢٣

انتسيه فهو مذنب

رَفِينَا[1] تَعَالَيْ كَأْسَ خَمْرٍ وَنَارَةً لِنَرْجِيلَتِي ثُمَّ اغْلِقِي الْبَابَ وَاذْهَبِي
وَلَا تَدَعَيْ أُمِي تُفِيقُ مِنَ الْكَرَى فَإِنِّي سَأَقْضِي اللَّيْلَ دَاخِلَ مَكْتَبِي

* * *

هُوَ اللَّيْلُ لَا حِسٌّ هُنَاكَ وَلَيْسَ مِنْ سَمِيرٍ يُؤَسِّي شِقْوَتِي غَيْرَ كَوْكَبِ
سَرَى فِي فَضَاءِ اللَّانِهَايَةِ هَائِمًا نَظِيرَ فُؤَادِ الْعَاشِقِ الْمُتَعَذِّبِ
سُعَادُ لَقَدْ مَرَّتْ شُهُورٌ عَدِيدَةٌ وَقَلْبِيَ يَمْشِي فِي دُجُنَّةِ غَيْهَبِ
تَحُفُّ بِهِ الْأَشْوَاكُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَأَنِّي بِهَا قَدْ خَبَّأْتُ أَلْفَ عَقْرَبِ
أَلَا ذَوِّبِي إِنْ شِئْتِ جَوْرَكِ فِي الْهَوَى وَهَذَا فُؤَادِي يَشْهَدُ اللهُ فَاسْكُبِي
إِذَا كَانَ أَبْلَانِي مِنَ الدَّهْرِ مِخْلَبٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ مِخْلَبِي

* * *

سُعَادُ أَرَى الْأَسْقَامَ تَنْخُرُ هَيْكَلِي وَفَوْقِي غُرَابُ الْمَوْتِ يَشْدُو فَطَيِّبِي
أَلَمْ تَنْظُرِي الشُّبَّانَ كَيْفَ تَوَارَدَتْ؟ وَلَكِنْ لِكُلٍّ مَأْرَبٌ غَيْرُ مَأْرَبِي
دَعِينِي دَعِينِي وَاتْبَعِي غَيْرَ عَاشِقٍ يَكُونُ كَبِيرَ الْقَلْبِ حُلْوَ التَّحَبُّبِ
أَنَا لَمْ أَزَلْ وَالْعُمْرُ فِي أَوَّلِ الصِّبَا أَتَنْتَظِرِينَ السَّعْدَ مِنْ شَاعِرٍ صَبِي؟

---

[1] خادمة صاحب القِيثارة.

* * *

سُعَادُ غَدًا تَلْقِينَ عُنْقَكِ طَاهِرًا عَلَى صَدْرِ ذَاكَ الطَّالِبِ الْمُتَصَبِّبِ
وَتَنْسِينَ مَنْ كَانَتْ تَذُوبُ دُمُوعُهُ عَلَى إِثْمِدٍ فِي مُقْلَتَيْكِ مُذَوَّبِ
نَعَمْ فَانْتَسِيهِ فَهْوَ وَلَهْانُ مُذْنِبٌ وَأَجْدَرُ بِالنِّسْيَانِ مِنْ كُلِّ مُذْنِبِ
أَلَيْسَ الْهَوَى ذَنْبًا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ إِذَنْ أَنَا جَانٍ فَالْهَوَى فَوْقَ مِنْكَبِي
وَلَكِنْ غَدًا لَا تَذْكُرِي الزَّهْرَ وَالرُّبَى وَلَا يَاسَمِينَ الْحَقْلِ مَا بَعْدَ مَغْرِبِ
فَتَذْكَارُ هَاتِيكِ الرُّسُومِ مُقَدَّسٌ فَلَا تَلْمَسِيهِ بِادِّكَارٍ مُكَذَّبِ!

في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٣

ابنِ لنفسك مقرًّا شريفًا

إِنْ تَرُمْ مَجْدًا وَفَخْرًا وَاقْتِدَارًا مُسْتَمِرًّا
وَإِذَا مَا شِئْتَ تَحْيَا مُطْلَقَ الْأَجْنُحِ حُرًّا
فَوْقَ أَطْبَاقِ الْأَثِيرِ
جَنْبَ أَبْرَاجِ الْبُرُوجِ
وَعَلَى مَرْأَى الضَّمِيرِ
ابْنِ لِلنَّفْسَ مَقَرًّا

* * *

اتْبَعِينِي يَا فَتَاتِي وَابْخَلِي بِالْعَبَرَاتِ
فَمِرَارًا قَدْ بَكَيْنَا تَحْتَ أَقْدَامِ الْحَيَاةِ
إِنْ مِنْ دَمْعِ الْعَذَارَى
مَلَكُ الطُّهْرِ اسْتَعَارَا
فَحَرَامٌ أَنْ يُوَارَى
فِي تُرَابِ الْكَائِنَاتِ

* * *

نَحْنُ فِي عُمْرِ الشَّبَابِ نَحْنُ فِي عَهْدِ التَّصَابِي
وَأَرَى آمَالَ قَلْبِي تَتَلَاشَى كَالضَّبَابِ
اتْبَعِينِي اتْبَعِينِي

فَـدُمُـوعِـي وَجُـفُـونِـي
شَيَّدَتْ قَصْرَ السُّكُونِ
فَوْقَ أَطْبَاقِ السَّحَابِ

* * *

مُذْ رَأَى النَّاسُ هُزَالِي وَجُـمُـودِي الْـمُـتَـوَالِـي
ضَـحِـكُوا مِنِّي وَقَالُوا هُوَ يَحْيَا فِي الْخَيَالِ
لَوْ دَرَوْا مَعْنَى نَشِيدِي
لَـرَأَوْنِـي ابْنَ الْـخُـلُـودِ
وَرَأَوْا جِسْمَ الْوُجُودِ
يَـتَـمَـشَّـى لِـلـزَّوَالِ

* * *

اتْبَعِـيـنِـي اتْبَعِـيـنِـي
فَـدُمُـوعِـي وَجُـفُـونِـي
شَيَّدَتْ قَصْرَ السُّكُونِ
فَوْقَ أَطْبَاقِ السَّحَابِ

في ٢ آذار سنة ١٩٢٣

الدمعات الثلاث

الدمعة الأولى

الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيَّ لَمْ يَذْرُفِ ... إِلَّا عَلَى وَرْدِ الْهَوَى الْأَشْرَفِ
تِلْكَ دُمُوعُ الْقَلْبِ ذَوَّبْتُهَا ... وَفِي دُمُوعِ الْقَلْبِ سِرٌّ خَفِي
كَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتُهَا سَاهِرًا ... مَا مِنْ سَمِيرٍ لِي سِوَى مُصْحَفِي!
طَوْرًا أُنَاجِي نَارَ سِيكَارَتِي ... وَتَارَةً أَرْنُو إِلَى الْأَحْرُفِ
وَفِي فُؤَادِي مِنْ شُجُونِ الْهَوَى ... مَا فِي فُؤَادِ الشَّاعِرِ الْأَحْنَفِ
يَا مَيُّ مَا لِلْأَهْلِ مِنْ مَدْخَلٍ ... بَيْنَ كَسِيرِ الْجَفْنِ وَالْمُدْنِفِ
نَحْنُ لَنَا فِي حُبِّنَا شِيمَةٌ ... بِغَيْرِ هَذَا الْحُبِّ لَمْ نَكْلَفِ
فَلْيَتْرُكُونَا فِي مُنَاجَاتِنَا ... وَلْيَحْفَظُوا حُرْمَةَ حُبٍّ وَفِي
فَلْيَتْرُكُونَا نَجْتَنِي حُلْمَنَا ... بَيْنَ زُهُورِ الْفُلِّ وَالْمَضْعَفِ
يَا دَهْرُ إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَمْرَدَا ... أَمَتَّ لِي حَظِّي وَلَمْ تَكْتَفِ
مَا فُتِّحَتْ أَزْهَارُهُ فِي الضُّحَى ... حَتَّى أَحَالَتْهَا يَدُ الْحَرْجَفِ
لِي نَفْسٌ يَعْسُرُ تَرْدَادُهُ ... كَنُورِ مِصْبَاحٍ بَدَا يَنْطَفِي
وَجَسَدٌ أَبْلَى بِهِ سُقْمُهُ ... يَكَادُ لَوْلَا ثَوْبُهُ يَخْتَفِي
وَلِي حَيَاةٌ حَظُّهَا أَسْوَدٌ ... نَظِيرَ لَيْلِي الْمُظْلِمِ الْمُسْدِفِ
أَمْسَيْتُ مِنْ يَأْسِي أُحِبُّ الدُّجَى ... فَفِي الدُّجَى رَسْمُ الْحَمَامِ الْخَفِي
حَتَّى إِذَا أَلْفَيْتُهُ رَاحِلًا ... أَقُولُ لِلظُّلْمَةِ فِيهِ قِفِي

رَبَّاهُ لِـمْ تَـخْـلُـقُـنِـي تَـاعِـسًـا أَشْكُو وَمَا مِنْ سَامِعٍ مُنْصِفِ؟
كَـأَنَّـنِـي فِـي الْـكَوْنِ جَانٍ أَتَـى بِـحَـادِثٍ أَعْـيَـبَ مُـسْـتَـنْـكَـفِ
وَلَـيْسَ ذَنْـبِـي غَـيْـرَ أَنِّـي فَـتًـى أَحْبَبْتُ فِيهَا حُسْنَهَا الْيُوسُفِي
أَحْـبَـبْـتُ فِـيـهَـا رُوحَـهَـا سَـاقِـيًـا وَرْدَتَـهَـا مِـنْ أَدْمُـعِـي الـذُّرَّفِ
إِنْ كَانَ عَارًا مَا دَعَوْهُ الْهَوَى فَـإِنَّ هَـذَا الْـعَـارَ مَـا أَصْـطَـفِـي

في ٥ أيار سنة ١٩٢٢

الدمعة الثانية

١

كَيْفَ لَا أَنْدُبُ أَمْسِي وَمَمَاتِي فِي غَدِي؟
فَأَنَا مُذْ حَلَّ تَعْسِي فَرَّ حَظِّي مِنْ يَدِي

٢

ضَعُفَتْ رُوحِي بِصَدْرِي وَتَـلَاشَـتْ فِـي الْـفُـؤَادْ
فَانْطَفَتْ جَذْوَةُ عُمْرِي وَاسْـتَـحَـالَـتْ لِـرَمَـادْ

٣

مُنْيَتِي هَلْ تَذْكُرِينَا وَقْفَةً قُرْبَ الْغَدِيرْ؟
حَيْثُ أَلْفَيْنَا الْغُصُونَا هَامِسَاتٍ فِي الْأَثِيرْ

٤

وَالسُّـنُـونُ رَاحِـلَاتُ تَلْمَسُ الْمَاءَ الرَّكُودْ
مِثْلُهَا تِلْكَ الْحَيَاةُ مخَرَتْ بَحْرَ الْوُجُودْ

٥

يَا لَهُ وَقْتًا تَقَضَّى بَـيْـنَ لَـهْـوٍ وَدَدِ
يَوْمَ كَانَ الْحُبُّ فَرْضًا صَافِيًا كَالْعَسْجَدِ

٦

أَيُّـهَـا الْـمُـنْـشِـدُ رِفْـقًـا فَـلَـقَـدْ وَلَّـى الـشَّـبَـابْ
مَنْ قَضَى فِي الْكَوْنِ عِشْقًا لَا يُـؤَاسِـيـهِ الـرَّبَـابْ

٧

إِنَّمَا قَبْلَ الْمَمَاتِ ذَكِّرِ الصَّبَّ بِمَيّْ
غَنِّ لِي لَحْنَ الْحَيَاةِ ظَبْيَةَ الْأُنْسِ إِلَيّْ

في ٣ أيلول سنة ١٩٢٢

الدمعة الأخيرة

مَا لِسَلْمَى الَّتِي اسْتَبَدَّتْ وَمَا لِي! أَنَـا فِـي الْـحُـبِّ مَـيِّـتُ الْآمَـالِ
كُنْتُ أَمْشِي مَعَ الْهُيَامِ وَلَكِنْ كُنْتُ أَمْشِي عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالِ
ذَلِكَ الْحُبُّ كَانَ بِالْأَمْسِ بَدْرًا فَغَدَا الْيَوْمَ نَاقِصًا كَالْهِلَالِ
ذَلِكَ الْحُبُّ كَانَ رَسْمًا شَرِيفًا فَـغَـدَا الْـيَـوْمَ سِـلْـعَـةَ الـدَّلَّالِ
يَا لَسَلْمَى! كَيْفَ اسْتَبَدَّتْ وَأَذْرَتْ بِـحَـيَـاتِـي وَمَـدْمَـعِـي الْـهَـطَّـالِ؟
مَا كَفَاهَا أَنِّي هَزِيلٌ وَلَكِنْ سَمَّرَتْ نَعْلَهَا وَدَاسَتْ هُزَالِي
بِـنْـتَ حَـوَّاءَ إِنَّ قَـلْـبَـكِ صَـخْـرٌ كَيْفَ عَدُّوكِ مِنْ ذَوَاتِ الدَّلَالِ؟
لَوْ حَبَاكِ السُّلْطَانَ رَبُّكِ يَوْمًا لَاسْـتَـحَـلَّـيْـتِ مَـصْـرَعًـا لِـلـرِّجَـالِ

* * *

يَا صَدِيقِي خُذِ الرَّبَابَ وَأَنْشِدْ «كُـلُّ حَـيٍّ مَـصِـيـرُهُ لِـلـزَّوَالِ»

فَـأَنَـا رَاحِـلٌ عَـنِ الْـكَوْنِ عَـلِّـي ... أَجِدُ الْمَكْرَ نَائِيًا فِي ارْتِحَالِي
لَا أَرَى فِي الْمِرْآةِ وَجْهِيَ حَتَّى ... يَعْتَرِينِي خَوْفٌ لِفَرْطِ اعْتِلَالِي
آهِ! وَا سُوءَ حَالِيَ الْيَوْمَ! إِنِّي ... أَطْلُبُ الْمَوْتَ، آهِ! وَا سُوءَ حَالِي!
يَا صَدِيقِي مَاضِيَّ كَانَ جَمِيلًا ... فَاسْتَبَدَّ الْهَوَى بِذَاكَ الْجَمَالِ
أَطْرِبِ الْحُبَّ كَيْ يُكَفَّنَ مَاضِيـ ... ـهِ بِثَوْبٍ مِنْ جِنْسِهِ غَيْرِ بَالِ

في ١٩ ك١ سنة ١٩٢٢

أيها القلب

أَيُّهَا الْقَلْبُ مُتْ فَخَيْرٌ وَأَبْقَى ... لَكَ مَوْتٌ يَقِيكَ شَرَّ الْعِبَادِ
إِنْ تَكُنْ طَاهِرًا فَحَسْبُكَ مَا لَا ... قَيْتَ فِي الْكَوْنِ مِنْ عَظِيمِ الْفَسَادِ
مَا تُرَجِّي وَقَدْ شَعَرْتَ بِأَنَّ الْـ ... ـمَكْرَ يَثْوِي حَتَّى بِقَلْبِ سُعَادِ
يَا فُؤَادِي خَيْرٌ لِجِسْمِي حَيَاةٌ ... فِي شَقَاهَا تَبْقَى بِدُونِ فُؤَادِ

في ١٩ ك[1] سنة ١٩٢٢

قلبُ المَلاك حَجَر

بِرُوحِي مَنْ مَضَّنِي وَنَفَرْ ... لَهُ مُقْلَةٌ عَلَّمَتْنِي السَّهَرْ
إِذَا مَا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ ... رَأَيْتُ عَلَى كُلِّ خَدٍّ قَمَرْ
غَزَالٌ مِنَ الْإِنْسِ قَدْ هَدَّ حَيْلِي ... وَمَا تَابَ عَنْ فِعْلِهِ وَاعْتَذَرْ
فَقُلْتُ لَهُ يَا ظَلُومُ كَفَاكَ ... أَمَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَاذَا صَدَرْ؟
فَقَالَ وَفِي جَفْنِهِ غَمْزَةٌ ... وَلِلْهُزْءِ فِي مِرْشَفَيْهِ أَثَرْ:
إِذَا لَمْ أَكُنْ عَارِفًا كُلَّهُ ... فَعِنْدِيَ مِنْ ذَاكَ نِصْفُ الْخَبَرْ
فَفِي كَبِدِي عِلَّةٌ مِنْ جَفَاهُ ... رَآهَا طَبِيبِيَ تَحْتَ الْخَطَرْ
مَلَاكٌ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ رَيْبٌ ... بِأَنَّ فُؤَادَ الْمَلَاكِ حَجَرْ؟

في ٢٧ ك[1] سنة ١٩٢٢

أغنية الموت

أَسْمِعِينِي لَحْنَ الرَّدَى أَسْمِعِينِي ... فَحَيَاتِي عَلَى شِفَارِ الْمَنُونِ
وَاذْرُفِي دَمْعَةً عَلَيَّ فَبَعْدَ الْـ ... ـمَوْتِ لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ تَبْكِينِي
يَا سُلَيْمَى وَقَدْ أَثَارَ نُحُولِي ... كَامِنَاتِ الرَّدَى عَلَى الْعِشْرِينِ
مَا تَقُولِينَ عِنْدَمَا تَنْظُرِينَ الْـ ... ـقَوْمَ جَاءُوا إِلَيَّ كَيْ يَحْمِلُونِي؟
وَأَنَا جُثَّةٌ بِدُونِ حَرَاكٍ ... وَخَيَالُ الْحِمَامِ فَوْقَ جَبِينِي
يَا سُلَيْمَى أَنَا أَمُوتُ ضَحُوكًا ... لَيْسَ هَذَا الْوُجُودُ غَيْرَ مُجُونِ
إِنَّ مَنْ عَاشَ فِيهِ عُمْرًا قَصِيرًا ... كَالَّذِي عَاشَ فِيهِ بَعْضَ قُرُونِ
يَا سُلَيْمَى وَكَمْ أُنَادِي سُلَيْمَى ... فَاسْمُهَا بَلْسَمٌ لِقَلْبِي الْحَزِينِ
لَكِ عِنْدِي وَصِيَّةٌ فَاحْفَظِيهَا ... هِيَ بَعْدَ الْمَمَاتِ أَنْ تَنْسِينِي
وَإِذَا هَزَّكِ التَّذَكُّرُ بِالرُّغْـ ... ـمِ وَشَاءَ الْوِدَادُ أَنْ تَذْكُرِينِي
فَخُذِي فِي الظَّلَامِ قِيثَارَ وَحْيِي ... وَاقْصِدِي الْقَبْرَ فِي ظِلَالِ السُّكُونِ
وَانْقُرِي نَقْرَةً عَلَيْهِ يُسَمِّعْـ ... ـكِ أَنِينًا كَزَفْرَتِي وَأَنِينِي
ذَاكَ قِيثَارُ صَبْوَتِي وَشَبَابِي ... وَا حَنِينِي إِلَيْهِ! إِي وَا حَنِينِي!
يَا سُلَيْمَى أُغْنِيَةُ الْمَوْتِ هَذِي ... وَمِرَارًا أَنْشَدْتُهَا فِي جُنُونِي
فَاسْمَعِينِي أُعِيدُهَا عَنْ قَرِيبٍ ... فَقَرِيبًا يَحِينُ يَوْمُ الدِّينِ

في ٢٥ ت[1] سنة ١٩٢٢

يا ليل العمر متى غده؟

حَـتَّـامَ أُحَـاوِلُ أَرْقُـدُهُ؟ لَـيْـلٌ يَـتَـمَـرَّدُ أَسْـوَدُهُ
وَعُـيُـونُ غَـزَالِـي نَـائِـمَـةٌ تُضْنِي جَفْنِي وَتُسَهِّدُهُ
حَلَّتْ مَعْقُودَ ضَفَائِرِهَا أَبْـكَـارُ الـشِّـعْـرِ وَخُـرَّدُهُ
وَتَـغَـنَّـتْ تَرْقُصُ مُنْشِدَةً يَا لَيْلَ الْعُمْرِ مَتَى غَدُهُ؟
مَوْلَايَ وَمَنْ ضَلَّتْ عَيْنَا هُ هَوَاكَ فَلَحْظُكَ يُرْشِدُهُ
فَعَلَامَ وَعَبْدُكَ فِي سَقَمٍ تُدْنِيهِ مِنْكَ وَتُبْعِدُهُ؟
فَكَأَنَّ الْبَدْرَ رَآكَ تَمِيـ ـسُ فَهَامَ بِقَدِّكَ يُنْشِدُهُ
وَهَوَى يَسْتَرْشِفُ شَهْدَ لُمَا كَ فذَابَ بِثَغْرِكَ عَسْجَدُهُ
مَوْلَايَ إِذَا أَحْبَبَتْ فَتًى فَمُلُوكُ الْعَالَمِ تَحْسُدُهُ
أَنْسَيْتَ الْعَبْدَ دِيَانَتَهُ فَاغْتَاظَ الْمَوْلَى سَيِّدُهُ
دِينِي قَدْ رَقَّ فَوَا تَلَفِي! هَلْ بَاقٍ غَيْرُكَ أَعْبُدُهُ
أَبَدًا يَشْتَاقُ إِلَيْكَ فَتًى تَـتَـأَوَّهُ يَـأْسًـا عُـوَّدُهُ
فَإِذَا مَا شِئْتَ تُزَوِّدُهُ تَعَبَ الدُّنْيَا يَتَزَوَّدُهُ

في ٨ أيار سنة ١٩٢٠

ميروبا في الصيف

وَقْفًا بِمِيرُوبَا عَلَى أَطْلَالِهَا ... وَانْظُرْ إِلَى وِدْيَانِهَا وَتِلَالِهَا
تَجْرِي مِيَاهُ النَّبْعِ بَيْنَ رِيَاضِهَا ... حَتَّى تَخَالَ الْمَاءَ مِنْ أَصْلَالِهَا
كَيْفَ الْتَفَتَّ سَعَتْ إِلَيْكَ جَدَاوِلٌ ... ضَحِكَتْ عَلَى قِيلِ الطُّيُورِ وَقَالِهَا
فَهُنَاكَ نَهْرٌ قَدْ تَسَلْسَلَ مَاؤُهُ ... مِثْلَ اللُّجَيْنِ يَسِيلُ بَيْنَ جِبَالِهَا
تَتَمَايَلُ الْأَشْجَارُ حَوْلَ ضِفَافِهِ ... فَيَخُطُّ فِيهِ الْمَاءَ رَسْمَ خَيَالِهَا
شَجَرٌ لَهَا أَرَجٌ يَفُوحُ مُعَنْبِرًا ... فَيُجَدِّدُ الْأَرْوَاحَ فِي عُمَّالِهَا
وَخَمَائِلُ الصَّفْصَافِ ظَلَّلَتِ الثَّرَى ... فَتَرَبَّعَ الْمُصْطَافُ تَحْتَ ظِلَالِهَا
«صِنِّينُ» يَرْمُقُ أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا ... بِلِحَاظَ صَبٍّ هَائِمٍ بِجَمَالِهَا
فَكَأَنَّهَا تَحْيَا لِأَجْلِ وِصَالِهِ ... وَكَأَنَّهُ يَحْيَا لِأَجْلِ وِصَالِهَا

* * *

هِيَ غَادَةٌ فِي كِسْرَوَانَ مُقِيمَةٌ ... تَصْطَادُ أَرْبَابَ الْهَوَى بِحِبَالِهَا
أَخَذَتْ مِنَ التُّفَّاحِ أَحْمَرَ خَدِّهَا ... وَمِنَ اخْضِرَارِ الْجَوْزِ أَخْضَرَ خَالِهَا
سَحَرَتْ بِأَطْرَافِ اللِّحَاظِ رِفَاقِهَا ... فَحَسَدْنَ فِي الْأَلْحَاظِ سِحْرَ حَلَالِهَا
أَنَّى «لِفَارِيَّا» جَمَالُ مُرُوجِهَا ... وَمَنَاظِرٌ ضَحِكَتْ لَدَى شَلَّالِهَا؟

في ١٥ آب ١٩٢١

تذكَّري

عن ألفرد ده موسه بتصرُّف.

تَذَكَّرِي حِينَ يَزِفُّ الضُّحَى ... عَلَى جُفُونِ الْبَشَرِ الرَّاقِدَهْ
مُرَوَّعًا يَفْتَحُ قَصْرَ الضِّيَا ... أَمَامَ شَمْسِ النُّهُرِ الْعَائِدَهْ
تَذَكَّرِي وَاللَّيْلُ فِي حُلْمِهِ ... مُسْتَجْمِعًا أَفْكَارَهُ الشَّارِدَهْ
مُنْثَنِيًا خَلْفَ رِدَاءٍ لَهُ ... قَدْ فَضَّضَتْهُ الْأَنْجُمُ السَّاهِدَهْ
وَإِنْ تَرَى صَدْرَكَ فِي خَلْجَةٍ ... لَدَى نِدَاءِ اللَّذَّةِ الْوَاجِدَهْ
وَالظِلُّ يَدْعُوكَ إِلَى لَذَّةٍ ... الْأَحْلَامِ فِي لَيْلَتِهِ الْهَاجِدَهْ
أَصْغِي إِلَى أَنْغَامِ صَوْتِ الْهَوَى ... مِنْ غَابَةِ الْحُبِّ سَمَتْ صَاعِدَهْ
هَامِسَةً فِيكِ: اذْكُرِي حُبَّهُ ... فِي كُلِّ لَيْلٍ مَرَّةً وَاحِدَهْ

* * *

تَذَكَّرِي حِينَ صُرُوفُ الْقَضَا ... تُفَرِّقُنِي عَنْكِ السِّنِينَ الطِّوَالْ
وَعِنْدَمَا حُزْنِي وَأَعْرَاضُهُ ... تَدِبُّ فِي قَلْبِي دُبُولَ الْهُزَالْ
تَذَكَّرِي حُبِّي وَآلَامَهُ ... تَذَكَّرِي وَحْيِي أَمَامَ الْخَيَالْ
وَمَوْقِفَ التَّوْدِيعِ فِي سَاعَةٍ ... كَانَ لَهَا صَمْتٌ مُهِيبُ الْجَلَالْ
لَا الْبُعْدُ فِي أَوْصَابِهِ وَالْأَسَى ... وَلَا الثَّوَانِي فِي طَرِيقِ الزَّوَالْ
تُنْسِيكِ تَذْكَارَاتِ حُبٍّ مَضَى ... مُضِيَّ أَشْبَاحٍ بِمَاءٍ زُلَالْ
مَا زَالَ قَلْبِي خَافِقًا فِي الْهَوَى ... وَقَدْ تَمَشَّى فِيهِ دَاءٌ عُضَالْ

لَا يَنْثَنِي يَهْمِسُ فِيكِ اذْكُرِي فَالذِّكْرُ جُزْءٌ مِنْ لَذِيذِ الْوِصَالْ

* * *

تَذَكَّرِي يَوْمَ أُلَاقِي الْفَنَا فِي ذِي الْحَيَاةِ الرَّثَّةِ الْبَائِدَةْ
يَوْمَ فُؤَادِي مُثْقَلًا بِالْأَسَى يَنَامُ فِي حُفْرَتِهِ الْبَارِدَةْ!
تَذَكَّرِي إِمَّا تَرَي فُتِّحَتْ عَلَى ضَرِيحِي الزَّهْرَةُ الزَّاهِدَةْ
فَفِي زُهُورِ الْحَقْلِ طُهْرُ الْهَوَى مَا لَامَسَتْهُ نَفْحَةٌ فَاسِدَةْ
لَنْ تَنْظُرِينِي بَعْدُ فِي مَوْضِعٍ فَهَذِهِ الدُّنْيَا غَدَتْ جَاحِدَةْ
سَوْفَ «كَأُخْتٍ صَادِقٍ حُبُّهَا» تَرْعَاكِ دَوْمًا نَفْسِيَ الْخَالِدَةْ
أَصْغِي إِلَى صَوْتٍ دَوَى فِي الدُّجَى أَنِينُهُ فِي الظُّلْمَةِ السَّائِدَةْ
حَفِيفُهُ قَالَ: اذْكُرِي دَمْعَهُ فِي كُلِّ لَيْلٍ مَرَّةً وَاحِدَةْ

في ١٠ كانون الأول سنة ١٩٢٤

والعين بحيرة أحلام

أَسْـرَعْتُ لِـبَابِكِ أَقْـرَعُـهُ فِـي لَـيْلٍ أَظْلَـمَ بُـرْقُـعُـهُ
وَقَصِيدَةُ شِبْلِي[1] مُصْغِيَةٌ لِنَشِيدِ فُؤَادِي تَسْمَعُهُ
فَـأَفَـاقَ أَبُـوكِ وَفِـي يَـدِهِ مِصْبَاحُ الْغُرْفَةِ يَرْفَعُهُ
وَأَجَابَ «رَشِيدٌ» لَمْ يَرْجِعْ وَ«جَمِيلُ» أَوَاهُ مَضْجَعُهُ
فَكَتَمْتُ السِّرَّ وَفِي كَبِدِي قِيثَارُ الْحَظِّ أُقَطِّعُـهُ
وَرَجَعْتُ وَفِي حُبِّي خَرْقٌ ثَوْبٌ مَا كُنْتُ أُرَقِّعُـهُ

* * *

مَـوْلَايَ وَفِـي يَـدِهِ وَلَـدٌ مَا شَاءَ هَـوَاهُ يُـلَـوِّعُـهُ
فَـإِذَا أَدْنَـاهُ بِـتَـبْـسِـمَـةٍ مِنْهُ فَـبِـعُـنْـفٍ يَـدْفَـعُـهُ
ثَمَرَاتُ الطُّهْرِ مَرَاشِفُهُ وَغُصُونُ الزَّنْبَقِ أَذْرُعُهُ
وَالْعَيْنُ بُـحَـيْـرَةِ أَحْـلَامٍ تَـتَـمَـوَّجُ فِـيـهَـا أَدْمُـعُـهُ
لَا أَنْسَى لَيْلَةَ أَنْشَدَنِي لَـحْـنًا وَالْـحُـبُّ يُـوَقِّعُـهُ
وَالْأُفْقُ سَرِيرٌ قَدْ فُرِشَتْ فِـيـهِ الْأَزْهَـارُ تُـضَـوِّعُـهُ
يَـا هِـنْـدُ فُـؤَادِي ذُو عِـلَلٍ فَـأَقَـلُّ جَـفَـاءٍ يُـوجِـعُـهُ

---

[1] للشاعر شبلي ملاط قصيدة على هذا الروي.

فَاهْدِيهِ إِلَى عَيْنَيْكِ فَفِي عَـيْـنَـيْـكِ دَوَاءٌ يَـنْـفَـعُـهُ
يَا هِنْدُ كَفَى قَلْبِي حِجَجٌ سَـيَـثُـورُ عَـلَـيْـكِ تَـرَفُّـعُـهُ
فَارْشِيهِ بِعَاطِفَةٍ يَقْنَعْ فَالْحُجَّةُ لَيْسَتْ تُقْنِعُهُ

رسالة

إلى الأستاذ فيلكس فارس.

أَشْكُو إِلَى قَلْبِكَ يَا سَيِّدِي ... قَلْبًا ثَوَى فِي حَظِّيَ الْأَسْوَدِ
أَطْلَقْتُهُ طِفْلًا وَلَمَّا نَمَى ... أَصْبَحَ مُحْتَاجًا إِلَى مُرْشِدِ
أَهَكَذَا كُنْتَ وَكَانَ الْهَوَى ... فِي عَهْدِ سُلْطَانِ الصِّبَا الْأَيِّدِ
تَنْهَجُ نَهْجَ الطَّيْرِ فِي مَرْجِهِ ... لَا تَنْتَمِي يَوْمًا لِغَيْرِ الدَّدِ
وَالْمَرْجُ بَسَّامٌ بِأَزْهَارِهِ ... لِنَشْوَةٍ فِي طَرْفِكَ الْأَغْيَدِ
يُرِيكَ سَاعَاتِكَ هَزَّاجَةً ... وَيَكْتُمُ الْيَأْسَ مَصِيرُ الْغَدِ

* * *

فِيلِكْسُ مَا لِلْحُرِّ مِنْ رَاحَةٍ ... فِي وَطَنٍ يَرْتَاحُ لِلْأَعْبُدِ
بَنَاتُهُ مُسْتَعْبَدَاتٌ بِهِ ... تُؤْثِرُ أَنْ تُعْزَى لِمُسْتَعْبِدِ
بَنَاتُهُ! يَا وَيْحَهَا مِنْ دُمًى ... جَرَّدَهَا الظُّلْمُ مِنَ الْأَكْبُدِ
ذَوَّبَتِ الدُّنْيَا بِأَجْفَانِهَا ... رَجِيقَ جَهْلٍ أَكْدَرٍ مُفْسِدِ
وَغَادَةٍ أَحْبَبْتُهَا ضَلَّةً ... وَلَمْ يَكُنْ قَلْبِي الْفَتَى فِي يَدِي
أَحْبَبْتُ فِيهَا مَا يُحِبُّ النَّدَى ... فِي خَطَرَاتِ النَّسَمِ الشُّرَّدِ
مَا اسْتَحكَمَ الْقَلْبَانِ حَتَّى مَضَتْ ... تُلْقِي بِأَحْلَامِيَ فِي مَوْقِدِ
وَانْفَجَرَ الْبُرْكَانُ حَتَّى انْثَنَتْ ... تَدُبُّ نَارُ الْيَأْسِ فِي مرْقَدِي
فَخِفْتُ أَنْ يُقْضَى عَلَى عِزَّتِي ... وَأَنْ يَعِيثَ الْعَارُ فِي مَحْتِدِي

فَقُلْتُ لِلْقَلْبِ انْتَبِهْ إِنَّ لِي ... مَجْدًا ثِيَابُ الْخِزْيِ لَا يَرْتَدِي
وَالْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ صَيَّادَةٌ ... تَصْطَادُ قَلْبَ الْبَاسِلِ الْأَصْيَدِ
ثَائِرَةٌ كَالْمَوْجِ إِنْ تَلْعَبِ الْـ ... أَرْوَاحُ فِي طَيَّاتِهِ يُزْبِدِ

* * *

لَمَّا رَأَتْنِي مُلْقِيًا عَهْدَهَا ... عَلَى ضَحَايَا حُبِّهَا الْأَرْبَدِ
وَالْيَأْسُ فِي عَيْنَيَّ مُسْتَحْكِمًا ... لَا يَرِدُ الْآمَالَ مِنْ مَوْرِدِ
أَلْقَتْ بِوَاهِي رَأْسِهَا الْمُجْهَدِ ... عَلَى بَقَايَا جَسَدِي الْأَمْلَدِ
كَأَنَّهَا وَالْيَأْسُ يَعْتَادُهَا ... تُلْقِي بِأَشْلَاءٍ عَلَى جَلْمَدِ
أَوْصَدْتُ دُونَ الْحُبِّ قَلْبِي فَمَا ... يَرْجُو الْهَوَى مِنْ قَلْبِيَ الْمُوصَدِ
بَيْنَ ضُلُوعِي حَجَرٌ بَارِدٌ ... رَمَيْتُهُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْرَدِ
خَمْسَةُ أَعْوَامٍ تَقَضَّتْ بِنَا ... بَيْنَ عَذَابٍ مُجْحِفٍ مُلْحِدِ
حَسِبْتُهَا مِنْ فَرْطِ أَثْقَالِهَا ... خَمْسَةُ أَجْيَالٍ بِصَدْرِيَ النَّدِي
أَقْعَدَنِي عَنْ نَيْلِ مُسْتَقْبَلِي ... هَمٌّ وَلَوْلَا الْهَمُّ لَمْ أَقْعُدِ
وَيْلُ الشَّبَابِ الْغَضِّ مِنْ قَلْبِهِ ... إِذَا أَضَلُّوهُ وَلَمْ يَهْتَدِ
الْقَلْبُ جُرْمٌ فِي حَيَاةِ الْفَتَى ... وَصَانِعُ الْقَلْبِ هُوَ الْمُعْتَدِي
مِنْ وَاجِبِ الْأَيَّامِ تَحْطِيمُهُ ... عَلَى حِفَافِ الْمَهْدِ فِي الْمَوْلِدِ

* * *

يَا سَيِّدِي فِيلِكْسُ ذِي حَالَتِي ... ذِي حَالَةُ الشَّاعِرِ يَا سَيِّدِي
إِمَّا رَآهُ الْحُبُّ مُسْتَنْزِفًا ... أَدْمُعُهُ قَالَ لَهُ غَرِّدِ
بِئْسَتْ حَيَاتِي فِي بِلَادٍ غَدَتْ ... تَرْتَاحُ لِلْأَنْذَالِ مِنْ حُسَّدِي
تُؤْثِرُ صَوْتَ الْبُومِ فِي نَحْسِهِ ... عَلَى أَغَانِي الْبُلْبُلِ الْمُنْشِدِ
يَا شَاعِرَ الْآلَامِ هَذَا دَمِي ... ذَوَّبْتُهُ شَمْعًا عَلَى مَعْبَدِي
هَذِي عِبَارَاتُ الْأَسَى سُطِّرَتْ ... بِالدَّمْعِ مِنْ أَجْفَانِيَ الزُّهَّدِ
هَذِي شِكَاتِي يَا خَطِيبَ الْعُلَى ... أَرْفَعُهَا لِلرَّجُلِ الْأَوْحَدِ
أَرْفَعُهَا لِلْمَجْدِ فِي أَوْجِهِ ... لِأَنَّهَا جَذْوَةُ قَلْبٍ صَدِي
وَجَدْتُ فِي نَفْسِكَ مَا لَمْ أَجِدْ ... فِي أَنْفُسٍ مُخَمَّدَةٍ هُجَّدِ
لَامَسْتُ فِي أَنَّاتِهَا ثَوْرَةً ... أَخْمَدَتِ النَّارَ وَلَمْ تَخْمُدِ

أمام جثة البستاني

خَتَمْتَ بِالصَّمْتِ آيَاتٍ وَعِرْفَانَا ... لَمَّا نَزَلْتَ جِوَارَ اللهِ سُبْحَانَا
آثَرْتَ جِيرَةَ إِبْرَاهِيمَ فَافْتَخَرَتْ ... بِأَنْ تَكُونَ لَكَ الْأَفْلَاكُ جِيرَانَا
مَضَيْتَ حَيْثُ الْمَعَرِّي قَبْلَ ذَاكَ مَضَى ... وَالْبُحْتُرِيُّ وَأَعْشَى وَابْنُ سُفْيَانَا
فَأَقْبَلَتْ لِلِقَاكَ الْعُرْبُ قَاطِبَةً ... مُهَلِّلَاتٍ زَرَافَاتٍ وَوِحْدَانَا
وَخَفَّ هُومِيرُ بِالْإِلْيَاذِ مُحْرِقُهَا ... أَمَامَ عَيْنَيْكَ بَخُورًا وَقُرْبَانَا
فَصَافَحَتْكَ أَثِينَا وَهْيَ بَاسِمَةٌ ... حُبًّا وَعَانَقْتِ الْيُونَانُ لُبْنَانَا
يا ابْنَ الْأُلَى رَفَعُوا لِلضَّادِ مَنْزِلَةً ... وَشَيَّدُوا لِجَلَالِ الْعِلْمِ بُنْيَانَا
نَادَاكَ مَجْدُكَ وَالْأَجْيَالُ مُصْغِيَةٌ ... تَرْمِي إِلَيْكَ أَزَاهِيرًا وَرَيْحَانَا
نِلْتَ الْإِمَارَةَ فِي الدَّارَيْنِ عَنْ ثِقَةٍ ... فَكُنْتَ فَخْرًا لِمَوْتَانَا وَأَحْيَانَا
كُنْتَ الْأَمِيرَ عَلَى جَنَّاتِنَا فَغَدَتْ ... لَكَ الْإِمَارَةُ فِي جَنَّاتِ رِضْوَانَا
جَلَسْتَ عَهْدًا عَلَى عَرْشِ الْجَمَالِ فَطِرْ ... وَاجْلِسْ عَلَى سُدَّةِ الْأَنْوَارِ أَزْمَانَا
تَرَكْتَ يَا نِسْرُ إِيوَانَ الْفَنَاءِ وَقَدْ ... حَلَّقْتَ كَيْ تَنْتَحِي لِلْخُلْدِ إِيوَانَا
مَا زَالَ طَيْفُكَ وَالْأَبْصَارُ مَضْجَعُهُ ... يَرُودُ حَوْلَ قُصُورِ الْعِلْمِ يَقْظَانَا
وَالْعُرْبُ تَجْمَعُ مِنْ أَنْفَاسِهِ نَسَمًا ... وَتَسْتَعِيدُ بِهَا لِلْفَضْلِ مَا كَانَا
يَا وَاضِعًا نَفْسَهُ فِي تُرْبِ بَلْدَتِهِ ... رِفْقًا وَضَعْ نَفْسَهُ فِي قَلْبِ غَسَّانَا
عِظَامُهُ كَنْزُ غَسَّانٍ وَمَفْخَرَةٌ ... إِذَا هَزَزْتَ بَلَاهَا عَادَ مَرْجَانَا
فِرْجِيلُ قَبَّلَ عَيْنَيْهِ وَجَبْهَتَهُ ... وَقَامَ يَلْثِمُهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَا
وَأَنْشَدَتْهُ بَنَاتُ الشِّعْرِ أُغْنِيَةً ... وَوَقَّعَتْهَا عَلَى الْقِيثَارِ أَلْحَانَا

وَجَاءَ دَانْتِي وَهُوغُو يَسْجُدَانِ لَهُ ... وَالْمَاجِنُ ابْنُ نُوَاسٍ جَاءَ سَكْرَانَا
وَالْفَارِضُ الزَّاهِدُ الصُّوفِيُّ خَفَّ إِلَى ... تَقْبِيلِهِ وَأَتَاهُ الْمَجْدُ ظَمْآنَا
مَنْ لِلْجِهَادِ وَلِلْأَقْلَامِ فِي وَطَنِي ... بَعْدَ الْفَقِيدِ فَقِيدِ الْعِلْمِ سَلْمَانَا
مَنْ لِلسِّيَاسَاتِ تَأْتِيهِ فَيَصْدُقُهَا ... وَيَسْتَعِيدُ بِهَا مَجْدًا وَسُلْطَانَا
هَلِ الْفَقِيدُ سِوَى رُكْنٍ نُعَزُّ بِهِ ... هَوَى فَأَسْقَطَ لِلْآدَابِ أَرْكَانَا؟
لَا الْعَيْنُ تَنْفَعُ فِي مَنْعَاهُ إِنْ دَمَعَتْ ... وَلَا النُّوَاحُ يُعِيدُ الْيُبْسَ رَيَّانَا
عَرَائِسُ الشِّعْرِ فِي بِرْنَاسَ بَاكِيَةٌ ... تَضُمُّ مِنْ حُزْنِهَا صَخْرًا وَصَوَّانَا
كَأَنَّ أَرْجَاءَهُ بَعْدَ الْأُلَى ذَهَبُوا ... أَمْسَتْ عَلَيْهِمْ دَيَاجِيرًا وَأَكْفَانَا

في تموز سنة ١٩٢٥

رُقاد القلم

جَثَا اللَّيْلُ مُلْتَفًّا بِبُرْدِ السَّرَائِرِ وَفِي صَدْرِهِ الْمَفْئُودِ رَعْشَةُ جَائِرِ
كَأَنِّي بِهِ وَالصَّمْتُ فِي جَنَبَاتِهِ مَوَاكِبُ كُفَّارٍ أَمَامَ الضَّمَائِرِ
وَفِي الْقُبَّةِ السَّوْدَاءِ لُحْفٌ كَثِيفَةٌ عَلَى مَهْدِهَا نَامَتْ عُيُونُ الزَّوَاهِرِ
كَأَنِّي بِهَذِي اللُّحْفِ جُبَّةُ سَارِقٍ وَقَدْ أُخْفِيَتْ فِيهَا عُقُودُ الْجَوَاهِرِ
هَفَا شَبَحُ الْأَحْلَامِ مِنْ غَوْرِ كَهْفِهِ وَقَدْ عَلِقَتْ أَذْيَالُهُ بِالْمَحَاجِرِ
كَأَنَّ غَطِيطَ النَّائِمِينَ نَوَاسِمٌ يُحَرِّكُهَا الصَّفْصَافُ فَوْقَ الْمَقَابِرِ
لَدُنْ فَتَحَتْ أُمِّي نَوَافِذَ مِخْدَعِي تَمَشَّى إِلَى قَلْبِي أَرِيجُ الْأَزَاهِرِ
كَأَنَّ مَصَارِيعَ الْكُوَى وَهِيَ شُرَّعٌ جُفُونُ يَتِيمٍ مُوجَعِ الْقَلْبِ حَائِرِ
أَنَا فِي سَرِيرٍ مِنْ قُمَاشٍ مُطَرَّزٍ تَدَلَّتْ عَلَى جَنْبَيْهِ بِيضُ السَّتَائِرِ
كَأَنِّيَ مَيْتٌ فِي رُخَامٍ ضَرِيحِهِ تُكَفِّنُهُ شَفَّافَةٌ مِنْ حَرَائِرِ
أَرَى قَلَمِي الْمَظْلُومَ فِي هَدْأَةِ الدُّجَى يَنَامُ مَعَ الْأَوْرَاقِ قُرْبَ الْمَحَابِرِ
بِمَاذَا تُرَاهُ يَحْلُمُ الْآنَ؟ إِنَّنِي لَأَسْمَعُ مِنْهُ مِثْلَ زَفْرَةِ شَاعِرِ

* * *

أَيَا قَلَمِي مَا ضَرَّ لَوْ كُنْتَ سِكَّةً تَطُوفُ شَرِيفًا فِي الْحُقُولِ النَّوَاضِرِ
تُحَيِّيكَ أَسْرَابُ الطُّيُورِ وَتَنْحَنِي أَمَامَكَ أَعْنَاقُ الزُّهُورِ السَّوَاحِرِ

* * *

أَيَا قَلَمِي مَا ضَرَّ لَوْ كُنْتَ سِكَّةً تُخَلِّدُ لِي بَيْنَ الْجِبَالِ مَآثِرِي

فَأَرْفَعُ نَفْسِي عَالِيًا بَعْدَ خَفْضَةٍ وَتَظْهَرُ أَسْمَى فِي السُّهُولِ مَفَاخِرِي
وَيَا صُحُفًا يَجْرِي مِدَادُ عَوَاطِفِي عَلَيْهَا وَيُلْقِيهَا الرِّيَا فِي الْمَسَاخِرِ
فَقَدْتُكِ هَلَّا كُنْتِ أَرْضًا خَصِيبَةً يَسِيلُ عَلَيْهَا مِنْ جِبَاهِ الْجَبَابِرِ
يُذِيبُ عَلَيْهَا الْفَجْرُ كَوْثَرَ طُهْرِهِ أَرَقَّ وَأَصْفَى مَنْهَلًا مِنْ كَوَاثِرِي
فَكَوْثَرُهُ يُحْيِي الْفَقِيرَ وَكَوْثَرِي يُثِيرُ حَيَاةً فِي جَمَادِ الدَّفَاتِرِ

* * *

أَيَا قَلَمِي نَمْ فِي الْخُمُولِ وَلَا تُفِقْ وَيَا صُحُفِي نَامِي فَقَدْ نَامَ خَاطِرِي
وَيَا فَجْرُ لَا تَطْلُعْ عَلَيَّ فَفِي الدُّجَى مَدَافِنُ فِيهَا تَسْتَكِنُّ شَوَاعِرِي

في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥

معارضة قصيدة شوقي

أَمِيرَ الشِّعْرِ لَا نُورٌ وَحَقٌّ وَلَكِنْ سُوءُ مُنْقَلَبٍ وَخُرْقُ
إِذَا أَيَّدْتَهُمْ أَيَّدْتَ حَقًّا أَبَى تَأْيِيدَهُ شَرَفٌ وَخُلْقُ

* * *

أَمِيرَ الشِّعْرِ وَالثَّوَرَاتُ تَرْقَى عَلَى نُظُمٍ يُمَهِّدُهَا الْمُحِقُّ
وَلَا تَرْقَى عَلَى مُهَجِ الْأَيَامَى فَإِنَّ دَمَ الْأَيَامَى لَا يَحِقُّ
أَبَاحُوا فِي الْقِتَالِ دَمَ النَّصَارَى وَفِي أَجْفَانِهِمْ لِلْبُغْضِ وَدْقُ
وَمَا رَفَقُوا بِأَيْتَامٍ صِغَارٍ فَجَازَوهُمْ بِمَا لَمْ يَسْتَحِقُّوا
وَقَالُوا نَهْضَةُ الْأَوْطَانِ تَقْضِي وَعَاثُوا فِي بِلَادِهِمِ وَشَقُّوا
وَقِدْرُ الدِّينِ فِي الْجُهَّالِ تَغْلِي وَلَمْ يُسْمَعْ لِطَبْلِ الدِّينِ طَرْقُ
أَتُحْتَرَمُ الْحُقُوقُ وَفِي فَضَاهَا مِنَ الْأَحْقَادِ زَوْبَعَةٌ وَبَرْقُ
وَفِي رَايَاتِهَا لَهْفُ الْيَتَامَى لَهُ فِي كُلِّ ثَانِيَتَيْنِ خَفْقُ
الِاسْتِقْلَالُ يَنْمُو بِالتَّآخِي وَيَضْمُرُ بِالشِّقَاقِ وَيَسْتَدِقُّ
وَبِالْحُبِّ الصَّحِيحِ يُشِيدُ صَرْحًا أَسَاسُ خُلُودِهِ شَرَفٌ وَصِدْقُ

* * *

أَلَسْنَا فِي الْهُمُومِ أُولِي اتِّفَاقٍ؟ فَلِمْ لَا يَنْتَحِينَا الْيَوْمَ وِفْقُ؟
وَلِمْ يَسْعَى إِلَى التَّفْرِيقِ قَوْمٌ يُوَحِّدُ بَيْنَهُمْ وَطَنٌ وَنُطْقُ؟
أَعَادُوا سَوْءَةَ الْمَاضِي بِنَزْقٍ وَلَمْ يَنْبِضْ لَهُمْ فِي الْحُبِّ عِرْقُ

كَـأَنَّـهُـمُ أَرَادُوا نَـفْـيَ رِقٍّ بِـجَـهْـلٍ فِـيـهِ لِـلْأَوْطَـانِ رِقُّ
كِلَانَا شَاعِرٌ بِالظُّلْمِ يَرْثِي بِـلَادًا بِـالْـمَـظَـالِـمِ تَـسْـتَـرِقُّ
وَنَـحْـنُ نُـؤَيِّـدُ الـثَّـوَرَاتِ لَـكِـنْ نُـخَـطِّـئُـهَـا إِذَا هِـيَ لَا تَـرُقُّ

* * *

أَمِيرَ الشِّعْرِ حَسْبُ دِمَشْقَ حُزْنٌ بِـأَنَّ جِـنَـانَـهَـا يَـبْـسٌ وَطُـرْقُ
فَـأَزْهُـرُهَـا مِـنَ الْأَرْزَاءِ صِـفْـرٌ وَأَنْـهُـرُهَـا مِـنَ الْأَهْـوَالِ بُـلْـقُ
وَمَا فِي الْغَوْطَتَيْنِ سِوَى زَفِيرٍ يُـصَـعِّـدُهُ مِـنَ الْآلَامِ عُـمْـقُ
وَمَـا فِـي الْـجَـامِـعِ الْأُمَـوِيِّ إِلَّا صُـرَاخٌ مِـنْ تَـفَـجُّـعِـهِ وَشَـهْـقُ
كَأَنَّ الْجِنَّ تَخْطُرُ فِي دُجَاهُ وَفِـي جَـنَـبَـاتِـهِ لِـلْـبُـومِ نَـعْـقُ
وَأَجْفَانُ السَّمَوْأَلِ فِيهِ تَبْكِي وَأَدْمُـعُـهَـا شِـكَـايَـاتٌ وَعِـشْـقُ

* * *

أَلَا أَيْنَ الْخَرَائِبُ مِنْ قُصُورٍ لَـهَـا بِـمَـذَاهِـبِ الْآفَـاقِ سَـبْـقُ؟
وَأَيْنَ مِنَ السُّمُوِّ جَلَالُ نَسْقٍ هَوَى رِضْمًا فَمَا بِدِمَشْقَ نَسْقُ
وَأَيْـنَ مَـعَـاهِـدُ الْآثَـارِ فِـيـهَـا وَأَيْـنَ الْـحُـسْـنُ وَالْـفَـنُّ الْأَدَقُّ
جَلَائِلُ كُنَّ فِي الْمَاضِي مَزَارًا جُمُوعُ حَجِيجِهِ خَلْقٌ فَخَلْقُ
مُطَهَّرَةُ الْعُصُورِ بَغَى عَلَيْهَا حَزَازَاتٌ مِنَ التَّدْنِيسِ حُمْقُ
عَلَى مَنْ تَبْعَةُ الْآثَامِ تُلْقَى وَكُلٌّ هَوًى يَقُولُ أَنَا الْمُحِقُّ؟
غَمَزْتَ إِبَاءَهُمُ فَمَضَى حَقُودًا وَضَجَّتْ مِنْ صَغَارَتِهِ دِمَشْقُ
وَلَوْ عَقِلُوا لَحَرَّرَهُمْ نِظَامٌ عَـلَـى أَبْـوَابِ حَـقِّـهِـمِ يَـدُقُّ
تَخَذْتَ الشِّعْرَ لِلْإِصْلَاحِ مَرْقًى فَهَلْ أَصْلَحْتَ خُلْقَهُمُ لِيَشْقُوا؟
وَهَلْ عَلَّمْتَهُمْ رَمْيَ الْقَوَافِي لِيَرْمُوا بِالْيَتِيمِ وَلَيْسَ رِفْقُ؟

* * *

سَلِ الْأَهْرَامَ يَا ابْنَ الْمَجْدِ عَنَّا يُـجِـبْكَ الدَّمْعُ وَالنَّفْسُ الْأَرَقُّ
فَفِي الْأَهْرَامِ يَا «شَوْقِي» بَقَايَا مِنَ النَّسَبِ الْمُؤَثَّلِ لَا تَعُقُّ
وَفِي النِّيلِ الْمُرَقْرَقِ عَاطِفَاتٌ مَشَى مِنْهَا إِلَى لُبْنَانَ رِزْقُ
يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ تَشْقَى بِلَادٌ بِهَا مِنْ شِيمَةِ الْأَجْيَالِ عُتْقُ

أَلَسْتَ تَرَى أُمَيَّةَ كَيْفَ تَرْنُو إِلَى لُبْنَانَ عَنْ مُقَلٍ تُشَقُّ؟
وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَهْوِي بِنَزْعٍ وَفِي دَمِهِ مِنَ الْأَهْوَالِ حَرْقُ
وَلِلْمُسْتَقْبَلِ الْآتِي عَجِيجٌ عَلَى قَدَمَيْهِ لِلْأَوْطَانِ زَهْقُ

* * *

أَمِيرَ الشِّعْرِ حَسْبُ الشِّعْرِ فَخْرٌ بِأَنَّ لُمَاكَ لِلْإِيحَاءِ فَتْقُ
أَنَا مُصْغٍ إِلَى قَطَرَاتِ سِحْرٍ لَهَا مِنْ شِعْرِكِ الْعُلْوِيِّ دَفْقُ
أَلَا هَذِّبْ شَبَابَ الشَّرْقِ هَذِّبْ لِيَرْقَى مَوْطِنٌ لَهُمُ وَيَرْقُوا
وَقُلْ لَهُمُ: أَخَاكُمْ فَاعْضُدُوهُ تَنَالُوا الْمَقْصِدَ السَّامِي وَتَبْقُوا

هنـــداوي